
ثورة الطف
الأستاذ المحقق السيد طالب الخرسان

ثورة الطف

الأستاذ المحقق السيد طالب الخرسان



«هوية الكتاب»

- اسم الكتاب: ثورة الطف.
- المؤلف: الأستاذ المحقق السيّد طالب الخرسان.
- الطبعة: الأولى.
- سنة الطبع: (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- الناشر: انتشارات أنوار الهدى - قم.
- عدد الصفحات: ٢٠٠ صفحة.
- العدد: ٢٠٠٠ نسخة.
- السعر: ١٥٠٠ ريال.

«المقدّمة»

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

الحمدُ للّه الذي تظاهرت آلاؤه، وحسن إلى خلقه بلاؤه، أحمده على ما منحنا من هدايته، ورزقنا من معرفته، وأشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه شهادة يفوز بُها السعداء، ويحيد عنها الأشقياء، وصلّى اللّه على المختار من الأنام، المبعوث لتمييز الحلال من الحرام، صاحب الحوض والكوثر، المحبو بالكرامة لدى المحشر ـ **محمّد ابن عبد اللّه** ـ خاتم النبيّين، وسيّد الأوَّلين والآخرين، وعلى المرتضى وصيّه، المخصوص بأخوته، إمام المتّقين ـ **عليٌّ بن أبي طالب** ـ أمير المؤمنين، وعلى ذريته الأصفياء، الهداة النجباء، ما اصطحب الفرقدان، واختلف الملوان[1].

أما بعد ـ فيقول العبد الفقير إلى ربِّه الغني **طالب بن علي بن الحسين بن علي الحسيني البغدادي الشهير بالخرسان** ـ عامله اللّه بلّطفه الخفي وفضله السني ـ :

كان القرآن يؤكد أمراً لابدَّ منه، وهو اتباع سنَّة الرسول (ص) الشاملة لقوله وعمله ورضاه، إذْ لم يكن في صريح القرآن كلُّ التعاليم التي تغطي حاجة المؤمنين، فكان لابدَّ من احالة القضايا التي لم تغطها التعاليم الواردة في صريح القرآن إلى الاقتباس من سنَّة الرسول(ص).

---

(١) ـ الملوان ـ **بفتح الميم واللام والواو** ـ : اللّيل والنهار، أو طرفاهما، الواحد: ملا. (**أقرب الموارد: مادة ـ ملو**).

فقال القرآن الكريم: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** الحشر/٧، ثم برر هذه الاحالة: بأنَّ الرَّسول (ص) لايبت في شيء رأيه، وإنَّما يعبر عن اللّه بطريق الوحي، فقال: **﴿ماينطق عن الهوى انْ هو إلاّ وحي يوحى﴾**.

وأكد الرَّسول (ص) ـ **بدوره** ـ على هذا الأمر بالنسبة إلى خلفائه الحقيقيين الّذين نصَّ عليهم بأسمائهم، وكان لابدَّ للرَّسول (ص) من التأكيد على هذا الأمر بالنسبة إلى خلفائه، طالما لم يتفقه جميع المسلمين بجميع أبعاد الرسالة، لقصر فترة حياة الرَّسول (ص) بالنسبة إلى بعض المؤمنين الّذين دخلوا الإسلام في السنوات الأخيرة في حياته(ص)، وعدم توفر البعض الآخر على فقه الرسالة، وانصرافه إلى بعض القضايا التي لاتغنيه كثيراً، أو لاتعنيه لاكثيراً ولا قليلاً.

فورث الرَّسول (ص) علمه كلَّه خلفاءه الّذين نصَّ عليهم بأسمائهم وخصوصياتهم، ثم أكد على الرجوع إليهم، في كلّ ما لم يجد المؤمنون نصّاً صريحاً من الكتاب والسنة، برر هذه الاحالة: بأنَّ خلفاءه لايبتون في شيء عن آرائهم، وإنَّما يعبّرون عنه بطريق التلقي المباشر.

فاتبع المؤمنون قول القرآن في الرجوع إلى الرَّسول (ص)نفسه واتباع سنته كلّها باعتبارها عدلاً للقرآن في التعبير عن اللّه، واتبعوا قول الرَّسول (ص) في الرجوع إلى خلفائه واتباع سيرتهم كلّها، باعتبارها عدلاً للسنَّة في التعبير عن اللّه، فكان من الطبيعي ـ **بل من المفروض حسب التنظيم القيادي الإسلامي** ـ أنْ يؤخذ بكلّ قول وعمل ورضى يصدر من أحد خلفاء الرَّسول (ص)، ويكون مصدراً ثالثاً للقرآن والسنَّة، يفسّر على ضوئه القرآن والسنَّة ويدخل في الإسلام، ثم يثبت حتى الأبد إلى جانب ما ثبت بالقرآن والسنَّة.

اتبعت جماهير المؤمنين سيرتهم، غير مفرّقة بين مَنْ نصَّ عليه الرَّسول (ص)

بالخلافة وبين مَنْ تصدّى للخلافة بنفسه، أكد في تبرير الإحالة إليها: **بأنّها لن تفترق عن القرآن حتى يردا عليه الحوض - أي حتى القيامة.**

وانطلقت جماهير المؤمنين من هذه القاعدة الفكرية الخاطئة في اتباع كلّ مَنْ جلس على مسند الخلافة - بغض النظر عن هويته، وصدور النصّ عليه من الرّسول (ص) أو عدم صدور النصّ عليه - وسارت جماهير المؤمنين في هذا الاتجاه، الذي أدى بها إلى اتباع سيرة من **«معاوية»** و **«يزيد»**، اللّذين تزعما العنصر الأموي في تنفيذ خطته للقضاء على الرسالة قضاءاً مبرماً.

وكان الإمام الحُسين(ع)الخليفة الحقيقي المنصوص عليه من قبل الرّسول (ص)، والمسؤول الأوّل - **في عهده** - عن صيانة الرسالة، وتسليمها كاملة إلى مَنْ يليه، كما تلقاها كاملة ممّن سبقه، كان يعرف هذه الخطة جيداً، وكان يرى رأي العين اتجاه جماهير المؤمنين إلى اتباع سيرة - **معاوية ويزيد** - زاعمة أنّها باتباعها تنفذ أمر الرّسول (ص) باتباع سيرة خلفائه، وكان يشعر بمسؤوليته عن احباط هذه الخطة، وارجاع جماهير المؤمنين عن مواصلة السير في هذا الاتجاه، الذي سينتهي بها إلى القضاء على الرسالة، والعودة إلى الجاهلية بعد الإسلام، فكان على الإمام الحسين(ع)أنْ يثور لا ليعلن عن وجود خطأ في مفهوم الجماهير عن الخليفة، لأنّ الاعلان وحده لا يجدي في أمثال هذا المجال - وإنّما ليقتلع مِنْ مشاعر الجماهير المؤمنة جذور الأتباع الأعمى لسيرة كلّ مَنْ جلس على مسند الخلافة - بالارهاب والاغراء أو بغير الارهاب والاغراء - ويركز في مشاعر الجماهير المؤمنة: أنّ الخليفة الذي أمر الرّسول (ص) باتباع سيرته هو المنصوص عليه من قبله بالخلافة فقط.

وكان لابدّ مِنْ أنْ تكون الثورة عارمة، تكتسح كلّ الخلفاء الذين استندوا

إلى مسند الرّسول (ص) بغير حقّ، أُولئك الخلفاء الّذين لم يكونوا يفكرون في مصالح الأُمة والرسالة بمقدار ما كانوا يفكرون في مصالحهم الخاصة، فسخروا كلّ امكانات الخلافة، لتبرير وجودهم أوّلاً، وتعزيز مكانتهم ثانياً.

فكان الإمام الحسين (ع) يعمل مِنْ أجل أنْ تكون ثورته في مستوى الهدف الضخم الذي يحاول انجازه، فحشد كلّ الامكانات التي يمكن تحشيدها لثورة، حتى تتسلل إلى مشاعر الجماهير المؤمنة من عقولها وعواطفها، فتسيطر على النفوس والأفكار، وتحدث في واقع كلّ فرد ثورة مماثلة تفرض عليه إرادته، فتحول ماتشاء مِنْ اتجاهاته.

لذلك كلّه لم يفجر الإمام الحسين(ع) ثورته في المدينة، عندما طلب منه ـ **الوليد بن عتبة** ـ البيعة، وإنّما اكتفى بالمهاجرة منها إلى **«مكة»**، وظلّ يترقب الفرصة المواتية.

وسرى التحسس بنوع من الشعور المماثل في صفوف المؤمنين الواقعين، غير أنّ السيف والسوط المقدّسان كانا الرقيب والعتيد على الشفاه، أنْ تنبس بحرف يشكك في القيادة المنحرفة.

ولكن ضعف ـ **النعمان بن بشير**ـ[1] والي يزيد على الكوفة، أتاح للكوفيين فرصة التعبير عن آرائهم، في مأمن من السيف والسوط المقدّسين، فراسلوا الإمام الحسين (ع): أنْ يشخص إليهم ليؤمهم ويقودهم إلى اللّه، ويتخذ من الكوفة ـ **وهي المقر الثاني للخلافة، ومهجر أبيه ومدفنه** ـ قاعدة لفضح القيادة المنحرفة.

وكان الإمام الحسين (ع) أعرف الناس بالكوفيين، فقد عايشهم سنين،

---

(١) ـ البداية والنهاية ٨/ ١٥٢، تاريخ الطبري ٦/ ١٩٤.

وعاصر تجارب أبيه وأخيه معهم، فكان على علم بأنّهم سيغدرون به، كما غدروا بأبيه وأخيه من قبل، وأنَّه سيقتل بأيديهم إنْ لبى نداءهم، ولكنه شخص إليهم، لأنَّه كان مصمماً على الثورة من قبل أنْ يدعوه الكوفيون، وإنَّما كان يبحث عن قاعدة للثورة، فوجدها في دعوة الكوفيين له.

وقد أتاح دعوة الكوفيين للإمام الحسين (ع) فرصة ذهبية، نفعته بمقدار ما أضرت بهم، نفعته من عدَّة جهات، منها:

١ـ توفير القاعدة للثورة: إذْ كان الإمام الحسين (ع) مصمماً على الثورة مهما كلّفته، وقد أعلنها ـ **في واقع الأحداث** ـ في المدينة، برفضه البيعة ليزيد مرَّة، وبهجرته من المدينة إلى مكة مرَّة أُخرى، ولكن ثورته كانت بلا قاعدة تتابعها بثورات تكون بمثابة الضربات المتكررة على هدف واحد حتى النصر، وقد وفرت دعوة الكوفيين للإمام الحسين (ع) هذه القاعدة لثورته.

إذْ من الطبيعي أنْ يحدث قتل الإمام الحُسين (ع) بأيدي الكوفيين بعد دعوتهم إيّاه، روح التأنيب فيهم ويشعرهم بمسؤوليتهم عن دمه، ويحني عليهم اللائمين باللائمة الكبرى والتفريع اللاذع، فيكون ردّ الفعل الطبيعي فيهم العمل من أجل غسل العار عن أنفسهم بقتل قاتليه، وتفجير الثورات على مَنْ دفعهم إلى قتله، كما حدث بالفعل هذا الردَّ في «**ثورة التوابين**» وفي «**ثورة المختار**» والثورات الأُخرى التي جعلت من الكوفة بركاناً يحمل في قلبه النار لايمكن سدّ فوهته من جانب إلاّ ليندلع اللّهيب من فوهة أُخرى في مكان آخر منه، وكانت النار التي لاتخمد في قلوب الكوفيين هي نار التأنيب على قتل الإمام الحسين (ع).

٢ـ ايجاد أبعاد للثورة: فالإمام الحسين (ع) لوكان يثور في المدينة ويقتل فيها، لما كان لثورته إلاّ بُعد واحد، هو ـ **البعد الفكري** ـ الذي من طبيعته أنْ يبقى

ولكن في جو المفكرين فحسب، وهو ضيق إنْ استطاع التأثير في التاريخ بعد فترة طويلة فلا يستطيع تغيير مجرى التاريخ ولو بصورة واسعة.

أمّا البعد العاطفي، فما كان من الهيّن توفيره في المدينة، إذْ لو كان الإمام الحسين (ع) يثور في المدينة لكان يقتل هو وأصحابه فحسب، ثم تحاول الاشاعات المضللة تشويهها حتى تخرج بها مِنْ صيغتها الأصلية إلى صيغة مشوهة، لايكون مفعولها في التاريخ إلاّ قليلاً، أمّا قتل الأطفال الأبرياء أو موتهم عطشاً .. أمّا سبي عقائل الوحي وربائب الإمامة.. أمّا قتل الحسين (ع) وأصحابه وهو ضيف دُعِيَ ليوم واسلف له البيعة بأيدي مَنْ دعوه وبايعوه له.. أمّا قتله وأصحابه عطاشى بجنب النهر، فتلك خصال لم تكن من الطبيعي أن تحصل لثورة الإمام الحسين (ع) لولا دعوة الكوفيين له، وهي الخصائص التي جعلت ثورة الإمام الحسين (ع) فريدة في الثورات، وهي الروافد العاطفية التي غذت ثورته بأبعاد أهلتها للخلود بجدارة.

وقد حاولَ الإمام الحسين (ع) تأكيد هذا الجانب في ثورته بارسال ـ **مسلم ابن عقيل** ـ أمامه إلى الكوفة، لأخذ البيعة له سلفاً من الكوفيين قبل شخوصه إليهم.

٣ـ كشف أسرار صلح الإمام الحسن (ع): فالإمام الحسين (ع) بتلبية نداء الكوفيين وغدرهم به بذلك الأُسلوب الوضيع كشف للتاريخ بعض العوامل التي كانت وراء صلح أخيه الإمام الحسن (ع)، وقبوله الصلح بدلاً عن القتل، إذْ كشف غدر الكوفيين بالإمام الحسين (ع)، إنّ الإمام الحسن (ع) لوكان يرفض الصلح لكان يقتل بأيدي أصحابه، ذلك الأمر الذي يجعل قتله بلا أثر.

ورفض الإمام الحسين (ع) البيعة ليزيد، وهاجر من المدينة إلى مكة، معلناً بهذين العملين ثورته مرّتين، ثم أتاه في مكة اثنا عشر ألف كتاب دعوة من

الكوفيين، وهذا ما يبرهن على أنَّ الإمام الحسين (ع) لم يرفض البيعة، ولم يهاجر إلى مكة طلباً للرئاسة، ولم يغرر به من قبل الكوفيين، وإنَّما عمل ما عمل تلبية لواجبه الديني كمسؤول أعلى عن صيانة الرسالة، ولكنه أراد التأكيد على هاتين الحقيقتين، يوم أعلن في مكة وقبل شخوصه إلى الكوفة، علمه بكلِّ ما ستكشف عنه التطورات وعزمه على الثورة التي ستنتهي به إلى الشهادة، وعن مكان شهادته، حتى كأنَّه يقرأ في كتاب، حيث قال (ع): **«وكأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء...»**.

وخرج الإمام الحسين (ع) باذلاً في اللّه مهجته، وموطناً على البلاء نفسه، فاستشهد ـ **كما اخبر** ـ ونجح في تحقيق هدفه، لأنَّه استطاع فصل الخلافة المنحرفة عن الإسلام، وكشف عن واقع القيادة الأُموية، فإذا هي قيادة جاهلية تسلك إلى الإسلام، استمرار لحروبها الرامية إلى اطفاء نور اللّه في الأرض التي بدأتها بحرب ـ **بدر** ـ.

فانكشفت للناس الحكومة الأُموية ملكاً عضوضاً لايمت إلى الإسلام بصلة، ولاحجة منها على الإسلام.

وهكذا انقذ واقع الإسلام الناصع من أنْ تلوثه جرائم العنصر الأُموي التي كانت تحسب في الرأي العام الإسلامي من الإسلام وعلى الإسلام.

واثبت ـ **للأبد** ـ أنَّ خليفة اللّه وخليفة رسوله ليس هو كلّ مَنْ يرتمي على سرير الملك، وإنَّما هو مَنْ نصَّ عليه رسول اللّه (ص) ونصبه، سواء أكان على عرش الخلافة أم في غياهب السجون.

وعلى ضوء ثورة الإمام الحسين (ع) انكشف عن واقعه كلّ من استخلف بعد الإمام الحسين (ع) بل وقبله، فلم يستطع أحد من الملوك الامويين والعباسيين

والعثمانيين أنْ يقحم شيئاً مِنْ تصرفاته أو تصريحاته غير المشروعة في الإسلام، ولم يعتبرها الرأي العام الإسلامي مرتبطة بالإسلام مِنْ قريب أو بعيد، فلم تقمص حتى طابع البدعة، وإنّما اعتبرت من نوع سائر تصرفات وتصريحات بقية الملوك، الّذين ليست لهم علاقة بالأديان.

وخلاصة القول: إنَّ للإسلام رأياً واضحاً صريحاً حول الخليفة وهو: أنَّ الخليفة مَنْ ينصُّ عليه الرّسول (ص) وينصبه، وبعد الرّسول (ص) ارتبك هذا المقياس الصحيح المنبثق من روح الإسلام، فسمّي كلّ مَنْ يرأس المسلمين: خليفة اللّه وخليفة رسوله، وبلغ الارتباك أوجه عندما تولّى - **يزيد بن معاوية** -، إذ أصبح عدو الإسلام وهو يدعى: خليفة الإسلام، فسلّط الإمام الحسين (ع) أضواء ثورته على هذا الإرتباك حتى قضى عليه، وأعاد الرأي العام الإسلامي إلى المقياس الصحيح حول القيادة الإسلامية التي يعبَّر عنها باسم: الخلافة، وأثبت أنَّ خليفة رسول اللّه (ص) هو مَنْ ينصّ عليه رسول اللّه (ص)، وأمَّا مَنْ ترأس المسلمين فهو رئيس المسلمين وليس خليفة المسلمين، وشتان بين رئيس المسلمين وخليفة المسلمين.

ولذلك لم يكن تأثير ثورة الإمام الحسين (ع) على معنويات العباسيين والعثمانيين بأقل مِنْ تأثيرها على الأُمويين، إذْ كشفت عن زيفهم جميعاً على حدِّ سواء، ومن أجل هذا كانوا يحاربونه جميعاً على حدِّ سواء، فحتى العباسيين الّذين أخذوا سرير الخلافة من الأُمويين باسم الإمام الحسين (ع)، ماتربعوا عليها إلاّ وبدأوا بمحاربة الإمام الحسين (ع)، إنْ فاتهم شخصه فلم يفتهم قبره وزوار قبره وأولاده وشيعته، فكلّما ارتفع لواء لزوار قبره طاردوهم، وكلّما علا لأولاده ذكر قضوا عليهم، وكلّما سمع لشيعته صوت خنقوه بالسيف والسوط.

وثورة الإمام الحسين (ع) الكاملة مؤلّفة من قسمين:

القسم الأوّل: ثورته ذاتها التي انفجرت يوم عاشوراء، واختتمت باستشهاده واستشهاد آله وأصحابه جميعاً.

القسم الثاني: سبي نسائه وأطفاله، والتطواف بهم في البلاد، من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، ثم رجوعهم من الشام إلى كربلاء، ووصولهم إليها يوم - **الأربعين** - وأخيراً عودتهم إلى المدينة.

وحقيقة ثورة الإمام الحسين (ع) كانت «**القسم الأوّل**»: الذي باشرهُ بنفسه، وأمّا «**القسم الثاني**»: فلم يباشره بنفسه، وإنّما أعدَّ له يوم حمل معه النساء والأطفال عبر الفيافي القاحلة إلى كربلاء.

والقسم الثاني يعتبر تكميلاً لثورة الإمام الحسين (ع) مِنْ جهة، وتفسيراً لثورة الإمام الحسين (ع) مِنْ جهه أُخرى.

فكان تكميلاً لثورة الإمام الحسين (ع) لأنَّ سبي النساء والأُطفال، وسوقهم مِن بلد إلى بلد، عمق الجانب العاطفي في الثورة، وكشف عن واقع العنصر الأُموي بأجلى مايمكن الكشف، إذْ ظهر عنصراً جاهلياً يدوس كلَّ مقدّسات الإسلام الذي يحكم باسمه، ويشيع القتل والسبي في ذرية رسول اللّه (ص) الذي يصدر خلافته انتقاماً له على مافعل بأسلافه يوم «**بدر**» و «**حنين**».

وكان تفسيراً لثورة الإمام الحسين (ع) لأنَّ الثورة يومها كانت مموهة ببراقع سميكة من الدعايات المظللة التي شنتها الأبواق الأُموية لتشويهها وطمسها في النهاية.

فكان لابدَّ للعنصر الهاشمي مِنْ أنْ يغير على ثورته، وينقذها من أيدي المحرِّفين للكلم، وقد قام بهذا الدور العظيم الإمام السجاد (ع) وإخوته وعمّاته

وهم مكبلون بالسلاسل والقيود، فأعلنوا هدف ثورة الإمام الحسين (ع)، وأظهروا معالمها للرأي العام الإسلامي بصورة واضحة جليّة ترفض أي نوع من التمويه والتشويه.

وإذا أسفر إنْ شاء اللّه تعالى من اُفق التمام صباحه، وأزهر بنور الكلام مصباحه؛ سميته: بـ «ثورة الطّف». وينقسم الكتاب إلى قسمين، وتنتظم جواهره في سمطين ورتبت القسم الأول منه على إثني عشر فصلاً :

الفصل الأوَّل - الحسين (ع) أمام دوره التاريخي.

الفصل الثاني - لماذا لم يثر الحسين (ع) في عهد معاوية؟

الفصل الثالث - موقف الحسين (ع) من بيعة يزيد.

الفصل الرابع - هدف الحسين (ع) من الثورة.

الفصل الخامس - هجرة الحسين (ع).

الفصل السادس - مقتل الحسين (ع).

الفصل السابع - النبيُّ (ص) يخبر بقتل الحسين (ع).

الفصل الثامن - الشجرة الملعونة.

الفصل التاسع - الرَّد على المتعصب العنيد.

الفصل العاشر - فضل زيارة الحسين (ع).

الفصل الحادي عشر - إنتقام المختار (ره) من قاتلي الحسين (ع).

الفصل الثاني عشر - مواكب الشعراء في رثاء سيّد الشهداء (ع).

يسر اللّه لنا الأعانة والعناية، وعاملنا بالحسن في البداية والنهاية.

* * *

الفصل الأوّل

﴿الحسين (ع) أمام دوره التاريخي﴾

استخدم الأُمويون في سبيل استئصال الروح الإسلامية والشخصية الإسلامية بالاضافة إلى الأموال وجميع وسائل الإرهاب مدرسة الرواة والمحدثين والقصاصين وعلى رأس هذه المدرسة: **أبو هريرة، وسمرة بن جندب؛ وكعب الأحبار**؛ وغيرهم من أقطاب تلك المدرسة التي أسسها معاوية لصنع الأحاديث، وقد أفرزت ألواناً من الأحاديث ونسبتها إلى النبيّ (ص) وكان من أبرزها مايرجع إلى القدح في عليّ أمير المؤمنين وآل عليّ (ع).

ومن تلك الألوان التي أفرزتها تلك المدرسة مايرجع إلى تمجيد بني أُمية وبخاصة ـ **معاوية** ـ واعطائهم مرتبة القديسين، كالذي رواه أبو هريرة عن النبيّ (ص) أنَّه قال: **«انَّ اللّه أتتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبرائيل ومعاوية»**[1].

---

(١) ـ قال الخطيب البغدادي؛ والنسائي؛ وابن حبّان: هذا الحديث باطلٌ موضوعٌ، رأى الخطيب في **«تاريخ بغداد»** ٨/١١ ـ الحمل فيه على عليّ البرداني، وقال ابن عدي: باطلٌ من كلّ وجه، وزيّف الحاكم طرقه وفيها جمع من الكذّابين والوضّاعين. راجع: **«اللئالي المصنوعة للسيوطي»** ١/ ٢١٧، وقال الذهبي في **«ميزان الاعتدال»** ١/ ٢٣٣: هذا كذبٌ، وذكره في ترجمة ـ **الحسن بن عثمان** ـ فقال: هذا كذبٌ، بهذه المخازي هتكوا ناموس الإسلام، ودنّسوا ساحة قدس صاحب الرّسالة، فما قيمة أمينين يكون معاوية ثالثهما في الأمانة؟!.

وأنَّ النبيَّ (ص) ناول معاوية سهماً، وقال: **«خذ هذا السهم حتّى تلقاني به في الجنة»**[١].

وأنَّ جبريل جاء إلى رسول اللّه (ص)، وعنده ـ **معاوية** ـ يكتب بين يديه، فقال: **«يامحمَّد! إنَّ كاتبك هذا الأمين»**[٢].

وماروواه جعفر بن محمَّد الأنطاكي: **«يبعث معاوية يوم القيامة، وعليه رداء من نور الايمان»**[٣].

وماروواه أبو الطاهر موسى بن محمَّد البلقاوي: أنَّه (ص) دفع إلى معاوية سفرجلات من الطائف، وقال: **«تلقاني بهن في الجنَّة»**[٤].

---

(١) ـ رواه قاسم بن بهران، قال ابن حبّان: لايجوز الإحتجاج به بحال، وقال ابن عدي: أنّه كذاب، وقال الذهبي: موضوع.

راجع: **ميزان الاعتدال** ٢/ ٣٨، **لسان الميزان** ٤/ ٤١٤، ٤٥٩، ٦/ ٢١٩.

(٢) ـ أخرجه ابن عساكر في **«تاريخه»** باسناده من طريق السدي بن عاصم أبي عاصم الهمداني أحد الكذّابين الوضّاعين، والحسن بن زياد وهو **اللؤلؤي** الوضّاع الكذّاب، والقاسم بن بهرام المشترك بين ثقة وكذّاب، وقد زيّفه ابن كثير في **«البداية والنهاية»** ٥/٢٥٤، فقال: والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره واطّلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره ـ **بل ومَنْ تقدّمه بدهر** ـ كيف يورد في **«تاريخه»** هذا وأحاديث كثيرة مِن هذا النمط، ثمَّ لايبيّن حالها، ولا يشير إلى شيء من ذلك إشارة لاظاهرة ولا خفيّة؟! ومثل هذا الصنيع فيه نظرٌ، واللّه أعلم.

وأخرجه الذهبي في **«ميزانه»** ٣/ ٩٥، عن أمير المؤمنين مرفوعاً ـ **من طريق أصرم بن حوشب** ـ الكذّاب الوضّاع الخبيث وعدّه من مناكير محمَّد بن عبد الحميد.

(٣) ـ أخرجه ابن حبّان، وقال: خبر باطل، أمَرَّ الذهبي وابن حجر بطلان الحديث، وعدم ثقة الأنطاكي.

ميزان الاعتدال: ١/ ١٩٣، **لسان الميزان** ٢/ ١٢٤.

(٤) ـ قال ابن حبّان: موضوعٌ آفته ـ **ابراهيم بن زكريا الواسطي** ـ، وقال بعضهم: ممّا يبيّن وضعه أنَّ معاوية أسلم في **«الفتح»**، وجعفر بن أبي طالب (ع) قُتِل قبل الفتح ـ **بمؤتة** ـ، وورد بطرق أُخرى كلّها باطلةٌ فاسدةٌ موضوعةٌ، راجع: **اللئالي** ١/ ١١٩.

وقال الذهبي في **«الميزان»** ١/ ١٦ ـ **في ترجمة إبراهيم الواسطي** ـ: يروي عن مالك أحاديث موضوعة، ثم ذكر الحديث عنه، عن مالك.

وقال الخطيب: حديثٌ غير ثابت، وقال ابن عساكر: لاأصل له. راجع: **اللئالي المصنوعة** ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

ومارواه محمَّد بن جناح: أنَّ النبيَّ (ص) استشار ـ **أبا بكر وعمر ـ** في أمر، **فقالا:** اللّه ورسوله أعلم، فقال: **«ادعوا لي معاوية»** فلمَّا وقف بين يديه، قال **«أحضروه أمركم، وأشهدوه أمركم، فإنَّه قويٌّ أمينٌ»**(١).

وماروي عنه (ص) أنَّه قال: **«لا أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان، لا أراه ثمانين عاماً أو سبعين عاماً، ثمَّ يقبل عليَّ على ناقة من المسك الأذفر، حشوها رحمة اللّه، قوائمها من الزبرجد، فأقول: معاوية؟ فيقول: لبيك، فأقول: أين كنت منذ ثمانين عاماً؟ فيقول: في روضة تحت عرش ربِّي يناجيني وأُناجيه، ويقول: هذا عوض ماكنت تُشتَمْ في الدُّنيا»**(٢).

و **«أنَّه (ص) أخذ القلم من يد عليٍّ (ع) فدفعه إلى معاوية»**(٣).

و **«أنَّ جماعة من ـ بني هاشم ـ سألوا رسول اللّه (ص) أنْ يحوِّل الكتابة من معاوية، فنزل الوحي باختياره»**(٤).

و **«هبط عليَّ جبريل، ومعه قلم من ذهب إبريز، فقال جبريل: إنَّ العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: حبيبي، قد أهديت هذا القلم من فوق عرشي إلى ـ**

---

(١) ـ طرقه باطلة، راجع: **اللئالي** ١/ ٢١٨، **والفوائد المجموعة للشوكاني:** ٤٢١.

(٢) ـ من موضوعات ـ **عبد اللّه بن حفص الوكيل** ـ ، قال ابن عدي: موضوعٌ لا أشكُّ أنَّه واضعه، وقال الخطيب: **باطلٌ ـ اسناداً ومتناً ـ** ونراه ممَّا وضعه الوكيل، وقال الذهبي في **«ميزانه»** ـ بعد ذكره من طريق ابن عدي ـ : قلت: ما كان ينبغي لابن عدي أنْ يتشاغل بالأخذ عن هذا الدجَّال الأعمى البصر والبصيرة، والذي قال اللّه فيه: **﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾**، وقال في ترجمة ـ **عبيد اللّه بن سليمان** ـ : روى عن عبد الرزاق بخبر باطل، فهو الآفة فيه.

وقال ابن حجر في **«لسان الميزان»** ٤/ ١٠٥: والخبر المذكور رواه ابن عساكر في ترجمته، قال ابن عساكر: هذا حديثٌ منكرٌ، وفيه غير واحد من المجاهيل.

(٣) ـ ذكره ابن حجر في **«لسان الميزان»**٦/ ٢٠، وعدَّه مِنْ موضوعات ـ **مسرَّة بن الخادم** ـ ، فقال: متنٌ باطلٌ، وإسنادٌ مختلقٌ.

(٤) ـ أخرجه ابن عساكر في **«تاريخه»**، وقال: هذا خبرٌ منكرٌ، وفيه غير واحد من المجهولين، وقال ابن حجر في **«لسان الميزان»** ٣/ ٤١١: قلت: بل هو ممَّا يُقطع ببطلانه، فواللّه، إنِّي لأخشى أن يكون الذي افتراه مدخول الإيمان.

معاوية بن أبي سفيان ـ فأوصله إليه، ومُره أنْ يكتب ـ آية الكرسي ـ بخطّه بهذا القلم، ويشكله ويعجمه، ويعرضه عليك، فإنّي قد كتبت له من الثواب بعدد كل من قرأ ـ آية الكرسي ـ من ساعة يكتبها إلى يوم القيامة»[1].

وكان ابن أخطل يكتب قدّام النبيّ (ص)، وكان إذا نزل: ﴿**غفور رحيم**﴾ كتب: رحيم غفور، وإذا نزل: ﴿**سميع عليم**﴾ كتب: عليم سميع، **فقال له النبيّ** (ص): «**أعرض عليّ ماكنت أملي عليك**»؟ فأراد النبيّ (ص) أن يستكتب ـ **معاوية** ـ فكره أنْ يأتي منه ما أتى من ـ **ابن خطل** ـ، فاستشار جبريل، **فقال**: استكتبه **فإنّه** أمينٌ.[2].

ومنها مايرجع إلى تخدير المسلمين عن الثورة والتحرك ضد الحاكمين مهما بالغوا في الجور والظلم، وان السعي والعمل لاستبدالهم بغيرهم حتى ولو كان ذلك الغير من أعدل الناس وأكثرهم حرصاً على مصالح المسلمين لايقره الإسلام، فمن ذلك مارواه أصحاب الصحاح: أنَّ النبيَّ (ص) قال: «**مَنْ رأى مِن أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنَّ مَنْ فارق الجماعة شبراً ومات، مات ميتة جاهلية**»، ومنها: أنَّه قال: «**ستكون بعدي هنات وهنات، فمن أراد أنْ يُفرّقَ أمر هذه الأمة وهي جمع، فاضربوه بالسيف كائناً مَنْ كان**» إلى غير ذلك ممّا رواه البخاري وغيره من محدّثي أهل السنَّة.

---

(١) ـ قالوا: موضوعٌ، وأكثر رجاله مجاهيل، ويراه ابن الجوزي من وضع ـ **الحسين بن يحيى الختالي** ـ كما في «**ميزان الإعتدال**» ١/ ٢٥٧، وعند الذهبي: باطلٌ، كأنّه عمله ـ **أحمد بن عبد الله الأبلي** ـ كما في «**الميزان**» ١/ ٥٢، ويرى ابن حجر في «**لسان الميزان**»: أنَّ الأمر ينحصر ـ **بأحمد الأبلي** ـ وهو الذي وضعه، وأخرجه النّقاش في «**الموضوعات**» ـ **بلفظ أخصر** ـ وقال: حديثٌ موضوعٌ بلا شكٍّ، وضعه أحمد أو حسين.

[**اللئالي المصنوعة للسيوطي** ١/ ٢١٦، **لسان الميزان** ١/ ٢٨٥].

(٢) ـ هو موضوعٌ، وفي إسناده: **أصرم بن حوشب الهمداني** وهو كذّاب، ورواه ابن عساكر من وجه آخر، وفي إسناده: متروك.

الفوائد المجموعة للشوكاني: ٤٢٠.

وإلى جانب ما أنتجته مصانع أُولئكَ الرواة اخترع الحاكمون لوناً آخر من ألوان التضليل الديني، وهو تأسيس الفرق الدينية التي تقدم للجماهير تفسيرات للدِّين تخدم تسلط الحكام وتبرر جورهم وظلمهم، كفرقتي - **المرجئة والمجبرة** - اللتين اعتنقهما معاوية، وسهل لهما سبيل البقاء والانتشار حتى أصبحتا من أوفر المذاهب حظاً لدى الحاكمين، وقد كفرت بعض فرق المعتزلة معاوية لأنَّه اعتنقهما ودعاإليهما.

لقد رافق أبو عبد اللّه الحسين (ع) كلَّ ذلك وكان يتلوى ويتألم للمصير السيء الذي ينتظر الإسلام من معاوية، وغيره من القردة الذي سينزون على منبر الرَّسول (ص)، ويستخدمون الإسلام لإحياء جاهليتهم ووثنيتهم الأولى، وكانت مبررات الثورة على الحكم الأموي موفورة في عهد معاوية، والحسين (ع) يدركها ويعرفها ويعبر عنها في المجالس والمجتمعات وجميع المناسبات ويصارح بها معاوية في الرسائل التي كان يوجهها إليه بين الحين والآخر.

وجاء في بعضها: **«وهيهات هيهات، يامعاوية! لقد فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد نقلتَ حتى أفرطتَ، واستأثرتَ حتى أجحفتَ، ومنعتَ حتى بخلتَ، وجرتَ حتى جاوزتَ، ولم تبذل لذي حقّ من حقّه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكبر».**

وفي رسالة ثانية وجهها إليه كانت جواباً عن كتاب[1] كتبه إليه جاء فيها: **«لقد بلغني كتابك تذكر فيه: أنّه انتهت لك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا**

---

(١) - وكتب معاوية إلى الحسين بن عليٍّ (ع): **أمّا بعد** - فقد انتهت إليَّ أُمور عنك، إنْ كانت حقّاً فقد أظنّك تركتها رغبة، فدعها، ولعمر اللّه، إنَّ من أعطى اللّه عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإنْ كان الذي بلغني باطلاً فإنَّكَ أنت أعدل النّاس لذلك، وعظ نفسك فاذكر، وبعهد اللّه أُوف، فإنَّك متى تنكرني أنكرك؟ ومتى تكدني أكدك؟ فاتق شقَّ عصا هذه الأُمّة، وأنْ يردهم اللّه على يدك في فتنة، فقد عرفت النّاس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد، ولا يستخفنّك السفهاء الّذين لا يعلمون.

بغيرها عندك جدير فإن الحسنات لايهدي إليها ولا يسدد لها غير اللّه سبحانه.

وما ذكرت: أنّه رقي لك عني فإنّما رقّاه لك الملاقون، المشاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وقد كذب الغاوون، واعلم بأني ما أردت لك حرباً ولا أخشى عليك خلافاً، وإنّي لأخشى اللّه في ترك ذلك منك، ومن الاعذار فيه إليك، وإلى أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشيطان.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه؟ المصلّين العابدين الّذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في لومة لائم، ومع ذلك فقد قتلتهم ظلماً وعدواناً بعد ما أعطيتهم المواثيق والايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، أنْ لا تأخذهم بحدثٍ كان بينك وبينهم، جرأة منك على اللّه واستخفافاً بعهده وأحكامه.

أولست يامعاوية! قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللّه العبد الصالح بعدما أمنته؟

أولست المدعي لزياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف؟ وزعمت أنّه ابن أبيك ورسول اللّه (ص) يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول اللّه (ص) واتبعت أهواءك بغير هدى من اللّه، ولم تكتف بذلك حتى سلطته على المسلمين، يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل عيونهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك؟

أولست يامعاوية صاحب الحضرميين؟ الّذين كتب فيهم ابن سميّة: أنّهم على دين عليٍّ (ع)، فكتبت إليه: أنْ يقتل كلَّ مَنْ كان على دين عليٍّ (ع)، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين عليٍّ (ع) هو دين ابن عمّه (ص) الذي كان يضربك ويضرب عليه أباك وبه جلست مجلسك الذي أنت عليه.

وقلت فيما قلت يامعاوية: انظر لنفسك ولأمة جدّك ولدينك، واتق شق عصا هذه الأمة وأنْ تردهم إلى فتنة، وإنّي لا أعلم يامعاوية! فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمّد (ص) من أنْ أجاهدك.

وقلت فيما قلت يامعاوية: إن انكرتك تنكرني، وانْ أكدك تكدني، ما بدا لك، فاني أرجو أنْ لا يضرني كيدك فيَّ، وأنْ لا يكون على أحد أضر منه على نفسك لأنَّك قد ركبتَ جهلكَ، وتحرصت على نقض عهدكَ.

ولعمري، ما وفيت بشرط ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الّذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق، ولم تفعل ذلك إلاّ لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقّنا، فابشر يامعاوية ! بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنَّ للّه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها.

وليس اللّه بناس لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهمة، ونفيك لهم من دورهم إلى دار الغربة ومطاردتهم في البلدان وملاحقتهم إلى الكهوف والغابات وأخذك للنّاس ببيعة ابنك: غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب.

لا أعلمك إلاّ وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت وأخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم، والسلام»[1].

إلى غير ذلك من موقفه منه التي تؤكد بأنَّه كان يراه أسوأ من ابنه يزيد، وأشد خطراً منه على الإسلام والمسلمين.

ومع أنَّه في جميع مواقفه كان يقابل معاوية وولاته وجلاديه بهذا الاسلوب ولا يهادنهم بحال من الأحوال، فقد كان معاوية يتمنى عليه أنْ يخفف من أُسلوبه معه، وقد توسل إليه بالشدَّة حيناً، وباللين والمغريات حيناً آخر، وبخاصة عندما عزم على البيعة ليزيد من بعده، لأنَّ سكوته يؤمن له انقياد الأُمة ويمكنه من ممارسة سياسته بدون خشية، ولكنه أبى أنْ يسكت عنهم أو يخضع لمغرياتهم وينحني لقسوتهم، لأنَّ دوره الرسالي يفرض عليه أنْ لا يسكت ولا يهادن وأنْ يثور عسى أنْ تهز ثورته ضمير الأُمة التي انحنت وخضعت لجبروت السلطة زمناً طويلاً،

---

(١) ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٨٩ و ١٩٠ ، وفي طبعة: ١٤٨، وفي طبعة: ١٣١، جمهرة الرسائل ٢/ ٦٧.

لأنّ المجتمع الذي خضع طويلاً لجبروت الأُمويين وانحنى لكبريائهم لم يعد يصلحه الكلام، ولابدّ له من شيء جديد يهزه ويحركه.

هذا الواقع الكالح الذي كانت تتخبط فيه الأُمة، وضع الحسين (ع) وجهاً لوجه أمام دوره التاريخي ورسالته النضالية، وفرض عليه أنْ يثور من أجل كرامة الأُمة وانقاذ شريعة جدّه (ص)، من أعدائها الألداء عندما وجد أنّ ثورته ستعطي ثمارها المرجوة، وأنّ شهادته ستقض مضاجع الظالمين والطغاة المستبدين، وتبقى المثل الأعلى لكلّ ثائر على الظلم والطغيان في شرق الأرض وغربها.

* * *

الفصل الثاني

﴿لماذا لم يثر الحسين (ع) في عهد معاوية﴾؟

والسؤال: الذي يفرض نفسه في المقام هو أنَّ الحسين (ع) قد عاصر معاوية مع أبيه وأخيه، وعاصره بعد أخيه نحواً من عشر سنوات كان الحسين (ع) وحده مهوى الأفئدة ومحط آمال المعذَّبين والمشرَّدين والمضطهدين، ولم يترك معاوية خلال تلك المدة الطويلة من حكمه باباً من أبواب الظلم إلاّ وانطلق منه: فقتل المئات من الصلحاء، وعذَّب وشرَّد، واضطهد الملايين بلا جرم ارتكبوه، ولا بيعة نقضوها، وكان ذنبهم الأوَّل والأخير هو ولاؤهم لعليٍّ وآل عليٍّ (ع)، وكان القدوة لجميع مَن جاء بعده من الأُمويين فيما ارتكبوه من الجرائم والاستهتار بالقيم والمقدَّسات، وهو الذي كان يعمل ويضع الأُسس لتحوير الإسلام وتحقيق ما كان يحلم به أبو جهل وأبو سفيان وغيرهما من طواغيت قريش، ولم يكن ولده يزيد إلاّ صنيعة من صنائعه وسيئة من سيئاته، فلماذا والحالة هذه ابتعد عن الثورة في عهد معاوية مع وجود جميع مبرراتها في حين أنَّ المبررات التي دفعته للثورة على يزيد كانت امتداداً لتلك التي كان يمارسها معاوية؟

والجواب: كادَ الحقّ أنْ يدال له من الباطل يوم ـ **صفّين** ـ، وأوشك محمَّد أنْ يبلغ المرمى من جيش أبي سفيان، محمَّد في دعوته الأُولى من أبي سفيان في صورته الثانية.

وأدرك الخصم أنَّ المحاكمة إذا كانت كلّها إلى السيف فستظهر كلمة اللّه ولاريب، وستكون نهاية الأحزاب الثانية عين نهايتهم الأُولى، أدرك الباطل ذلك بدهائه: فجنح للمخاتلة.. وأعد القذيفة.. ورفع المصاحف.. وقذف النار!!.

أجل، انّه قذف النّار فهلعت قلوب، وعقدت ألسن، وأظلمت بصائر، ونقضت عهود، والتجأ الحقّ إلى اغماد السيف، وبدأ يعالج الحادث ويصدّ الغارة.

وطال الموقف، ولا محيد للموقف من أن يطول، واغتيل القائد الأعلى للحقّ في حادث من حوادث الفتنة، فتأزم الموقف واشتدت حراجته.

وانتدب الإمام الحسن السبط (ع) للقيادة الكبرى بعد مقتل أبيه (ع)، فما تراه فاعلاً؟ أيشهر السلاح؟.. ما الذي جدّ ياترى؟ هل تم علاج الموقف بعد قتل عليٍّ (ع) ليتمشق الحسن (ع) السيف؟ هل ثاب المخدعون إلى رشدهم ليستعيد الحقّ موقفه الأوَّل؟

لا. لا. انَّ الموقف لا يزال - **بعد** - على دقته وعلى شدَّة حراجته، وإذن، فلابدَّ من اغماد السيف، وإتمام العلاج.

وأغمد الحسن (ع) السيف، فقال التاريخ والمؤرّخون: صالح حسن خصم أبيه، وتنازل له عن حقّه.

لا . لا . لم يصالح الحسن (ع) خصماً، ولم يتنازل عن حقّ، ولكنه استضعف العقيدة في جنوده، وكيف يلقى عدوه بجند ليس لهم قلوب؟!.

أغمد الإمام الحسن (ع) السيف وأعلن الهدنة، فمكن بذلك للناس أنْ يروا الحكم الأُموي على سجيته رأي عين، وأنْ يبرز أمامهم بخصائصه وأهدافه عارياً مفضوحاً دون طلاء ولا تزويق..

للنّاس كافة.. وليس للعراقيين فقط، ولا للمصريين والحجازيين واليمانيين معهم، بل حتى لأهل الشام، فقد كانت المخادعات والمخاتلات الأُموية تستر عليهم وجه الحقيقة طول أيَّام الحروب.

ومكن للنّاس كلّهم ـ **شاميهم وعراقيهم** ـ أنْ يستمعوا إلى الحاكم الأُموي الأعلى في يوم ـ **ساباط** ـ ذاته وهو يفضح خطته، ويعلن هدفه، ويكذب دعاواه الطويلة العريضة التي خادع النّاس بها طوال السنين.

أنْ يستمعوا إليه وهو يقول لهم: إنّه لم يقاتلهم ليصوموا ولا ليصلّوا ولا ليحجّوا ولا ليزكوا، لم يقاتلهم ليقيم ركناً من أركان الإسلام هم تاركوه، إذن، فعلى ماذا أُطلت الدماء؟ ولماذا رفعت المصاحف؟ بل ولماذا هتف بدم ـ **عثمان** ـ؟ إنّه قاتلهم ليتأمر عليهم فأعطاه اللّه ذلك وهم كارهون.

هذه هي الغاية وكلّ ما سواها فوسيلة، حتى القرآن لّما رفعه يوم ـ **صفّين** ـ، نعم، حتى القرآن فقد كان وسيلة لا غاية، وحتى دم عثمان، إنّما هي القوة والإمرة على الناس وهم راغمون كارهون.

مكّن الإمام الحسن (ع) للناس كلّهم ـ **شاميهم وعراقيهم** ـ أنْ يستمعوا إلى معاوية يقول لهم هذا بصراحة لم تعهد له في يوم من الأيّام، ولقد كان هذا وحده سبباً كافياً للإتيان على بناء دولته من القواعد لو كان في البصائر والضمائربقية من نور، وتلت الحوادث والأعمال والأقوال من معاوية ومن عماله وبطانته تشرح المجمل وتضع النقاط وتكشف المستور من مناهج هذه الدولة.

ومواقف الحسن وأقواله وسيرته إلى جنب ذلك تعرف الناس سبيل الهدى الذي اجتنبوه، ومناهج العدل الذي خذلوه والناس تسمع وتبصر وتعي وتزن؛ بملء أسماعها وأبصارها وأذهانها وعقولها، فأي اجراء اسلامي يستطاع في تلك الظروف هوأكبر من ذلك وأجدى للأُمة؟.

وكان من أثر هذه التمهيدات التي قام بها السبط الأوّل (ع) أنْ ترنح بناء الدولة الطاغية عند الضربة التي سدّدها شقيقه وخليفته الإمام الحسين (ع) ثم هوى الصرح وتدكدك البناء.

ولم يكن الحسين (ع) أقل ادراكاً لواقع المجتمع العراقي من أخيه الحسن

(ع) فقد رأى من خيانته وتخاذله واستسلامه للضغوط والمغريات مثل مارأى أخوه وأبوه من قبله، لذلك كلّه فقد آثر التريث ريثما يتوفر لشهادته أنْ تعطي النتائج التي تخدم الإسلام وتبعث اليقظة والروح النضالية في نفوس المسلمين، وراح يعمل على تهيئة المجتمع العراقي للثورة وتعبئته لها بدل أنْ يحمله على القيام بها في عهد معاوية حتى لا تكون نتائجها لصالحه وحده.

لقد مضى على ذلك في حياة أخيه وبعد وفاته، ففي حياة أخيه حينما فاوضته وفود الكوفة في الثورة على معاوية بعد أنْ يئسوا من استجابة الحسن(ع).

قال لهم أبو عبد اللّه (ع): **«صدق أخي أبو محمَّد فليكن كلُّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً»**[1].

وبعد أخيه (ع) كتب له أهل العراق يسألونه: أنْ يوافقهم على الثورة، فأصر على موقفه وكتب إليهم في جواب رسائلهم كتاباً جاء فيه:

«أمّا أخي فأرجو أنْ يكون اللّه قد وفقه وسدده فيما فعل، وأمّا أنا فليس من رأيي أنْ تتحركوا في عهد معاوية فالصقوا بالأرض واكمنوا في البيوت واحترسوا من الظنة والتهمة مادام معاوية حيّاً».

إلى كثير من مواقفه التي توكد أنّه كان يرى أنَّ الثورة في عهده لا تخدم مصلحة الإسلام والمسلمين شيئاً وأنَّ الخلود إلى السكينه والابتعاد عن كل مايثير الشبهات وضغائن الأُمويين عليه وعلى شيعته وأنصاره في حياة معاوية أجدى لمصلحة الإسلام، وفي الوقت ذاته كان يعمل لاعداد المجتمع العراقي وتعبئته بانتظار اليوم الذي يطمئن فيه لثورته وشهادته أنْ تعطي النتائج المرجوة.

وبالفعل فقد ازدادت الدعوة في عهد الحسين (ع) عنفاً وشدَّة وأخذت تربح أنصاراً في أكثر المناطق الإسلامية وبخاصة بعد أنْ جعل معاوية ولاية العهد

---

(١) ـ الأخبار الطوال: ٢٢١، الإمامة والسياسة ١/١١٧.

لولده الخليع المستهتر، وكان لكلّ حدث من أحداث معاوية صدى مدوياً في أوساط المدينة حيث الإمام الحسين (ع) الرّجل الأوّل الذي تتجه إليه الأنظار من كل حدب وصوب.

وقد أحس الأُمويون في الحجار بهذا الواقع ودب في نفوسهم الخوف من نتائجه، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية يحذره من التغاضي عن الحسين (ع) وأنصاره.

وجاء في كتابه إليه: إنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه الحجاز يختلفون إلى الحسين بن عليّ (ع)، وإنّي لا آمن وثوبه بين لحظة وأُخرى، وقد بلغني استعداده لذلك فاكتب إليّ برأيك في أمره[1].

ولم يكن معاوية في غفلة عن ذلك وكان قد أعدّ لكلّ أمر عدّته بوسائله التي كان يهيمن بها على الجماهير المسلمة.

والحسين (ع) يعرف ذلك ويعرف أنّ ثورته ستنجلي عن استشهاده، والاستشهاد بنظره لا وزن له ولا قيمة إذا لم يترك على دروب الناس وفي قلوبهم وهجاً ساطعاً يسيرون على ضوئه في ثورتهم على الظلم والطغيان وفراعنة العصور في كلّ عصر وزمان.

إنّ معاوية يدرك ويعي ما للحسين (ع) من منزلة في القلوب، وبأنّ ثورته عليه ستزجه في حرب يعكر عليه بهاء انتصاراته التي أحرزها في معركة «**صفّين**»، وفي صلحه مع الإمام الحسن بن عليّ (ع)، ولو قدر لها أنْ تحدث يومذاك فسوف يعمل بكلّ ما لديه من الوسائل لكي يتخلّص منه قبل استفحالها، وقبل أنْ يكون لها ذلك الصدى في الأوساط الإسلامية، ولو بواسطة ـ **جنود العسل** ـ التي كان يتباهى بها وقد استعملها للفتك بأخصامه السياسيين: كالحسين بن عليّ (ع)؛

---

(١) ـ رواه الكشي.

وسعد بن أبي وقاص؛ ومحمَّد بن حذيفة؛ وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ والأشتر النخعي، بعد أنْ أحس بخطرهم على دولته وأمويته العنصرية الحاقدة.

ولو تعذر عليه ذلك، فسوف يمارس جميع أشكال الاحتيال والتضليل والمراوغة، حتى لا يكون لشهادته ذلك الوهج الساطع الذي ينفذ إلى الأعماق، ويحرك الضمائر والقلوب ضد دولته وأعوانها، ولكي يبقى أثرها محدوداً لا يتجاوز قلوب اهله ومحبيه وشيعته إلى حين، ثم يطوي النسيان ذكراه كما يطوي جميع الذكريات والأحداث.

ولعلَّ ذلك هو الذي اضطر الحسين (ع) إلى التريث وعدم مواجهة معاوية بالحرب، ودعوة أصحابه وشيعته الّذين كانوا يراسلونه ويتوافدون عليه بين الحين والآخر إلى أنْ يلتصقوا بالأرض، ويكمنوا في بيوتهم، ويتحرسوا من كلّ ما يثير حولهم الظنون والشبهات، ما دام معاوية حيّاً، كما جاء في بعض رسائله إليهم.

وكما كان يعرف معاوية وأساليبه، كان يعرف أنَّ خليفته الجديد محدود في تفكيره، ينساق مع عواطفه وشهواته وتلبية رغباته إلى أبعد الحدود: بارتكاب المحارم والآثام والتحلل من التقاليد الإسلامية والنزق في تصرفاته ومعاملته لأخصامه، ومن أجل ذلك وقف المسلمون من بيعته موقفاً يتسم بالحذر والتخوف على الإسلام والمسلمين واعتبروها من أخطر الأحداث على مصير الأُمة ومقدراتها.

ومن ثم لم يكن من خلقه ولا باستطاعته مواجهة شهادة الحسين (ع) وتغطيتها بالاساليب التي اعتاد أبوه تغطية جرائمه بها، وكان كما يصفه البلاذري: من أبعد الناس عن الحذر والحيطة والتروي صغير العقل متهوراً سطحي التفكير لا يهم بشيء إلاّ ركبه[1].

---

(١) ـ أنساب الأشراف.

فلقد كان من أبعد الناس عن أنْ يواجه ثورة الحسين (ع) باسلوب أبيه، ولا بدّ أنْ يواجهها بالاسلوب الذي يتفق مع شخصيته وهو ما حدث في النهاية بالنسبة إليها وإلى غيرها من المشاكل التي واجهته خلال السنين الخمس التي حكم فيها بعد أبيه، وكانت تربيته المسيحية أو نشأته في الوسط المسيحي مع أمه «ميسون» تأبى عليه أنْ يلتزم اسلوب أبيه في الاحتفاظ بالغشاء الديني الذي كان يسد له على أفعاله وتصرفاته ويتستر به لدى العامة من الناس دجلاً وتضليلاً كما يدعي الكثير من الباحثين.

* * *

الفصل الثالث

﴿موقف الحسين (ع) من بيعة يزيد﴾

إنَّ من موبقات معاوية وبوائقه - **وهو بكلّه بوائق** - أخذ البيعة لابنه **«يزيد»** على كره من أهل الحلّ والعقد، ومراغمة لبقايا المهاجرين والأنصار، وإنكار من أعيان الصحابة الباقين تحت بوارق الإرهاب، ومعها طلاة المطامع لأهل الشره والشهوات.

كان في خَلَد معاوية يو م استقرَّت له الملوكيّة، وتمَّ له الملك العضوض أنْ يتَّخذ ابنه وليّ عهده ويأخذ له البيعة، ويؤسّس حكومة أُمويَّة مستقرَّة في أبناء بيته، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين يُعطي الأقارب ويُداني الأباعد[1]، وكان يبتلعه طوراً، ويجترُّ به حيناً بعد حين، يُمهِّد بذلك السبيل، ويسهِّل حزونته، ولمَّا مات زياد سنة (٥٣ هـ) وكان يكره تلك البيعة أظهر معاوية عهداً مفتعلاً على - **زياد** - فقرأه على النّاس فيه عقد الولاية - **ليزيد** - بعده، وأراد بذلك أنْ يسهِّل **«بيعة يزيد»** كما قاله المدائني[2].

وقال أبو عمر: كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرض بها

---

(١) - العقد الفريد ٢/ ٣٠٢.

(٢) - تاريخ الطبري ٦/ ١٧٠.

ولكنّه لم يكشفها ولا عزم عليها إلاّ بعد موت الحسن[1].

قال ابن كثير: وفي سنة ـ **ستّ وخمسين** ـ دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده أنْ يكون وليَّ عهده من بعده، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة ـ **المغيرة بن شعبة** ـ[2].

فروى ابن جرير، عن طريق الشعبي: أنَّ المغيرة كان قد قدم على معاوية وأعفاه من إمرة الكوفة فأعفاه لكبره وضعفه، وعزم على توليتها ـ **سعيد بن العاص** ـ، فلمّا بلغ ذلك المغيرة كأنَّه ندم، فجاء إلى يزيد بن معاوية فأشار عليه بأنْ يسأل من أبيه: أنْ يكون وليَّ العهد، فسأل ذلك من أبيه، فقال: مَنْ أمرك بهذا؟ قال: المغيرة.

فأعجب ذلك معاوية من المغيرة، وردّه إلى عمل الكوفة، وأمره أنْ يسعى في ذلك، فعند ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك، وكتب معاوية إلى زياد يستشيره في ذلك، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب ـ **يزيد** ـ وإقباله على اللعب والصيد.

فبعث إليه مَنْ يثني رأيه عن ذلك، وهو ـ **عُبيد بن كعب النمري** ـ وكان صاحباً أكيداً لزياد، فسار إلى ـ **دمشق** ـ فاجتمع بيزيد أوَّلاً فكلَّمه عن زياد، وأشار عليه بأنْ لا يطلب ذلك، فإنَّ تركه خيرٌ له من السعي فيه، فانزجر ـ **يزيد** ـ عمّا يريد من ذلك، واجتمع بأبيه واتَّفقا على ترك ذلك في هذا الوقت، فلّما مات ـ **زياد** ـ شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة ليزيد، وكتب إلى الآفاق بذلك[3].

---

(١) ـ الاستيعاب ١/ ١٤٢.

(٢) ـ توفي المغيرة سنة (٥٠ هـ)، وقدم على معاوية في سنة (٤٥ هـ)، واستعفاه من الإمرة وهي سنة بدوّ فكر بيعة يزيد في خلد معاوية بايعاز من المغيرة.

(٣) ـ تاريخ ابن كثير ٨/ ٧٩.

نعم، تمّت تلك البيعة المشومة مع فقدان أيّ جدارة وحنكة في يزيد، تؤهّله لتسنّم عرش الخلافة على ما تردّى به من ملابس الخزي وشية العار: من معاقرة الخمور، ومباشرة الفجور، ومنادمة القيان ذوات المعازف، ومحارشة الكلاب، إلى ما لا يتناهى من مظاهر الخزاية، وقد عرفته النّاس بذلك كلّه منذ أولياته، وعرّفه به أُناسٌ آخرون، وحسبك شهادة وفدٌ بعثه أهل المدينة إلى يزيد.

وفيهم: عبد اللّه بن حنظلة ـ **غسيل الملائكة** ـ ؛ وعبد اللّه بن أبي عمرو المخزومي ؛ والمنذر بن الزبير؛ وآخرون كثيرون من أشراف أهل المدينة، فقدموا على ـ **يزيد** ـ فأكرمهم، وأحسن إليهم، وأعظمهم جوائزهم، وشاهدوا أفعاله.

ثمَّ انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة كلّهم إلاّ المنذر، فلمّا قدم الوفد المدينة قاموا فيهم، فأظهروا شتم ـ **يزيد** ـ و عتبه وقالوا: إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، ويشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويُسامر الحُرّاب ـ **وهم اللصوص والفتيان** ـ، وإنّا نشهدكم انّا قد خلعناه فتابعهم الناس[1].

وقال عبد اللّه بن حنظلة ـ ذلك الصحابي العظيم المنعوت بالراهب قتيل يوم الحرّة ـ يومئذٍ: ياقوم! اتّقوا اللّه وحده لاشريك له، فواللّه، ما خرجنا على ـ **يزيد** ـ حتّى خفنا أنْ نرمى بالحجارة من السّماء: إنَّ رجلاً ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصّلاة، واللّه، لو لم يكن معي أحدٌ من النّاس لأبليت للّه فيه بلاءً حسناً[2].

ولّما قدم إلى المدينة أتاه الناس، فقالوا: ما وراءك؟ قال أتيتكم من عند رجل،

---

(١) ـ تاريخ الطبري ٧/ ٤، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٥، تاريخ ابن كثير ٨/ ٢١٦، فتح الباري ١٣/ ٥٩.
(٢) ـ تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٧٢.

والله، لو لم أجد إلاّ بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم[١].

وقال ـ **المنذر بن الزبير** ـ لمّا قدم المدينة: إنَّ يزيد قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ماصنع بي أنْ أُخبركم خبره، والله، إنَّه ليشرب الخمر، والله، إنَّه ليسكر حتى يدع الصّلاة[٢].

وقال ـ **عتبة بن مسعود** ـ لابن عبّاس: أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر، ويلهو بالقيان، ويستهتر بالفواحش؟

قال: مَه! فأين ماقلت لكم؟ وكم بعده من آت ممّن يشرب الخمر أو هو شرٌّ من شاربها؟ أنتم إلى بيعته سراع، أما والله، إنّي لأنهاكم وأنا أعلم أنَّكم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة، يعني: عبد الله بن الزبير[٣].

نعم، لم يكُ على مخازي ـ **يزيد** ـ من أوَّل يومه حجابٌ مسدول يُخفيها على الأباعد والأقارب، غيرأنَّ أقرب النّاس إليه وهو أبوه ـ **معاوية** ـ غضَّ الطرف عنها جمعاء، وحسب أنّها تخفى على الملأ الديني بالتمويه، وطفق يذكر له فضلاً وعلماً بالسياسة.

ومعاوية هو بنفسه ينددّ بإبنه في كتاب كتبه إليه، ومنه قوله: اعلم يايزيد! أنَّ أوَّل ما سلبكه السُكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة، وآلائه المتواترة، وهي الجَرحة العظمى، والفجعة الكبرى: ترك الصَّلوات المفروضات في أوقاتها، وهو من أعظم ما يحدث من آفاتها، ثمَّ استحسان العيوب، وركوب الذنوب، وإ ظهار العورة، وإباحة السرّ، فلا تأمن نفسك على سرَّك، ولا تعتقد على فعلك، الكتاب[٤].

---

(١) ـ تاريخ ابن عساكر: ٧/ ٣٧٢، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٥، الإصابة ٢/ ٢٩٩.

(٢) ـ كامل ابن الأثير ٤/ ٤٥، تاريخ ابن كثير ٨/ ٢١٦.

(٣) ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٦٧.

(٤) ـ صبح الأعشى ٦/ ٣٨٧.

إنَّ الناس كافة قد أجمعت على خلع - **يزيد** - ونبذه وعدم الإنقياد له، **لأنَّ** بيعة فاسق - **كيزيد** - ليست بجائزة كما لا يخفى، وقد أجمع المؤرخون - **قدامى ومحدثون** - على عدم أهلية يزيد للخلافة، وأنَّ معاوية لم يبايعه بولاية العهد إلاّ مدفوعاً بعاطفته الأبوية.

وكان معاوية على منبر رسول اللّه (ص) يأخذ البيعة - **ليزيد** - **فأخرجت** عائشة رأسها من حجرتها، وقالت: صه صه، هل استدعى الشيوخ بنيهم البيعة؟ فقال: لا، فقالت: فيمن اقتديت؟ فخجل معاوية ونزل من المنبر، وحفر حفرة لعائشة واحتال لها وألقاها فيه فماتت[1].

حاول معاوية أنْ يقيّد الحسين (ع) ببيعة يزيد فلم يظفر بذلك ولا بسكوته عنه، فقد وفد الحسين (ع) على مكة حاجاً قبل وفاة معاوية بسنة فجمع بني هاشم - **رجالاً ونساءً** - ومن حج في تلك السنة من الأنصار ممّن يثق بهم الحسين (ع) ويطمئن إليهم، وطلب من أصحابه أنْ يجمعوا له من حج أيضاً من الصحابة، فاجتمع إليه - **بمنى** - كما يدعي الراوي نحواً من سبعمائة.

فقام فيهم خطيباً واستعرض أحداث معاوية ومواقفه من الإسلام والمسلمين ومن أهل البيت وشيعتهم، وعدَّ بيعته ليزيد من أعظم الأحداث التي ارتكبها معاوية، وما ترك شيئاً ممّا أنزله اللّه من القرآن إلاّ وتلاه عليهم، ولا شيئاً ممّا جاء عن رسول اللّه (ص) في أبيه وأخيه وأُمه وفيه إلاّ ورواه لهم، وكان الصحابي يقول: نعم، لقد سمعنا ذلك من رسول اللّه (ص)، والتابعي يقول: لقد حدَّثنا بذلك الثقاة من أصحابه، ثم دعاهم إلى مناهضة حكم معاوية والاطاحة بسلطانه[2].

ويروي المؤرخون له عدداً من المواقف مع معاوية حينما أخذ يمهد لبيعة ولده

---

(١) - كتاب «أوائل الاشتباه»، الطرائف: ٢/ ٥٠٣.

(٢) - حياة الإمام الحسن ٢/ ٤٢٤ و ٤٢٥.

والاستجابة لها، وكان من جملتها جوابه عن كتاب كتبه إليه بهذا الخصوص جاء فيه: «يامعاوية ! فلن يؤدّي القائل وإنْ أطنب في صفة الرّسول (ص) من جميع جزءاً، وقد فهمت مالبست به الخلف بعدرسول اللّه (ص) من ايجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ البيعة، وهيهات هيهات يامعاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضّلت حتّى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتّى بخلت، وجرت حتّى جاوزت، مابذلت لذي حقّ من أتمّ حقه بنصيب حتّى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل.

وفهمتُ ما ذكرته عن ـ يزيد ـ من اكتماله وسياسته لأُمّة محمّد (ص) تُريد أنْ توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبق لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً.

ودعك عنك ما تحاول، فما أغناك أنْ تلقى اللّه بوزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه، فواللّه، مابرحت تقدّر باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتّى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا.

ولقد، لعمر اللّه، أورثنا الرّسول (ص) ولادة، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرّسول (ص) فأذعن للحجّة بذلك، وردّه الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: كان ويكون، حتى أتاك الأمر يامعاوية! من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أُولي الأبصار!

وذكرت قيادة الرّجل القوم بعهد رسول اللّه (ص) وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرّسول (ص) وبيعته له، وما صار ـ لعمرو ـ يومئذٍ حتى أنف القو م إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدّوا عليه أفعاله، فقال (ص): لا

جرم، معشر المهاجرين! لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري، فكيف يحتجّ بالمنسوخ من فعل الرّسول (ص) في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟

أم كيف صاحبت بصاحب تابع وحولك مَنْ لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطّاهم إلى مسرف مفتون؟

تُريد أنْ تلبس النّاس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، إنّ هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر اللّه لي ولكم»[1].

واستمر الحسين (ع) على موقفه من بيعة يزيد والتشهير بمعاوية وأحداثه وتحريض المسلمين على مناهضتها، وكان فيما استعمله معاوية من وسائل الضغط على الحسين (ع) أنّه منع بني هاشم من عطائهم حتى يبايع الحسين (ع) فلم تجده هذه المحاولة.

ومات معاوية والحسين (ع) لا يزال على موقفه منها وكان غيره من بعض وجوه الصحابة قد امتنع عن بيعة يزيد تأسياً بالحسين (ع)، وكما ذكرنا من قبل: فإنّ يزيداً لم يكن كأبيه في حزمه واحتياطه للأُمور ولم يلتزم اسلوب أبيه في الاحتفاظ بالغشاء الديني الذي كان معاوية يسدله على أفعاله وتصرفاته، فلمّا هلك معاوية كان أكبر همه حين آل الأمر إليه أنْ يلزم الحسين (ع) وَمَنْ كان قد تخلّف عن بيعته من وجوه الصحابة بالبيعة، فكتب إلى ـ **الوليد بن عتبة** ـ والي المدينة كتاباً يخبره فيه بموت أبيه، وكتاباً آخر يقول فيه: أما بعد، فخذ حسيناً، وعبد اللّه بن عمر؛ وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[2].

وعندما وصله الكتاب استدعى الحسين (ع) إليه ليلاً، فعرف الحسين (ع) مراده فأوعز إلى جماعة من اخوته وبني عمّه أنْ يرافقوه حتى إذا اشتدت

---

(١) ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) ـ نفس المصدر ١/ ٢٠٥.

الخصومة بينه وبين الوالي وأراد أنْ يستعمل العنف معه يستعين بهم.

وعندما دخل على الوليد أخبره بموت معاوية وعرض عليه كتاب يزيد بخصوص البيعة أرادالحسين (ع) كما يبدو من جوابه أنْ يتخلّص منه بالحسنى، فقال له: **«مثلي لا يبايع سراً فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم لها أرجو أنْ يكون أمرنا واحداً»**(١).

و كما يبدو من موقف الوليد مع الحسين (ع) أنّه كان يتمنى الخلاص وعدم التورط مع الحسين (ع) في خصومة تسيء إليه أو تجر مِنْ ورائها القتال فاقتنع بجواب الحسين (ع) ولم يبد أية ملاحظة عليه.

ولكن مروان بن الحكم أبت له أُمويته الحاقدة أنْ يخرج الحسين (ع) من مجلس الوالي مكرماً كما دخل فحاول استفزاز الوالي وشحنه على الحسين (ع) وقال: لئن فارقك الحسين (ع) ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن احبسه فانْ بايع وإلاّ فاضرب عنقه(٢).

وهنا لم يعد أمام الحسين (ع) في مقابل هذا التحدي الصارخ إلاّ أنْ يعلن عن موقفه من يزيد وحكومته وعن تصميمه على الثورة على الحكم الأُموي الجديد مهما كانت النتائج ومهما بلغت التضحيات وأنّه أصبح وجهاً لوجه أمام دوره التاريخي الذي يتحتم عليه أنْ يصنعه، لأنّ حكومة يزيد لن تأخذ صفة الشرعية مادام ممتنعاً عن البيعة ومعارضاً لها.

فوثب عند ذلك وقال: **«ويلي عليك، ياابن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت ولؤمت»**(٣)ثم أقبل على الوليد وقال: **«أيُّها الأمير! انّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح اللّه وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق فاجر شارب**

---

(١) ـ البداية والنهاية ٨/ ١٤٧، مقتل الخوارزمي ١/ ١٨٣.

(٢) ـ مقتل الخوارزمي ١/ ١٨٤. (٣) ـ نفس المصدر والصفحة.

للخمر وقاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[١].

وروي: أنَّ الوليد بتحريض من مروان ردَّ عليه بلغة تتسم بالغلظة والحدَّة وارتفعت أصواتهما فهجم مَنْ كان مع الحسين (ع) على باب الوليد وبيدهم الخناجر وأخرجوا الحسين (ع) من منزله[٢].

فقال مروان بن الحكم للوليد: لقد عصيتني، فواللّه، لا يمكنك من مثلها أبداً، فردَّ عليه الوليد بقوله: ويح غيرك يامروان! لقد اخترت لي ما فيه هلاك ديني، أقتل حسيناً إنْ قال لا أُبايع يزيداً، واللّه، إنَّ امرءاً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان يوم القيامة ولا ينظر اللّه إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم[٣].

وفي صبيحة ذلك اليوم التقى مروان بن الحكم بالحسين (ع) فنصحه ببيعة يزيد، وقال له فيما قال: إنَّها خير لك في دينك ودنياك، فردَّ عليه الحسين (ع) قائلاً: **«على الإسلام السلام إذا بليت الأُمة براع مثل يزيد بن معاوية، ولقد سمعت جدّي رسول اللّه (ص) يقول: الخلافة محرَّمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه** ـ فانصرف عنه مروان مغضباً ـ **ولقد تساهلت الأُمة مع معاوية فابتليت بمن هو أسوأ منه»**[٤].

لقد أعلن الحسين (ع) ثورته على يزيد ودولته بتلك الكلمات التي وجهها إلى الوالي بتوطيد دعائم حكمه في الحجاز وفي مدينة الرَّسول (ص) عاصمة الإسلام بالذات، ولم يكن الوالي يحسب أنَّ الحسين (ع) سيعلنها في مجلسه بتلك الصراحة، وفي المجلس مَنْ هم أشد عداء لمحمَّد (ص) وآل محمَّد (ع)

---

(١) ـ مقتل الخوارزمي ١/ ١٨٤.

(٢) ـ مثير الأحزان.

(٣) ـ تاريخ الطبري ٦/ ١٩، وجاء في تاريخ ابن عساكر ٤/ ٣٢٨: أنَّ أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث ـ **زوجة الوليد** ـ أنكرت عليه ما جرى منه مع الحسين (ع)، فأجابها: بأنَّه قد كان البادئ بالسب والشتم، فقالت له: أتسبه وتسب أباه إنْ سبَّك؟ فقال لها: لا أعود لذلك أبداً.

(٤) ـ انظر: اللهوف ، مثير الاحزان، مقتل الخوارزمي.

ولرسالة محمَّد (ص) من يزيد وأبيه، إنَّ فيه الوزغ ابن الوزغ طريد رسول اللّه (ص) الذي لا يستطيع أنْ يزيح عن قلبه ونفسه تلك العقد الدفينة التي خلفتها معاركهم مع الإسلام وانتصاراته التي أرغمتهم على التظاهر به مكرهين وما تلا ذلك من ابعادهم عن المدينة إلى مكان مقفر من بلاد الطائف وتحريض المسلمين على مقاطعتهم رداً على ايذائهم للنبيِّ (ص) وتجسسهم عليه وهو في بيته مع أهله ونسائه.

كل هذه المواقف الحسينية تشكل اعلاناً صريحاً لتصميمه على الثورة ومناهضته الحكم الأُموي بقيادة ـ **يزيد بن معاوية** ـ مهما بلغ حجم التضحيات في سبيلها، وقد بلغت مواقفه هذه ـ **يزيداً** ـ بأقصى ما يمكن من السرعة بواسطة جواسيسه والأُمويين الّذين كانوا يفاوضونه ويراقبون جميع تصرفاته وحتى أنفاسه.

ومن غير المستبعد أنْ تكون تلك المجزرة الرهيبة التي خطط لها ـ **يزيد** ـ وأمر جلاديه بتنفيذها في ـ **كربلاء** ـ مع العلويين وأنصارهم، وما ارتكبه في ـ **واقعة الحرة** ـ مسلم بن عقبة بأمره وتوجيهاته مع الأنصار من قتل ونهب واباحة لأعراض المهاجرين والأنصار للتنفيس عمّا كان في قلبه من كره دفين للعلويين والأنصار الّذين وتروه في أعمامه وأخواله وسراة قومه في ـ **بدر** ـ وغيرها من المعارك التي خاضوها ضد الإسلام لحماية الشرك والوثنية.

ويدّعي الرواة الّذين أحصوا ماجرى على المسلمين في المدينة من انتهاك للحرمات ونهب للأموال والممتلكات وقتل وتشريد وهم يقصون أخبار تلك المعركة: أنَّه قتل فيها ثمانون من الّذين شهدوا ـ **بدراً** ـ مع النبيِّ (ص) ـ أي من الّذين أذلّوا قريشاً وجبابرتها(١).

---

(١) ـ من الأدب الجاهلي: ١٣٦.

ومهما كان الحال فهذه المواقف التي أعلنها الحسين (ع) من بيعة يزيد قد بلغت يزيداً في حينها وأفقدته صوابه، ومضى يعمل بما يوحيه إليه نزقه ونزعاته للتخلّص من الحسين (ع) قبل أنْ يخرج من المدينة ويستفحل خطره، فدس رجالاً من جلاديه لقتله في المدينة قبل أنْ يغادرها إلى العراق أو أي بلد آخر.

ولعلَّ ذلك هو ما حدا بالحسين (ع) أنْ يغادر المدينة مع بنيه واخوته وبني عمومته من آل أبي طالب (ع) ونسائه إلى مكة ويفوِّت على حفيد هند آكلة الأكباد ما كان يخطط له من اغتيال الحسين (ع) واجهاض ثورته وهي لا تزال في مراحلها الأُولى، ولقد اختار لنفسه - **مكة المكرمة** - وهو في طريقه إلى الشهادة على تراب - **كربلاء** -، لأنَّ المسلمين كانوا يتوافدون إليها في الأشهر الأخيرة من كلّ عام للعمرة وللعبادة وأداء فريضة الحج.

لقد اختار مكة في المرحلة الأُولى من مراحل هجرته ليجتمع بمن يؤمها من مختلف الأمصار ويضع بين أيديهم ذلك المصير الأسود الذي يتخبطون فيه والأخطار المحدقة بالإسلام من دولة - **أبي سفيان** - العدو الأكبر لمحمَّد (ص) ورسالته، وما عزم عليه من الثورة والتضحية لانقاذ الأُمة وشريعة جدِّه من أُولئك الجلادين - **أحفاد أبي سفيان؛ والحكم بن العاص طريد الإسلام** - وغيرهم من مردة الأُمويين والمرتزقة حتى ولو كلَّفته حياته وحياة بنيه وإخوته وجميع أُسرته.

* * *

الفصل الرابع

﴿هدف الحسين(ع) من الثورة﴾

يتحدَّث الحسين (ع) عن سبب خروجه من المدينة، ورفضه للسلطة اليزيدية، وإعلانه للثورة على يزيد.

ويجيب على تساؤلات وأسئلة الكثيرين، ويحددّ هوية الحركة، ومعالم الإنطلاقة، وأُسس المواجهة مع النظام الأمويّ الجديد، ويعلن للملأ مِنَ النّاس في رسالة وجهها لأخيه - محمَّد بن الحنفية -، ويؤكد فيها أنَّ تردِّي الأوضاع: السياسية، والإقتصادية، والفكرية، والإجتماعية للأُمَّة، والإحساس بمسؤولية الإصلاح هي التي دفعته للتحرك والخروج مِنَ المدينة لقيادة المقاومة، ومجابهة الحاكم الأمويِّ الجديد.

فالإسلام يشترط في القائد الذي يقود الأُمَّة، ويمسك بزمام الأُمور: أنْ يلتزم بسيادة القانون، ويتجرَّد عن حبِّ التسلط واستغلال المنصب، وجعله طريقاً للإثراء والمتع واللذات والاستئثار.

ويزيد كما يعرفه الحسين (ع)، وتعرفه طبقات الأُمَّة، ليس له أهلية القيادة، ولا أخلاقية الإمامة، فهو شخصيّة خليعة ما جنة، جل اهتمامه اللهو واللعب، وجل اشتغاله بالنساء والخمور، وملاعبة الكلاب والقردة، وإنشاد الشعر، وسباق الخيل وصيد البراري.

إنَّ الأُمَّة الإسلامية تعرف: أنَّ الإمامة والقيادة لا تكون إلاّ لرجل قدوة في عمله وخلقه، واستيعابه لأحكام الشريعة وقوانينها، وإلاّ لمن توفرت فيه الحكمة والحنكةالسياسية.

فكيف يسلم الحسين (ع) - **ابن بنت رسول الله (ص)** - وزعيم الأُمَّة الذي تعقد عليه آمالها، وترى في شخصيته: القدوة والقيادة لها؟

لذلك رفض الحسين (ع) مبايعة يزيد، وأعلن الثورة والمواجهة المسلَّحة، وشرح في كتبه ومراسلاته مع الأقطار والأنصار: سبب تحركه، ووضح مبررات ثورته، ليفقههم بنظرته السياسية، وتحليله للأوضاع والظروف التي صنعتها أجواء التسلط والإنحراف والإستبداد.

فقد جاء في رسالته - **لأهل الكوفة** - يعرِّفهم بالمواصفات التي يجب أنْ يتَّصف بها الإمام لينمي وعيهم السياسي، ويعرِّف بشخصية القائد الذي تجب له البيعة والطاعة:

«فلعمري، ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدَّيان بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله».

وكتب إلى - **زعماء البصرة** -، وقادة الرأي والمعارضة فيها - **رؤساء الأخماس** - كتاباً، وأرسله مع أحد رجاله **«سليمان - أبا رزين»**، وجاء في هذه الرسالة:

«... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه (ص)، فإنَّ السنَّة قد أُميتت، وأنَّ البدعة قد أُحييت، وأنْ تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله».

.. وهكذا يثبت الإمام الحسين (ع) الأُسس والأُصول السياسية لنظرية الحكم، ويثبت قواعدها وأُصولها القانوني في القرآن.

لقد كان الحسين (ع) ينظر لشؤون الدولة والسياسة وقضايا الأُمَّة والقيادة والإمامة بمنظار القرآن، وكان يزيد ينظر إليها بنظر الحاكم المتسلِّط، فقد كان

الحسين (ع) يرى القيادة أداة ووسيلة لوضع الأُمَّة على طريق الهدى والصلاح، والعمل على تربية الإنسان، وبناء شخصيته، وتنظيم الحياة، وتطويرها نحو الخير والكمال.

فهو يرى الدولة الإسلامية دولة تقوم على أساس الإسلام، وتستمد منه قوانينها وتشريعاتها وقيمها الحضارية، ويرى أنَّ أجهزة السلطة هي القوة الحامية للمبادئ، والحارسة لأهداف الأُمَّة، والموكلة نيابةعنها بتطبيق القانون وإقامة العدل وتقديم الخدمات، وهي مسؤولة عن كلِّ ذلك أمام الأُمَّة وأمام اللّه سبحانه.

ومن خلال استقراء الكتب والحوار والخطب والمراسلات ودراسة الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمرحلة التي عاشها الحسين (ع) نجد:

١ـ الاستبداد والاستئثار بالسلطة فقد نشأت طبقة سياسية متميّزة، وحزب عشائري متفرِّد، هو ـ **الحزب الأموي** ـ فاستأثر بالسلطة والمال والإدارة، وحرَّم بقية أبناء الأُمَّة، حتى غدت الدولة حكراً للأُمويين، وملكاً خاصاً لهم.

٢ـ القتل والإرهاب وسفك الدماء.

٣ـ العبث بأموال الأُمَّة والدولة، ونشوء طبقة رأسمالية إلى جانب الفقر والحاجة في ذلك المجتمع، وعدم أهلية كثير مِنَ المتحكمين لإشغال المناصب وتولّي المسؤوليات.

٤ـ الإنحراف السلوكي: فقد بدأ الإنحراف يدبُّ في الحياة العامة، ومظاهر الفساد الإجتماعي تظهر في سلوك الأفراد والجماعة...

٥ـ غياب القانون، وتحكم المزاج والمصلحة الشخصيّة للحكام والولاة بدل الشريعة والقانون في مواقع خطرة وهامة مِنْ حياة الأُمَّة.

٦ـ نشوء طبقة: مِنْ وضّاع الحديث، والمحترفين لسنَّة رسول اللّه (ص)، والدَّاسين عليها، ونشوء فرق كلامية: كالمجبِّرة وغيرها، لتبرير السلوك السياسي

للسلطة والدفاع عنها.

وقد حفظ لنا التاريخ أرقاماً ووقائع تشهد بانحدار المجتمع وتباعده عن كثير مِنْ قيم الإسلام وقوانينه، وَمَنْ يقرأ تلك الفترة بإمعان يجد أنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) كانت ضرورة تاريخية، وأنَّ الظروف والأوضاع المتردية هي التي أفرزت عوامل الثورة وأسبابها، وأنَّ الحسين (ع) لم يجد مناصاً مِنَ التحرك والثورة، فلنأخذ مثلاً على ذلك: الوضع الأمني، والأمن الإجتماعي الذي ثبَّته الإسلام بقوله: ﴿**فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم مِنْ جوعٍ وآمَنهم من خوف**﴾، ﴿**وَمَنْ قَتَلَ نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنّما قَتَلَ النّاسَ جميعاً وَمَنْ أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثمَّ إنَّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون**﴾المائدة/ ٣٢.

والذي تدهور وانحطَّ إلى درجة الإبادة والإرهاب، فقد سلَّط الحزب الحاكم سيفه وسوطه وسجونه ودعايته على رقاب الأُمَّة، وخصوصاً أتباع أهل البيت (ع)، وزعماء المعارضة مِن أنصار الإمام عليٍّ والحسن والحسين (عليهم السلام).

وكان قبل خروجه (ع) من المدينة قد أعلن عن أهدافه من الثورة في وصيته لأخيه محمَّد بن الحنفية الذي جاءه متخوفاً عليه من غدر أهل الكوفة وتخاذلهم كما صنعوا مع أبيه وأخيه من قبله، وممّا جاء في وصيته (ع) إليه: «**إنّي لم أخرج أشِراً[1] ولا بطراً [2] ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي أُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحقّ فاللّه أولى بالحقّ، وَمَنْ ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي اللّه بيني وبين قومي بالحقّ وهو خير**

---

(١) ـ الأشِر: شديد المرح.

(٢) ـ البطر: شديد المرح بما عنده من نعمة.

الحاكمين»[1].

فالحقّ والاصلاح في أمة جدّه (ص) كانا هدفه الأوّل والأخير من ثورته وعلى أساسهما يدعو المسلمين لنصرته والوقوف إلى جانبه في ثورته على الظلم والجور والطغيان لا على أساس مكانته في نفوسهم أو قرابته القريبة لرسول اللّه (ص) لأنَّ مناصرتهم له على هذا الأساس تكرس النزعة القبلية التي حاربها الإسلام وأعادها الأُمويون بأقبح صورها وأشكالها.

وكانت مكة المكرمة هي المرحلة الأُولى من المراحل التي مرَّ بها في طريقه إلى ـ **ثرى الطف** ـ بعد أنْ توفرت لديه الدلائل على أنَّ ـ **يزيد بن معاوية** ـ **قد أوعز** إلى جلاديه باغتياله: إمّا بواسطة ـ **جنود العسل** ـ التي كان والده يتباهى باستعمالها للتخلّص ممّن يخاف منهم على دولته، أو بغيرها من وسائل الفتك والإجرام، ليعلن منها على تلك الحشود التي توافدت على مكة في ذلك العام بين حاج ومعتمر وشهدت عدداً لم تعرف له مثيلاً من قبل بعد أنْ شاع نبأ امتناع الحسين (ع) عن البيعة والتجائه إليها للاعداد للثورة ليعلن منها تصميمه على المضي في الثورة مهما كانت التضحيات، وكان عبد اللّه بن الزبير قد دخلها قبل الحسن بأيّام معدودات فتجاهله الناس بعد أنْ دخلها الحسين (ع).

إنَّ الناس لم يتعرفوا على ـ **ابن الزبير** ـ وعكفوا على الحسين (ع) يفدون عليه ويجلسون حواليه يستمعون إلى كلامه فينتفعون بما يسمعون ويضبطون مايروون عنه، فاضطر ـ **ابن الزبير** ـ أنْ يلازم مجلسه مع الناس ولم يكن شيء أثقل عليه من مكان الحسين (ع) بالحجاز ولا أحب إليه من خروجه منه طمعاً في الوثوب بالحجاز وهو يعلم بأنَّه ليس باستطاعته أنْ يحققّ شيئاً من أطماعه مادام الحسين (ع) موجوداً في الحجاز[2].

---

(١) ـ مقتل الخوارزمي ١/ ٨٨.

(٢) ـ كما جاء ذلك في «**مقاتل الطالبيين**» و«**أنساب البلاذري**» و «**إرشاد المفيد**».

لقد انصرف المسلمون عن ابن الزبير وتجاهلوه بمجرد أنْ وطئت قدما الحسين (ع) مشارف مكة المكرمة، لأنَّهم يعرفون ابن الزبير وأطماعه ويعلمون بأنَّه لم يعارض يزيد ولم يمتنع عن بيعته من أجل الإسلام والمعذّبين والمضطهدين وأنَّه لا يختلف عن غيره من ذوي الأطماع واذا قدر له أنْ يستلم السلطة في الحجاز أو غيره من المناطق الإسلامية فسيمارس نفس الجرائم التي يمارسها حفيد أبي سفيان إذا اقتضت مصلحته ذلك، ولا تزال مواقفه من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) في البصرة وغيرها ماثلة لهم، ويعلمون أنَّ الحسين (ع) هو الوريث الشرعي لثورة جدّه (ص) وأبيه وأخيه (ع) على الوثنية والجاهلية، ويعلمون بأنَّه لم يقف هذا الموقف من يزيد وأبيه إلاّ لمصلحتهم ومصلحة الإسلام ولم يقدم على التضحية بنفسه وبنيه واخوته وأبناء عمومته من أجل الملك والسلطان لأنَّ طلاب الملك والسلطة لا يقدمون على الانتحار.

ولم يقف أحد منهم إلى جانب ابن الزبير في الحجاز بعد استشهاد الحسين (ع) إلاّ لاعتقادهم بأنَّه أهون الشرَّين إذا قيس بالأُمويين، ولكنه خيَّب آمالهم وأمانيهم ومارس على الأُمة والعلويين نفس الضغوط والأساليب التي كانوا يمارسونها، وبلغ به الحقد على العلويين أنَّه ترك ذكر النبيّ (ص) والصلاة عليه في خطبة الجمعة وحينما أنكر عليه المسلمون ذلك قال: إنَّ له أُهيل سوء إذا ذكرته شمخوا بأُنوفهم، إلى غير ذلك من مواقفه.

لذلك كلّه فقد انهال الناس على الحسين (ع) خلال الأشهر الأربعة التي أقامها في مكة لأنَّه رجل الساعة ووجد ابن الزبير نفسه في عزلة تامة عن الناس فكان يتردد على الحسين (ع) كغيره ويتظاهر باستعداده لمناصرته وفي الوقت ذاته كان يستغل المناسبات ليرجح له التجاوب مع أهل العراق الّذين كانوا يتوافدون عليه ويراسلونه بين الحين والآخر وأنّه سيتولى الدعوة إليه في الحجاز ومساندته.

وكان الحسين (ع) يعي كلّ أهدافه ويعرف ما ينطوي عليه من الحقد لعليّ

وآل عليّ (ع)، وقال يوماً لجلسائه: **«إنّ ابن الزبير ليس شيء يؤتاه من الدُّنيا أحبُّ إليه من أنْ أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم بأنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لن يعدلوه بي فودَّ أنيّ لو خرجت منها لتخلو له»**(١).

وقال له ابن عباس (رض) وهو يحاوره في الخروج إلى العراق، ويحذره من غدرهم، وتخاذلهم عن نصرته، كما فعلوا بأبيه وأخيه (ع)، قال له بعد أنْ وجده مصراً على الخروج: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك اياه والحجاز والخروج منها وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك(٢).

وكان الحسين (ع) يستغل المناسبات ليكشف للملأ الإسلامي عن الدوافع والأسباب التي حملته على الخروج إلى العراق ومناهضة الحكم الأموي بقيادة يزيد الخليع المستهتر.

ففي مكة المكرمة وقبل أنْ يخرج منها بأيام قلائل وقف في حشد من المسلمين فحمد اللّه وصلّى على رسوله ثم قال: **«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير مصرع أنا لاقيه... إلى أنْ قال: أفلا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه يرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً، ألا وَمَنْ كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء اللّه نفسه فليرحل معنا فانّي راحل مصبحاً إنْ شاء اللّه»**.

وفي طريقه إلى كربلاء حينما التقى مع الحر الرياحي وكان قد سيره ابن زياد في ألف فارس من أهل الكوفة ليشرف على موكب الحسين (ع) وتحركاته ويحمله على دخول الكوفة، وكان قد علم بتخاذل أهل الكوفة ومصرع ابن عمّه ـ **مسلم بن عقيل (رض)** ـ وحينما حاول الحر أنْ يفرض على الحسين (ع) أنْ يسير بموكبه تحت اشرافه وقف الحسين (ع) وقال:

---

(١) ـ تاريخ الطبري ٤/ ٢٨٨، والكامل لابن الأثير، وأنساب الأشراف، مقتل الخوارزمي ١/ ١٩٠.
(٢) ـ مقتل الخوارزمي ١/ ٢١٧.

«أيُّها الناس! انَّ رسول اللّه (ص) قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام اللّه ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنَّة رسول اللّه (ص) يعمل في عباد اللّه بالاثم والعدوان فلم يغير ماعليه بفعل أو قول كان حقّاً على اللّه أنْ يدخله مدخله.

ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام اللّه وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير وبدل، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني فانْ بقيتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم.

فانّي الحسين بن فاطمة بنت رسول اللّه (ص)، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، وانْ نقضتم عهودكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيَّعتم وَمَنْ نكث فإنّما ينكث على نفسه»[1].

لقد كشف لهم عن الأسباب التي فرضت عليه أنْ يثور ويضحي بنفسه وبمن معه من أهله وأنصاره بصفته مسؤولاً عن حماية الإسلام من التحريف والتشويه، وعن حقوق الأُمة ومقدراتها وكرامتها كما يشعر بذلك قوله (ع):

«وأنا أحقُّ من غيَّر» - أي أنَّه (ع) أحقّ بمقاومة مَنْ غيَّر وبدَّل من جميع المسلمين، وأعاد الأُمور إلى نصابها.

وفي طريقه إلى كربلاء كان يكشف لمن يلتقي بهم وينصحونه بأنْ يعيد النظر في موقفه من الحاكمين ولا يغتر بأهل الكوفة ومواعيدهم، كان يكشف عن أسباب ثورته ومبرراتها التي تفرض عليه أنْ يقف من السلطة هذا الموقف.

وفي اليوم العاشر من المحرم وقبل أنْ تحتدم المعركة وقف بين الصفين وطلب من القوم أنْ ينصتوا لحديثه ويستمعوا لقوله، فتكلّم وأسهب في حديثه واستعرض مواقف أهل الكوفة مع أبيه وأخيه (ع) وطاعتهم العمياء ليزيد وأبيه بدون مقابل

---

(١) - تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٤، الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨٠ وغيرهما من المجاميع.

سوى خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ووصفهم بما يليق بهم من الغدر ونقض الوعود والمواثيق وتحريف الكتاب والسنّة وما إلى ذلك من جرائمهم.

وانتهى (ع) إلى القول: **«ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»**(١).

ثم قال (ع): **«ألا وإنّي قد أعذرت وأنذرت، وإنّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلّة العدد وكثرة العدد وخذلان الناصر»**(٢).

وعقب على ذلك بقوله (ع):

فإنْ نهزم فهزامون قدماً ... وإنْ نغلب فغير مُغَلَّبينا

وما أنْ طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

إذا ما الموت رفع عن أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا

فأفنى ذلكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الغابرينا

فلو خلد الملوك إذَنْ خلدنا ... ولو بقي الكرام إذَنْ بقينا

فقل للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا(٣)

وخلال اقامة الحسين (ع) بمكة كانت تعج بوفود الكوفة وكلّ وفد يحمل معه عشرات الرسائل من عشائرها وزعمائها يطلبون إليه الاسراع في التوجه إليهم حتى اجتمع عنده مائة وخمسون كتاباً، وقال بعض المؤرخين: إن كتبهم بلغت اثني عشر ألف كتاب، وقيل: إنّها كانت في خرجين مملوءين من كتبهم ورسائلهم، كما تشير ذلك: **رواية الطبري؛ والكامل لابن الأثير؛ وأعلام الورى،** وجاء فيها: إنّ الحسين (ع) لمّا التقى بالحر ومَنْ معه وذكرهم بكتبهم إليه ردوا عليه

---

(١) - (٢) - (٣) - لواعج الأشجان: ١١٣ - ١١٦.

بقولهم: والله، ماندري ما هذه الكتب التي تذكر؟!

فقال الحسين (ع) لعقبة بن سمعان: **«اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ»**[١]، فأخرج خرجين مملوءين كتباً فنشرها بين أيديهم.

وبلا شك فإنَّ ـ **يزيد بن معاوية** ـ كان على صلة بكلّ ما يجري وما يحدث، وكما حاولَ اغتيال الحسين (ع) في المدينة فقد حاول اغتياله في مكة، واستغل موسم الحج لهذه الغاية فأرسل ـ **عمر بن سعيد** ـ في جماعة من جلاديه وولاّه أمر الموسم كما كانت العادة، وأمره بالفتك بالحسين (ع) أينما وجده حتى ولو كان في الكعبة، وحينما علم الحسين (ع) بذلك خرج من مكة يو م التروية في الثامن من ذي الحجّة، ويؤكد ذلك قوله لأخيه محمَّد بن الحنفيّة وهو يحاوله أنْ يبقى في مكة: **«لقد خفت أنْ يغتالني يزيد في الحرم فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت»**[٢].

وحاول ابن عبّاس؛ وعبد الله بن جعفر؛ وابن عمر؛ وجماعة من أعيان الصحابة والتابعين معه أنْ يعيد النظر في تحركه نحو العراق فلم يستجب لطلبهم.

وقال له ابن عباس؛ وابن الحنفية: إذا كنت لابدَّ فاعلاً فلا تأخذ معك أحداً من حرمك ونسائك وأطفالك، فإنّا نخاف عليك أنْ تقتل وهم ينظرون إليك.

فلم يستجب لطلبهم، وكان ردَّه الأخير على محاولاتهم: **«لقد أمرني جدّي رسول الله (ص) بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه»**.

وفي بعض الروايات: **«لقد شاء الله أنْ يراني قتيلاً، وأنْ يرى حرمي ونسائي سبايا»**[٣].

لم يغب التخطيط الإلهي في أي مِنْ حركات التاريخ ومنعطفاته المهمة،

---

(١) ـ مقتل الحسين للمقرم.

(٢) ـ الكامل ٤/ ٢٠.

(٣) ـ البحار ١٠/ ١٨٤.

فكيف بالإمام المسدَّد مِنَ اللّه تعالى، وهذا التخطيط الإلهي يسير في اتجاه تعميق مفهوم الإمامة بطريقة تتناسب ووعي الأُمَّة.

ولمّا كان اجماع المؤرِّخين المسلمين على أنَّ الأُمَّة الإسلامية كانت في أحط درجات وعيها، فكان لزاماً أنْ يكون المثير على درجة كبيرة مِنَ «الاثارة»، لذلك فإنَّ استشهاد الحسين (ع) كان في أعلى درجاته.

لأنَّ العائلة هي عامل تثبيط للعزائم، وعامل اغراء للإغتراف مِنْ ملذات هذه الدُّنيا، والركون والاطمئنان إليها، لذلك فإنَّ استشهاده بين أفراد عائلته ضرب المثل الأعلى في «جهاد النفس» في مواجهة مغريات الحياة.

ولم يكتفِ بذلك بل قدَّم عائلته فرداً فرداً قرباناً للّه تعالى بهدف اذكاء المشاعر وتحريكها، وأمَّا وجود الإمام السجاد (ع) ومرضه ثمَّ سلامته فإنَّه يدخل ضمن التخطيط الإلهي لإعداد الإمام السجاد (ع) لمرحلة ما بعد الحسين (ع)، فكانت المعاناة التي عاشها (ع) برؤيته ساحة المعركة، وكأنَّ خلاصة الأُمَّة مِنْ ـ برها وفاجرها ـ قد اجتمعت في أرض ـ الطف ـ ، فكان زهده وحزنه مِنْ تلك المعاناة، وكانت تلك المعاناة ضرورية لأنَّها تمثل النقيض تماماً لحياة الدعة والمجون واللامبالاة التي كانت غارقة فيها أكثرية الأُمَّة آنذاك.

ثمَّ إنَّ بقاءه (ع) كان ضرورة لقيادة الركب الحسيني إلى الشام، إذْ لو تمَّ ذلك بدون إمام لفقد الركب الإعلامي رخصته الشرعية في المسير.

إنَّ الركب الحسيني قد قام بدور إعلامي ـ وهذا ما يعتقده كثير من المؤرِّخين ـ، ولكن الحقيقة: أنَّ الركب الحسيني قد قام بالإضافة إلى دوره الإعلامي بنقل المعركة إلى أرض الشام.

فقد أخبرنا التاريخ عن عدَّة حالات انكشفت فيها الحقيقة للنّاس، فقام بعض ـ على قلّتـهم ـ بقول الحقّ، واستنكار أعمال يزيد، فاستشهدوا على أثر ذلك، وكانت هذه الظاهرة مشجعة آنذاك في مجتمع الشام الموالي ـ قلباً وقالباً ـ ليزيد،

ومن قبله معاوية، فإذا كان أنصار الحسين (ع) في العراق أقل مِنْ ستين رجلاً!! فإنَّ ثلاثة أو أربعة مِنْ بلاد الشام تعتبر نسبة كبيرة بالمقارنة!.

إنَّ عائلة الحسين (ع) تمثل نموذجاً لأُناس فهموا معنى الإمام ووجوب طاعته، فلم ينقل لنا التاريخ - وقد كُتِبَ بأيدٍ جلّها معادية للإمام -: أنَّ أحداً منهم قد تمرَّد أو تذمَّر، فلو كانت الطاعة طاعة الابن لأبيه فقط لقرأنا غير الذي نقرؤه.. وإلاَّ فإننا لا يمكن أنْ نفسر بروز حدث بعمر عشر سنين إلى جيوش مؤلَّفة مِنْ أربعة آلاف دون أنْ يعتريه هاجس الخوف أو التردد على أنَّه طاعة للأب أو العم.. بل أنَّه مفهوم - الإمامة - الذي تعمق فيهم، فالحسين (ع) إمام لهم قبل أنْ يكون أباً أو أخاً أو عمّاً.

وخرج من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجَّة سنة ستين من هجرة الرَّسول (ص) إلى المدينة بعد أنْ طاف وسعى وأحل مِن إحرامه، والناس يخرجون بثياب الإحرام إلى - عرفة - لإتمام أركان الحج وشروطه، وكانت هجرته فراراً من الموت الخاطف الذي خطط له حفيد أبي سفيان، والذي لا يستفيد منه سوى يزيد وذويه من الأُمويين، ولن يخدم الإسلام بشيء، وكلّ ما في الأمر أنَّ قتله على ذلك النحو يثير الأسى والألم في قلوب أهله وأُسرته ومحبيه إلى حين ثم يطوي النسيان ذكراه كما يطوي جميع الذكريات.

لقد هاجر قبل أنْ يَتِمَّ حجَّة فراراً من الموت العاجل إلى الشهادة التي تنتظره على صعيد الطف بعد ثلاثين يوماً أو تزيد من تاريخ هجرته، والتي أقضت مضاجع الظالمين وزعزعت عروشهم، وفوَّتت على أحفاد - أمية - الكثير من مخططاتهم المعادية للإسلام، كما كانت هجرة جدّه الرَّسول الأعظم (ص) من مكة إلى يثرب فراراً من الموت الذي خططه له - أبو سفيان - وطواغيت قريش قبل ستين عاماً للقضاء على الإسلام بموته، وقدمت الهجرتان للإسلام وللإنسانية معالم لاتحصى وإنْ اختلف منحاهما وسبيلهما.

* * *

الفصل الخامس

﴿هجرة الحسين (ع)﴾

عزم الحسين (ع) على الرحيل، فجمع نساءه وأطفاله، وأبناءه وإخوته وأبناء أخيه وأبناء عمومته، وشدَّ رحاله وهيّأ قطاره، وقرر الخروج من مكة المكرمة.

انتشر خبر قرار الهجرة، وسرى بين الناس نبأ رحيل الحسين (ع)، فاتجهت القلوب نحوه والنفوس اليه، تتشبث به، وتناشده العدول عن رأيه، وقد تملكها الخوف من غياب شخص الحسين (ع) وأُفول نجمه، وراح العديد مِنْ مخلصي الحسين (ع) والمشفقين عليه يتشبثون ويستشفعون اليه، علّه يعدل عن رأيه ويتراجع عن قراره.

اعتذر الحسين (ع) عن كل رأي يطالبه بالهدنة، ورفض كل مسعى يحثه على القعود عن التحرك والمواجهة، فقد كان له قرار، وكانت لديه رؤية عقائدية وسياسية واضحة، وبصيرة بمجرى الأحداث وقوانين الصراع والاختبار التاريخي، لقد أحس الحسين (ع) أنَّ خطراً داهما يهدِّد الإسلام، وأنَّ قعوده وسكوته لا يعني السلامة.

.. فيزيد لا يهادن قيادة مبدئية كالحسين (ع)، والحسين (ع) لا يطلب حياة الدعة والإسترخاء على حساب المبادئ، والقيم، وانَّ الأُمَّه التي ترى في الحسين (ع) القائد والرائد، ستفقد ثقتها بقيادتها وستركن للخنوع، وسترى قطاعات واسعة من جماهير الأُمَّة ي سكوت الحسين (ع) الإقرار والشرعية في حكومة يزيد.

فقد صار الحسين (ع) المعيار والمقياس لشرعية الحكم وعدمه.

لابدَّ للحسين (ع) من المسير وإعلان الثورة، لذلك اعتذر من: عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومِنْ محمَّد بن الحنفيَّة (أخوه)، ومن ابن عمِّه عبد اللّه بن جعفر، وعبد اللّه بن عباس، ولم يرضخ لاقتراحاتهم، بل رفض الأمان الذي حصل عليه عبد اللّه بن جعفر الطيار من عمرو بن سعيد العاص - **عامل يزيد على مكة** - ، وصارحه بأنَّ سرّاً كبيراً وغايةً عظيمةً يستبطنها الموقف، وليس بوسعه أنْ يبوح به.

لقد خاطب عبد اللّه بن جعفر بقوله:

«إنّي رأيت رؤيا، رأيت فيها رسول اللّه (ص)، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ فيه، عليّ كان أولى»، فقال: ما تلك الرؤيا؟ قال: **«ماحدثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها أحداً حتى ألقي ربّي»**.

إنَّ هناك سرّاً عظيماً، وحقيقة كبرى تكمن في حركة الحسين (ع)، وتتركز في ثورته، فإنَّ الذي يتابع الحوار والإلحاح والنصيحةالتي قُدمت للحسين (ع) من أصحابه وأهل بيته(ع) وكلّهم يتوقع الخيانة، ويعرب للحسين (ع) عن مخاوفه من عدم الوفاء، يُدرك أنَّ للحسين (ع) قراراً وهدفاً لا يمكن أنْ يتراجع عنه، فقد كان واضحاً من خلال اصراره، وحواره أنَّه يتوقع النتائج التي آل إليها الموقف، ويشخصها بدقة ووضوح، إلاّ أنَّه كان يرى واجبه الرسالي ومسؤوليته الشرعية تملي عليه الحركة والتصدي للسلطة الأُموية القائمة، مهما يكن الثمن فادحاً، والعطاء من جانبه عظيماً.

لقد هاجر رسول اللّه (ص) من مكة إلى يثرب لأجل رسالته بعد أنْ تآمرت قريش على قتله للتخلّص منها وبعد أنْ وجدت أنَّ جميع وسائل العنف[1]التي

---

(١) - وإننا لنأسف من أنه لا يسعنا في هذه المقالة الموجزة أنْ نستوعب جميع القصص المحزنة والصور الفريدة التي=

استعملتها معه وجميع المغريات [١] التي بذلتها له على اختلاف أصنافها وألوانها لم تغيّر من موقفه شيئاً، وكان ردّه الأخير على عروض - **أبي سفيان وأبي جهل** - ومغرياتهما: **«والله، لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر أو أموت دونه»** [٢].

= تعرض لها النبيُّ (ص) والمسلمون في صدر الإسلام وأيامه الأُولى، ولكننا يمكن أنْ نقول: إن المشركين وأعداء الإسلام مثل: أبي جهل؛ أبي سفيان؛ أبي لهب؛ الأسود بن عبد يغوث؛ العاص بن وائل؛ عتبة وشيبة ابني ربيعة؛ الوليد بن المغيرة؛ عقبة بن أبي معيط؛ لم يدعوا وسيلة إلاّ واستعملوها لمناهضة الإسلام وحربه والوقوف في وجهه، من تهم رخيصة، وسبّ مقذع، وحصار اقتصادي ومالي، وتعذيب نفسي ضدّ محمّد (ص) وأتباعه المسلمين.

راجع: **الكامل لابن الأثير** ٢/ ٦٦ - ٦٧ (**ط/ بيروت**)، **إعلام الورى للطبرسي**: ٤٧ - ٤٨، **مناقب ابن شهرآشوب** ١/ ٥٦، وغيرها.

(١) - جاء إليه زعماء قريش ذات مرّة، وقالوا له: يامحمّد! إنْ كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنت إنّما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإنْ كان هذا الّذي يأتيك رئيّاً تراه قد غلب عليك - **وكانوا يسمون التابع من الجن «رئيّاً»** - فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطّبيب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله (ص): **«مابي ما تقولون: ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أنْ أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالات ربّي، ونصحت لكم، فإنْ تقبلوا مني فهو حظكم في الدُّنيا والآخرة، وإنْ تردّوه عليَّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني بينكم»**.

السيرة لابن هشام ١/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) - ولمّا رأت قريش أنَّ جميع أساليبها لم تنفع في كفِّ محمّد (ص) عن تبليغ رسالته، قنعوا واكتفوا منه أنْ يكفَّ عن شتم آلهتهم ويتركوه وشأنه، لذا جاؤا إلى أبي طالب (ع) وطلبوا منه أنْ يبلغ محمّداً (ص) مقالتهم، فأرسل أبو طالب (ع) إلى النبيِّ (ص) فلمّا دخل عليه أخبره باقتراحهم.

فقال النبيُّ (ص): **«ياعم! أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم، أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة: تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم»؟**

فقال أبو جهل: ماهي؟ وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها؟

قال النبيُّ (ص): **«أنْ تقولوا: لا إله إلاّ الله»**، فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، فقال رسول الله (ص): **«لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها»**

تاريخ الطبري ٣/ ١١٧٦.

وعادت قريش تخطط من جديد للقضاء على رسالته ولو من خلال القضاء عليه لا سيما بعد أنْ توالت لديها الأخبار: بأنّه سيتخذ من يثرب[1] مَقراً لدعوته، وأنّها ستكون من أعظم معاقلها ومنها ستنطلق إلى العالم بأسره، فاجتمع قادتها في مكان يعرف ـ بدار الندوة ـ يتداولون في أمره، ويتبادلون الرأي في الأسلوب الذي يخلّصهم منه، واقترح بعضهم: أنْ يضعوه في بيت من البيوت مكبلاً بالحديد إلى أنْ يأتيه أجله، كما اقترح آخرون: أنْ يطرد من مكة ليتحمل غيرهم من العرب مسؤولية قتله.

إلى غير ذلك من الآراء التي لم تحظ بموافقة الجميع أو الأكثرية، وأخيراً أتفق الجميع على قتله على أنْ تشترك جميع القبائل في ذلك بأنْ تختار كلّ قبيلة فتى من خيرة فتيانها ويتولّى أُولئك الفتيان تنفيذ هذه المهمة لكي تتوزع المسؤولية على الجميع إذا طالب الهاشميون بدمه، واتفقوا على الزمان الذي يتم فيه التنفيذ[2]، وما أنْ تم هذا الاتفاق حتى أخبر اللّه تعالى نبيّه (ص) بكلّ ما جرى في

---

(١) ـ في أحد مواسم الحج التقى النبيُّ (ص) في المسجد الحرام بعدد من كبار «الخزرج» فدعاهم إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين السلام والأخوة المثلى... ووجد هذا النفر من الخزرجيّين في الإسلام ضالّتهم المنشودة... فقد كانوا يعانون الكثير من صراعهم المزمن مع «الأوس».

وكان هذا الصراع قد بعث في هذه الفترة بالذات من جديد، فاستجابوا لدعوة النبيّ (ص) بكلّ إخلاص... وطلبوا منه أنْ يرسل معهم مَنْ يعلمهم أُمور دينهم، فأوفد معهم مصعب بن عمير (رض).

وهكذا بدأت الدعوة إلى الإسلام تنتشر في «يثرب» ... وأخذ أهلها يدخلون في دين اللّه أفواجاً، وكان من العوامل الرئيسة والفعالة في اعتناق هؤلاء لهذا الدين الجديد آيات اللّه البينات التي تتلى عليهم، وكَتَبَ مصعبٌ إلى النبيّ (ص) يخبره بإسلام علية القوم مِنَ الأوس والخزرج.

بعد هذا التقى النبيّ الأعظم (ص) بمجموعة كبيرة من أهل يثرب قدموا لأداء فريضة الحج... التقى بهم سرّاً فبايعوه على أنْ يحموه ويدافعوا عنه إذا قدم إليهم كما يدافعون عن نسائهم وأولادهم.

هذه البيعة المصيرية في تاريخ الرسالة الإسلامية كانت دليلاً على أن غرسة الإسلام بدأت تؤتي أُكلها...

إعلام الورى: ٥٥ ـ ٦١ (ط/ النجف الأشرف/ ١٣٩٠هـ).

(٢) ـ تاريخ الطبري ٣/ ١٢٢٩، إعلام الورى: ٦١ ـ٦٢، سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤، نصب الراية للزيلعي ٢/ ١٢٩، وأخرجه البخاري في «المغازي» ٢/ ٥٨٢، وفي «التفسير» ـ بلفظ: فلاناً وفلاناً، ولم يُسم أحداً تحفظاً على كرامة أبي سفيان وشاكلته.

اجتماعهم[١] بالآية: ﴿**وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾.

والذي تعنيه الآية أنَّ الله سبحانه قد فوَّت عليهم تنفيذ هذه المؤامرة، وأخبر رسوله (ص) بها، وأمره بالخروج من مكة في ظلام اللّيل، وأنْ يأمر علّياً (ع) بالمبيت على فراشه قبل خروجه ليوهمهم بأنَّه لا يزال في الفراش، واستقبل عليٌّ (ع) هذا التكليف بالارتياح عندما علم بأنَّ النبيَّ (ص) سيسلم من تلك المؤامرة وهانت عليه الحياة في هذا السبيل، وقال للنبيِّ (ص): «**أو تسلم يارسول الله إنْ فديتك بنفسي؟ فقال له: نعم، بذلك وعدني ربّي**».

فرحب (ع) بذلك وتبدد ما كان يساوره من خوف وقلق على النبيِّ (ص) وتقدَّم إلى فراشه في تلك الليلة التي أُعدت لتنفيذ المؤامرة مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الفؤاد واتشح ببرده الحضرمي الذي اعتاد أنْ يتشح فيه.

هذا والقوم ينظرون من نوافذ البيت إلى فراش النبيِّ (ص) فيرون فيه شخصاً يظنونه النبيّ (ص) وعندما حان الوقت وتقدَّموا إلى فراشه للتنفيذ قفزعليٌّ (ع) من الفراش كالمارد مسلّطاً سيفه، فانهزموا بين يديه كما تنهزم المعزى إذا شدَّت عليها الذئاب، وردَّ الله الّذين كفروا بغيضهم لم ينالوا شيئاً[٢].

---

(١) ـ تاريخ الطبري ٣/ ١٢٣١، بحار الأنوار ١٩/ ٦٠.

(٢) ـ وجرّد أُولئك النفر المشؤومون الّذين كانوا يحاصرون البيت سيوفهم... وهجموا باتّجاه فراش النبيِّ (ص)، ولكم كان هول الصدمة قاسياً حين رأوا علّياً (ع) على فراشه (ص).

وأسقط في أيديهم... وباضطراب، سألوا: أين ابن عمِّك محمَّد؟!! قال عليٌّ (ع): «**أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم له: اخرج عنا، فقد خرج عنكم فما تريدون؟...**».

وحين رأت قريش أنْ كلَّ جهودها قد ذهبت سدىً شعرت بأنَّها طعنت كبرياءها في الصميم، فحاولت جاهدة العثور على رسول الله (ص)... ولكن لم يحالفها النجاح.

تاريخ الطبري ٢/ ١٢٣٤، إعلام الورى: ٦٣.

وتمت الهجرة في جوف اللّيل وفي ظلامه الدامس من مكة إلى الغار، ومنه إلى يثرب[١] في السادس من ربيع الأوَّل بعد مضي ثلاثة عشر عاماً على بعثته.

وهذا الوقت قد اعتمده المسلمون تاريخاً[٢] لهم في عهد - **عمر بن الخطّاب** - على أثر خصومه بين اثنين في دين، يدَّعي الدائن استحقاقه في شعبان بموجب سند بيده، والتفت الخليفة إلى الدائن قائلاً: أي شعبان هذا؟ أشعبان هذه السنة أو التي بعدها؟ ولم يكن للمسلمين حينذاك تاريخ يخصهم، فكان بعضهم يؤرِّخ - **بعام الفيل** - وبعضهم - **بحرب الفجار** - وأكثرهم كانوا يعتمدون تواريخ الدول المتآخمة لحدود الحجاز.

واختلفت آراء الصحابة في الزمان الذي يعتمدونه لتاريخهم وكادوا أنْ يتفرَّقوا من غير أنْ ينتهوا إلى نتيجة حاسمة لولا أنَّ علياً (ع) قد حسم نزاعهم باقتراحه لهجرة الرَّسول (ص) من مكة إلى المدينة، فأعجب ابن الخطاب برأيه وهتف قائلاً: لا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبو الحسن، واقترن رأيه هذا باعجاب الحضور واجماعهم عليه، لأنَّ هجرة الرَّسول (ص) كانت نقطة الانطلاق لانتصار الإسلام على الشرك والوثنية وحدثاً تاريخياً لا يزال من الأحداث البارزة

---

(١) - بقي النبيُّ (ص) في - **غار ثور** - ثلاثة أيّام، ثمَّ اتجه إلى - **يثرب** - وكانت هذه الفترة كافية لزرع اليأس في قلوب الكفار ليكفوا عن ملاحقته، والتاريخ يذكر لنا أنَّ رجلاً مكيّاً يدعى «**سراقة بن مالك**» كان قد تتبع أثر الرَّسول (ص)، ولكنّه مرَّ بصعوبات وعثرت به الفرس وأسقطته أرضاً، ممّا دعاه لأنْ يتوب ويرجع.

سيرة ابن هشام ٤٨٩/١، بحار الأنوار ٨٨/١٩.

(٢) - وبعد دخول النبيّ (ص) - **يثرب** - تغيَّر اسمها فأصبح (**المدينة المنورة**).

معجم البلدان: مادة «**يثرب**»، مجمع البحرين: مادة «**يثرب**».

ثمَّ إنَّ هذه السنة التي غادر (ص) فيها مكّة إلى المدينة أصبحت بداية للتاريخ الهجري... وذلك لما تحمله الهجرة من معان جليلة... وسيظل بقاء الإسلام مديناً للمدينة المنورة.

وستظل جهود رسول اللّه (ص)، والقلوب التي لامس الإيمان شغافها... فوق كلّ الجهود... ومن قبل كلّ هذا ومن ورائه توفيق اللّه وتسديده... ﴿**ويَأبَى اللّهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ**﴾.

في تاريخ الدعوة إنْ لم يكن أبرزها.

ولم يحدث التاريخ عن المسلمين الأوائل أنَّهم اعتبروا أوَّل محرَّم أوَّل يوم من أيّام السنة الهجرية، ولا عيداً من أعيادهم، والظاهر أنَّ هذا لم يحدث إلاّ بعد مقتل الحسين (ع) وبعد أن اعتبر شيعة أهل البيت الأيَّام الأُولى من شهر المحرَّم أيّام حزن على الحسين (ع) ومن قتل معه من أهله وأصحابه، فاعتبرها أعداء الشيعة من الأُمويين وغيرهم بداية للسنة الهجرية وعيداً من أعياد المسلمين، ولا يزال المسلمون ومع الأسف الشديد يعتبرون أوَّل يوم من شهر المحرَّم عيداً من أعيادهم.

ومهما يكن الحال فلقد كانت هجرة النبيِّ (ص) من مكة إلى المدينة في السادس من ربيع الأوَّل، وفي اليوم الثاني عشر كان النبيُّ (ص) في المدينة وأنقذه اللّه سبحانه من تلك المؤامرة الدنيئة التي استهدفت حياته ورسالته، وحاك خيوطها شيخ الأُمويين يومذاك ـ **أبو سفيان بن حرب** ـ للقضاء على الرسالة التي غيَّرت مجرى التاريخ.

وسلم محمَّد (ص) لرسالته التي أرغمت أبا سفيان وطواغيت قريش بعد سنوات قليلة من تلك الهجرة على الاستسلام بقلوبهم المشركة الحاقدة يتململون بين أقدام طريدهم بالأمس يستجدون عفوه ورأفته أذلاء صاغرين.

وقد أبت نفسه الكبيرة التي اتسعت لتعاليم الإسلام ورسالة الإسلام، إلاّ أنْ تتسَع لأبي سفيان وحتى لزوجته هند ـ **آكلة الأكباد** ـ وغيرهما مِنَ المشركين والمشركات.

وأعلن العفو العام عن أُولئك الّذين لم يتركوا لوناً من ألوان الأذى والجور إلاّ وقابلوه به متجاهلاً جميع سيئاتهم بكلماته الخالدة التي لا تزال سمة خزي وعار مادام التاريخ: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

وهل غيَّرهذا الموقف الكريم الذي لا يمكن أن يصدر إلاّ من انسان تسيِّره ارادة السماء؟ وهل غيَّر من نفس أبي سفيان وروحه شيئاً؟ وهل أدركت أنَّ

موقفاً كهذا لا يصدر إلاّ عن انسان فوق مستوى القادة والزعماء والحاكمين؟

إنَّ مواقف النبيِّ (ص) مع أبي سفيان وزوجته وأُسرته لم تغيِّر من نفوسهم، والنبيُّ (ص) يعلم ذلك ويعلم بأنَّ النفوس الحاقدة والقلوب المريضة لا علاج لها إلا بالإستئصال، ولكن مصلحة الإسلام يومذاك فرضت عليه أنْ يعالجهم بهذا الاسلوب.

لقد بقي الحزب الأُموي بقيادة أبي سفيان يتحيَّن الفرص ويستغل المناسبات للوثوب ضد الإسلام ودعاته المخلصين الأوفياء، وحينما انتقلت السلطة إلى سليل بيته - **عثمان بن عفان** - أحس بنشوة تملأ نفسه الحاقدة وذهب يقوده غلامه إلى قبر سيدّنا الحمزة بن عبد المطلب (ع) فركله برجله وقال: قم يا أبا عمارة، إن الأمر الذي تجالدنا عليه السيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به[1].

وخلال سنوات قليلات من حكمهم استطاعوا أنْ يحققوا لهذا البيت أكثر أمانيه واتجهوا يعملون لجاهليتهم ووثنيتهم حتى لا يبقى لرسالة محمَّد (ص) ناطق على منبر أو محراب ويصبح أئمة المساجد والقراء والرواة أبواقاً للسلطة الحاكمة التي كانت تعمل لغسل الأدمغة من عقائد الإسلام وقيمه، واستبدالها بمبادئ الردَّة والوثنية.

وظلّوا يعملون بهذا الاتجاه الوثني حتى انقلبت القيم وسحقت التعاليم وذهبت الرياح بجهود المخلصين والمجاهدين وجاءت بكنوز الذهب للمنافقين، وأصبح التوحيد ستاراً للشرك، والإسلام قيوداً للإستسلام، والسنَّة قاعدة للسلطة، والحديث عرضة للوضع والتزوير، والألسن قطعت أو أُشتريت.

أمَّا أصحاب السابقة فقد تقاضوا الثمن ولايات وامارات، واعتزل فريق

---

(١) - شرح النهج الحديدي ٤/ ٥١، وفي سيرة ابن هشام ٣/ ٤٤: كان يضرب في شدق - **حمزة بن عبد المطلب (ع)** - بزجّ الرمح قائلاً: ذُق عقق، عقق: أي ياعقق، يريد - ياعاق.

للعبادة، وفريق ساوموا على السكوت عن الظلم والجور حتى لا يواجهوا النفي والموت في صحراء الربذة ومرج عذراء، وعادت الجاهلية الجديدة أثقل ظلاً وأشد ظلمة ووحشية والعدو الجديد أشدّ دهاءاً وأكثر نضجاً وذكاء.

كلُّ ذلك في عهد ـ ابن عفان؛ ومعاوية بن هند ـ ، وجاء دور ولده يزيد إلى الحكم لإتمام رسالة أبيه التي تحقّق لأُمية كلّ أمانيها تحت ستار الإسلام.

وفجأة سطع ضوء في الظلام ومن بين ركام الإسلام المتداعي وأضاءت للملأ ملامح أمل جديد في دياجي ذلك الظلام المطبق، وبدا للعالم انسان يخط على التراب بدمه: «**ألا وإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما**»[1].

إنَّه الحسين بن عليّ وفاطمة (ع) سبط ذلك الرّسول (ص) الذي هاجر من مكة إلى يثرب قبل ستين عاماً لأجل رسالته ولأجل كرامة الإنسان والمستضعفين في الأرض لا خوفاً من الموت بل لأنَّ بقاء رسالته وانتشارها مرهون بحياته.

والآن..**وبعد أنْ مضى على هذه الواقعة العظيمة أربعة عشر قرناً**... دعنا نتصفح التاريخ لنتأمل الفعاليات والمشاكل التي بذلت وواجهت المسلمين في سبيل الهجرة من مجتمع لا يمكنهم أنْ يعبرّوا فيه عن آرائهم بصراحة... ولا أنْ يمارسوا معتقداتهم بحريةً...

الدرس الذي يجب أنْ نستفيده أنَّ هؤلاء المسلمين الَّذين نجوا مِنْ شرِّ قريش... وجو مكّة المليء بالمتاعب والمصاعب، وانتقلوا إلى جوٍّ هاديء... لم يركنوا إلى الدعة والاستقرار... ولم يلجأوا إلى ما مرَّ بهم من نكبات في أمسهم

---

(١) ـ الاتحاف بحبّ الأشراف: ٧٤ (ط/ مصر ـ ١٣١٦هـ)، تاريخ الطبري ٦/ ٢٩٩، العقد الفريد ٢/ ٣١٢، حلية الأولياء ٣/ ٣٩، تاريخ ابن عساكر ٤/ ٣٣٣، مجمع الزوائد ١/ ١٩٢، ذخائر العقبى: ١٤٩، سير أعلام النبلاء/ للذهبي ٣/ ٢٠٩.

محاولين أنْ يجعلوه رصيداً يكفيهم عناء حمل الرّسالة... بل استمروا في الدعوة إلى اللّه وإلى دينه ليكوّنوا المجتمع الذي أراد اللّه أنْ يكون.

ولقد كانت جهودهم المتلاحقة... ومواقفهم الفدائية هي السرّ الّذي يكمن وراء التغير السريع العجيب الّذي طرأ على حياتهم، وأنالهم درجة رفيعة لا ينالها إلاّ كلّ ذي حظّ عظيم... ولا غرو أنِ استطاع المسلمون في الصدر الأوّل أنْ يحقّقوا هذه الانتصارات.

لا غرو في ذلك مادام قائدهم هو النبيّ الأعظم (ص).

إنَّ من الضروري أنْ نغذي أبناءنا ونربيهم على أنَّ عزّة المسلمين الأوائل إنَّما كانت في ظلّ الايمان والعمل.

وإذا نريد العزَّة فليس لها إلاّ هذا الطريق، أمَّا ما عداه فإنَّه يجلب عزاً ظاهراً لا يلبث أنْ يتبدد ويزول.

* * *

الفصل السادس

﴿مقتل الحسين (ع)﴾

لقد قاتل مع الحسين (ع) في معركته مع الشرك والوثنية اثنان وسبعون شخصاً من اخوته وأبنائه وبني عمومته وأنصاره الأبطال الّذين امتحن اللّه قلوبهم بالايمان فقاتلوا دفاعاً عن الحقّ والعقيدة والعدالة واستهانوا بحياتهم لاعلاء كلمة اللّه في الأرض وكانوا مع قلّة عددهم وكثرة أعدائهم يكرون على تلك الحشود بقلوبهم العامرة بالتقوى ونفوسهم المطمئنة إلى المصير الذي أعده اللّه للمجاهدين في سبيله، فتفر منه فرار المعزى إذا شدّت عليها الذئاب.

قال العلاّمة السيّد محمّد حسين الكشوان (ره) في وصفهم:

إذا ما خبت نار الوغى شعشعوا لها ... سيوفهم جمراً وقالوا: توقدي

ثقال الخطا لكن يخفون للوغى ... سراعاً بخرصان الوشيج المسدد

إذا أشرعوا سمرالرماح حسبتها ... كواكب في ليل من النقع اسود

أو أصطدمت تحت العجاج كتائب ... جرى اصيد منهم لها اثر اصيد

يكرون والأبطال طائشة الخطى ... وشخص المنايا بالعجاجة مرتدي

لووا جانباً عن مورد الضيم فانثنوا ... على الأرض صرعى سيّداً بعد سيّد

هووا للثرى نهب السيوف جسومهم ... عوار ولكن بالمكارم ترتدي

وقال الشفهيني (رحمه اللّه):

على مثل هذا الرزؤ يستحسن البكاء

وتقلع منّا أنفس من سرورها

أيقتل خير الخلق أمّاً ووالداً وأكرم خلق الله وابن نذيرها

ويمنع مِنْ الفرات وتغتدى وحوش الفلا ريانة مِنْ عبيرها

وقال الشيخ علي بن حسين بن محمّد البلادي البحراني (ره):

مصاب حسين قبل حين حلوله وموقعه أبكى النبيّ محمّدا

وأبكى الصفا والمروتين وزمزما وأبكى الإمام المرتضى علم الهدى

وأجرى على الخدين من عين فاطم دموعاً وأفناها سلواً وأفقدا

وأبكى السما والأرض والجن والملا وَمَنْ كان في الأكوان طرّاً وأوجدا

وقال السيّد الرضي (ره):

شغل الدموع عن الديار بكاؤنا لبكاء فاطمة على أولادها

لم يخلفوها في الشهيد وقد رأى ماء الفرات يذاد عن ايرادها

أترى درت أنّ الحسين طريدة لفتى بني الطرداء عند طرادها

كانت مآتم بالعراق تعدها أمويّة بالشام من أعيادها

وقال الشاعر:

حقيق لرزء السبط تكور شمسها وانّ تسكب السبع الطباق له قطرا

مصاب بكت منه السماء وأهلها وأشفت به السُّم الزعاف على المسرا

وخطبٌ جليلٌ قبلَ حينَ حلوله لدمع رسول الله من عينه أجرا

وقال الخطيب الشاعر الشيخ محسن بن الشيخ محمّد حسن بن الشيخ محسن أبو الحب (ره):

لاقى الصلاة بأرض الطف منفرداً وماله من معين ناصر وولي

أصحابه جاهدوا عنه وما نكلوا حتّى قضوا بين منحور ومنجدل

والله منهم شرى قدماً نفوسهم فقدّموها له طوعاً بلا مهل

عبّادُ ليلٍ لا يهجعون به فَمِنْ مصلٍ وَمِنْ داعٍ ومنتقل

أماجدٌ كان يوم الحرب عيدهم والموت عندهم أحلى مِنَ العسل
شدُّوا على زمر الأعداء كأنَّهم أسد تشد على جمع مِنَ الهمل

وبقي الحسين (ع) وحده بعد مصرع بنيه وإخوته وأنصاره لا يملك غير طفله الرضيع، وهو يعلم أنَّ القوم لا يرحمون طفلاً ولا شيخاً كبيراً، ولكنه أراد أنْ يظهر للعالم أنَّ عداء الأمويين لمحمَّد (ص) وآل محمد (ع) ليس مرهوناً بمن يعارضهم، ويخافون بطشه وسطوته من بيت هاشم، بل لهذا البيت وكلّ مَنْ ينتسب إليه صغيراً كان أو كبيراً، وعندما طلب له الماء ردوا عليه بسهامهم التي أصابت الطفل وأودت بحياته، فتلقى دمه بيده وصعده نحو السماء، وقال: **«اللّهم! تقبل منّا هذا القربان»**.

وتقدَّم بعد ذلك إلى المعركة ببطولة لا نظير لها في تاريخ المعارك والحروب، فكان يشدّ عليهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً أو أكثر فينهزمون بين يديه، ثم يرجع إلى مقره، ويقول (ع): **«أعلى قتلي تجتمعون؟ أما واللّه لا تقتلون بعدي عبداً مِنْ عباد اللّه أسخط عليكم لقتله منّي، وأيم اللّه، إنّي لأرجو أنْ يكرمني اللّه بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لاتشعرون»**.

وقال عبد اللّه بن عمّار ـ **أحد أنصار ابن مرجانة**: واللّه، مارأيت مكثوراً قط قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه، لقد كان يشدّ على أهل الكوفة فينكشفون بين يديه انكشاف المعزى إذا شدّفيها الذئب[1].

وظلَّ يقاتلهم حتى سقط على صعيد كربلاء لكثرة ما أصابه من سيوفهم ورماحهم وسهامهم.

ورحم اللّه القائل:

أحاطت به سبعون ألفاً فودُّها شوارد أمثال النعام المشرَّد
وقام عديم النصر بين جموعهم وحيداً يحامي عن شريعة أحمد

---

(١) ـ مقتل الخوارزمي ٢/ ٣٨.

إلى أنْ هوى للأرض شلواً مبضعاً ... ولم يرو من حر الظما قلبه الصدي
هوى فهوى التوحيد وانطمس الهدى ... وحلت عرى الدِّين الحنيف المشيَّد

إلى أن يقول في وصف زينب (ع) وما حلَّ بها وبنسائه وعياله في تلك اللحظات:

وهاتفه من جانب الخدر ثاكل ... بدت وهي حسرى تلطم الخد باليد
يؤلمها قرع السياط فتنثني ... تحن فيشجي صوتها كلّ جلمد
وسيقت على عجف المطايا أسيرة ... يطاف بها في مشهد بعد مشهد
سرت تتهاداها علوج أُميَّة ... فمن ملحد تهدى إلى شر ملحد

وقد وصف الكعبي ـ أحد شعراء الطف ـ حالة النساء والعيال حينما صرع الحسين (ع) بقوله:

فواحدة تحنو عليه تضمه ... وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها ... وأُخرى تفديه وأُخرى تقبل
وأخرى على خوف تلوذ بجنبه ... وأُخرى لما قد نالها ليس تعقل

ورحم اللّه السيّد حيدر الحلّي حيث يقول:

وفي السبي ممّا يصطفي الخدر نسوة ... يعز على فتيانها أنْ تسيرا
حمت خدرها يقظى وودت بنومها ... ترد عليه جفنها لا على الكرى
مشى الدهر يوم الطف أعمي فلم يدع ... عماداً لها إلاّ وفيه تعثرا
وجشمها المسرى ببيداء قفرة ... ولم تدرِ قبل الطف ما البيد والسرى
ولم تر حتى عينها ظل شخصها ... إلى أنْ بدت في الغاضرية حسرا

وقال السيد مرتضى آل السيّد يوسف الموسوي (ره)[1]:

---

(١) ـ هو السيّد مرتضى بن السيّد محمَّد بن السيّد حسين ـ **سادن الروضة العباسية** ـ (١٢٥١هـ ـ ١٢٥٦هـ) ابن=

وقائدٌ سجل التاريخ وقفته · وكان في رحله المحفوظ نسوان
وأهل بيت كرام ما لهم شبه · في الحرب يتبعهم صحب وأعوان
سبعون شهماً كريماً لا يضام إذا · سيم الهوان، وأطفال ورضعان
ضحى بهم إذْ تحدّى ـ وهو يقدمهم ـ · سبعين ألفاً وما أنثته فرسان
هو (الحسين) قضى حرُّ الضمير ولم · يتبع ـ يزيد ـ ولم يرهبه سلطان

لقد أحدثت تلك المجزرة هزة عنيفة في العالم الإسلامي لم يعرف المسلمون في تاريخهم الحافل بالأحداث أعنف منها، ولا حادثاً من الأحداث كان له من الآثار العميقة في النفوس والعقائد والحياة السياسية ما كان لمجزرة كربلاء.

ولا أحسب أنَّ في كلِّ ما حدث شيء من الغرابة، لأنَّ المسلمين على ما بينهم من خلافات في النزعات والاتجاهات يقدرون للحسين (ع) مكانته في الإسلام وصلاته بجدّه صاحب الرّسالة، وقد سمعوا من النبيِّ (ص) ما كان يقوله فيه وفي أخيه الحسن (ع)، وكيف كان يعامله في مجالسه العامة والخاصة؟ وأحياناً كان وكأنَّه ينظر فيما وراء الغيب إلى ما يجري عليه فيبكي ويبكي المسلمون لبكائه، فليس بغريب إذا ألهب مصرعه على النحو الذي وقع عليه المشاعر وأرهف الأحاسيس وأطلق الألسن وترك في نفوس المسلمين أثراً حزيناً دامياً يجمع القلوب حول هذا البيت المنكوب:

وأي رزية عدلت حسيناً · غداة بينه كفا سنان

يقول **الدكتورحسني الخربوطلي**: كانت هناك نتائج دينية هامة تخلفت عن ـ **فاجعة كربلاء** ـ ، نحن لا يمكننا لنفسّر دعوة ـ **شيعة الكوفة** ـ للحسين، ثمّ خذلانهم

= السيّد حسن ـ **الشهيد في واقعة الوّهابيين** ـ ابن السيّد محمّد عليّ آل السيّد يوسف الموسوي، المولود في كربلاء سنة (١٣٢٦ هـ)، كان شاعراً مفلقاً ممّن له باع طويل في معرفة تاريخ الأحداث شعراً، وله قصائد ومقطوعات وتقاريض وتخاميس وتشاطير كثيرة في غاية الجود والإبداع.

له إلاّ بضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت، فهذه العقيدة لم تكن قد اختمرت في نفوسهم، ولا تملكت قلوبهم.

ولكن اختلفت الحال بعد ـ **مقتل الحسين** ـ ، فقد كانت دماء الحسين أبعد أثراً من دماء عليٍّ في نمو حركة الشيعة وازدياد أنصارها... الخ[١].

ويقول **الدكتور أحمد محمود صبحي**: ولم يكن أثرُ ـ **مقتل الحسين** ـ موقتاً بزمن دون زمن، وإنَّما تعتبر دماؤه بحقّ هي التي ظلت تروي طوال القرون عقائد الشيعة.

فصمدت هذه الفرقة بالرغم ممّا أصابها من اضطهاد فكري وسياسي، وبالرغم ممّا جدَّ على العالم من أحداث وتطورات، ولم يكن الأمر وقفاً على تلك العاطفة الحزينة التي صبغت ـ **عقيدة الشيعة** ـ ، أو على تلك المرثيات التي يرددونها دائماً، والتي تزخر بها كتبهم، لتظلّ النفوس عالقة بتلك العقائد منفعلة بتلك الكوارث، تتخذ من ـ **مصرع الحسين** ـ مثلاً أعلى في الصبر على البلاء والإستشهاد، وإنَّما أمدتهم تلك الدماء بما جعلهم على رأيهم ثابتين، بالرغم مِنْ تحالف قوى الفكر عليهم من ـ **سنَّة ومعتزلة وخوارج** ـ ، وبالرغم مِنَ الإضطهاد السياسي العنيف الذي حاق بهم في العصرين ـ **الأموي والعباسي** ـ ... الخ[٢].

وجاء عن **الفيلسوف الألماني مسيو ماربين**:.... إنَّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، سبَّب أنْ ينسبوا في ـ **كتبهم** ـ طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكنَّهم جهلوا أهمية هذه المسألة وتأثيرها في الإسلام، وكأنَّهم لم يفكروا في السبب العامل للنهضات الدينية والثورات السياسية التي تكون في ـ **شيعة الحسين** ـ ولم تكن في سائر الأمم، هل يجدون سبباً لها غير المجالس التي تقام

---

(١) ـ تاريخ العراق في ظل الأمويين: ١٢٣.

(٢) ـ نظرية الإمامة: ٥٠.

باسم ـ **الحسين** ـ ، ويكرر فيها تاريخ الحسين؟

وإنَّ مَن أمعن النظر في تاريخ شيعة عليّ بن أبي طالب، الَّذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم، لوجد انتشار مذهبهم بشكل سريع مدهش في القرن الأخير.

مثلاً: لم يكن قبل مائة سنة مِنْ شيعة عليّ والحسين في ـ **بلاد الهند** ـ إلاّ القليل الَّذين ربَّما يُعدونَ بالأصابع، واليوم هم في ـ **الدرجة الثالثة** ـ مِنْ حيث النفوس في ذلك القطر، وكذلك في سائر الأقطار.

فعلى مؤرِّخينا أنْ يعرفوا حقيقة عادات الآخرين وتقاليدهم، ولا ينسبوها إلى الجنون، وإنّي أعتقد أنَّ بقاء القانون الإسلامي ـ **القرآن** ـ ، وظهور الديانة الإسلامية وانتشارها في العالم، هو مسبب عن ـ **شهادة الحسين** ـ وحدوث تلك الوقايع المحزنة، وهكذا كلَّما تراه اليوم بين المسلمين، مِنْ حسن السياسة وإباء الضيم، ما كان إلاّ بواسطة ـ **عزاء الحسين** ـ ، وما دامت هذه المظاهر والشعائر في المسلمين فإنَّهم لا يقبلون ذلاً، ولا يدخلون في أسر أحد.

فينبغي لنا أنْ ندقّق النظر في مايذكر مِنَ النكات الدقيقة الحيوية في مجالس ـ **عزاء الحسين** ـ ، ولقد حضرت مرَّات في تلك المجالس مع ـ **مترجم** ـ وذلك في ـ **اسلامبول** ـ فسمعتهم يقولون: إنَّ الحسين الذي تجب علينا طاعته ومتابعته لأنَّه إمامنا وقائدنا، أبى أنْ يتحمل الضيم ويدخل في طاعة ـ **يزيد** ـ، بل جاد بنفسه وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه وكيانه وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز بحسن الذكر والصيت في الدُّنيا، والشفاعة في الآخرة، والقرب مِنَ اللّه، ولكن أعدائه خسروا الدُّنيا والآخرة...

فتبين لي أنَّ هذه المجالس مدارس، يُدَرِسُ بها بَعْضُهُمْ بَعْضَاً: بأنَّكم إنْ كنتم ـ **شيعة الحسين** ـ، وإنْ كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال ـ **يزيد** ـ ، ولا تقبلوا الضَّيمَ والذلَّ بذلك، بل اختاروا العزَّة، وإنْ متُّم أو قُتِلْتُمْ في

سبيلها، فإنَّ الموت بالعزّ أحلى مِنَ الحياة بالذلّ.

مِنَ المعلوم أنَّ أُمَّةً تُلقى عليها أمثال هذه التعاليم القيّمة - **مِنَ المهد إلى اللحد** - في أيِّ درجة تكون مِنَ السجايا العالية والشخصيَّة الإنسانية الأبيَّة، وبالطبع يكون جميع أفراد هذه الأُمَّة جنداً مدافعين عن عزِّهم وشرفهم، فهذا هو طريق تعليم الحقوق، وهذا هو معنى تدريس السياسة... الخ.[1].

كما جاء عن **الفيلسوف الفرنسي الدكتور جوزف**: ... لم تكن هذه الفرقة - **الشيعة** - ظاهرة في القرون الأُولى الإسلامية كأُختها - **السنّة** - ، ويمكن لنا أنْ ننسب قلَّتهم إلى سببين:

١- إنَّ الرئاسة الدُّنيوية - **السلطة والحكم** - كانت بيد السنَّة، وقد قيل: النّاسُ على دين ملوكهم.

٢- القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم، ونظراً لحفظ نفوس - **الشيعة** - حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثاني عليهم - **بالتقيَّة** - ، فزادت عدَّتهم، وكانوا يعقدون المجالس سرّاً، ويبكون على مصائب - **الحسين** -، فاستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم، وقوي - **مذهب الحسين** - في نفوسهم، حتّى صار عقيدتهم التي يضحون أنفسهم وما يملكون في سبيله،اقتداءً بإمامهم - **الحسين** -، فانتشر مذهبهم حتّى صار منهم - **الخلفاء والسلاطين والوزراء والأُمراء** -، وهم بين مَن أخفى مذهبه وتشيعه، وبين مَن أظهر.

وبعد - **أمير تيمور** - حيث رجعت السلطة في ايران إلى - **الصفوية** - صارت ايران مركزاً للشيعة.

وبمقتضى تحقيق بعض سيَّاح فرنسا: فإنَّ - **الشيعة** - في هذا اليوم سدس المسلمين أو سبعهم، نظراً إلى هذا الإنتشار الوسيع الذي حازته - **الشيعة** -، مِن

---

(١) - هامش المجالس الفاخرة: ٤٢ - نقلاً عن كتاب «السياسة الإسلامية».

دون جبر وإكراه، يمكن أنْ يقال: إنّهم سوف يفوقون سائر الفرق والمذاهب الإسلامية بعد قرن أو قرنين[1].

والسبب في ذلك هو إقامة ـ **عزاء الحسين** ـ، حيث جعل كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه، ومُبَلِّغاً الدِّينَ إلى قومه وغير قومه.

وبعد كلام طويل يقول: وإنَّ العدد الذي نراه في ـ **الهند** ـ من ـ **الشيعة** ـ ما كان إلاّ بفضل إقامة هذه المآتم.

إنَّ الشيعة لم تفرض دينها ـ **بقوة ولا سيف** ـ، حتّى في زمن ـ **الصفوية** ـ، وإنَّما بلغوا هذه الدرجة العظمى مِنَ التقدُّم المحيِّر للعقول، بقوة المنطق والدَّعوة بالبيان والكلام وبلسان التفاهم الذي أثره أمضى من السيف... الخ[2].

وأود أنْ اشير في هذا الصدد الى «**التقيَّة**» فأقول:

التقيَّة: هي الوقاية أو المحافظة على الشيء الذي يخاف تلفه، وقد قيل: الوقاية خير من العلاج، وهذا المثل الجاري يبعد قليلاً عن المصطلح المقصود في هذه المسألة، فإنَّ القصد من التقيَّة هنا ـ هو الخوف على النفس أو المال، والمحافظة على المخاف عليه بكتمان مخالفة منه: سواء كان في الهدف أو العقيدة أو غير ذلك، وقاية لشرّ الظالم ودفعاً للضرر الذي يؤول من جانبه.

وهناك مثل مشهور يتردد على الألسن في كثير من الأحيان وهو: ـ **اتَّقِ شرَّ مَن أحسنت إليه** ـ ، وهو خير مثال نطبقه على ظالمي آل بيت محمَّد (ص) أصحاب الفضل على البرية الَّذين أوصى لهم نبيُّ الرَّحمة (ص) بالمودَّة.

وكان أوَّل مشرِّع للتقيَّة هو الرَّسول الأعظم (ص)[3]، فالتقيَّة شعار إسلامي

---

(١) ـ صرح الرئيس المصري ـ **أنور السادات** ـ في «**جريدة الأهرام القاهرية**»: العدد (٥) بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢٦: اكتشفت وأنا سكرتير ـ **المؤتمر الإسلامي** ـ، أنْ نصف المسلمين تقريباً مِنَ ـ **الشيعة** ـ، والنصف الآخر مِنَ ـ **السنّة** ـ.

(٢) ـ المجالس الفاخرة: ٣٥ (ط/ كربلاء المقدسة) ـ الهامش ـ.

(٣) ـ في ظلال الوحي: ١٠٤ ـ لعليّ فضل اللّه الحسيني، فقد روي أنَّ ـ **مسيلمة الكذّاب** ـ أخذ رجلين من=

قد ألزم به أهل العصمة شيعتهم، ولولا التقيّة لذهبَ الإسلام سدىً، وقد عمل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) بالتقيّة، خصوصاً في تلك الأزمنة الخطيرة المهدّدة للدولة الإسلامية الفتية حيث كان مناوئوها كثيرون، ودولتا ـ **الفرس والروم** ـ بالمرصاد، تضمنان للإسلام كلَّ غدرٍ وشرٍّ، ولمثل هذه الأسباب جرأ ـ **معاوية بن أبي سفيان** ـ على شق عصا الأمّة، والخروج على إمام زمانه.

وكذلك سار على منهج الإمام أبناؤه المعصومون (ع)، والغريب العجيب ما نسمعه من أفواه بعض النّاس: أنّ الأئمّة المعصومون كانوا يعملون ـ **بالتقيّة** ـ حفاظاً على أنفسهم وخوفاً من أعدائهم.

فالإمام لا يبالي، أوقع على الموت أم وقع عليه الموت؟ وإنّما همّه الوحيد هو الحفاظ على الإسلام وحقن دماء المسلمين، لا خوفاً على نفسه لأنّ الدُّنيا لا تساوي جناح بعوضة عند الإمام، كما ورد في **«نهج البلاغة»** عن أمير المؤمنين (ع) في ذمّ الدُّنيا، وكذا كلمته المشهورة حين ضربه ـ **ابن مُلْجَم المرادي** ـ بالسيف وهو يصلّي في المحراب، قال: **«فزت وربِّ الكعبة»**، فإذا كان الموت عنده فوز، كيف يمكننا أنْ ننسب إليه الخوف على نفسه؟

وكذلك كلمة الحسين بن عليٍّ (ع) المشهورة ـ **في يوم مصرعه** ـ حيث قال: **«إنْ كان دينُ محمَّدٍ لم يستقم ـ إلاّ بقتلي، ياسيوف ! خذيني»**.

= أصحاب رسول اللّه (ص) فقال لأحدهما: أتشهد بأن محمّداً رسول اللّه؟ قال: نعم، قال: أتشهد أنّي رسول اللّه؟ قال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أنّ محمّداً رسول اللّه؟ قال: نعم، ثمّ قال: أفتشهد بأنّي رسول اللّه؟ قال: إنّي أصم ـ **قالها ثلاثاً** ـ وفي كلّ ذلك يجيبه مثل الأوّل، فضرب عنقه.

فبلغ ذلك رسول اللّه (ص) فقال: **«أمّا ذلك المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضله فهنيئاً له، وأمّا الاخر فقبل رخصة اللّه فلا تبعة عليه»**.

فعلى هذا تكون ـ **التقية** ـ رخصة، والإفصاح بالحق فضيلة.

فمن الواضح إذن، أنَّ تشريع ـ **التقيّة** ـ وأمر الأئمَّة المعصومين (ع) شيعتهم بالعمل بها، لم يكن إلاّ من أجل استمرار ـ **التشيُّع** ـ، فالشيعة قد لاقت ضروباً من المحن، وضيقاً مِنَ الحرية في جميع تلك العهود البائدة، ما لم تلاقه أية أُمَّة، فكأنَّ ذلك كان لا يشفي غليل المشنَّعين إلاّ أنْ تقدَّم رقاب ـ **الشيعة** ـ جميعاً إلى السيوف، واستقصاء الشيعة عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أنْ يقال: هذا شيعي، ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأُمويين والعباسيين والعثمانيين.

إنَّ مسألة ـ **التقيَّة** ـ يعمل بها جميع النّاس: سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، حتّى المشنّع على ـ **الشيعة** ـ يعمل بالتقيَّة من حيث لا يشعر، فكلٌّ مناوئ للسلطات القائمة في عصره يعمل بالتقيَّة، حفاظاً على دمه وكرامته، فيقال: أنَّ المذلَّة في محلَها شجاعة، والإفصاح بمناوأة الظالم حماقة، والحلم خيرٌ مِنَ الغرور.

فما ضرَّ ـ **عمَّار بن ياسر** ـ تظاهره بالكفر، ولا ضرَّ المعترف بنبوة ـ **مسيلمة الكذَّاب** ـ شيء، وكذلك كلّ ذي مبدأ لا يضرّه مسايرة الظروف، فمجاملاته حلمٌ وفضيلةٌ.

وهل يمكن المناويء لأيِّ حزب من الأحزاب القائمة اليوم ـ **ذات السلطة والقيادة** ـ أنْ يتظاهر بعكس ما يفرضه عليه الحزب السياسي؟

إنْ قال: نعم، فهو مغالط، وهل يعتبر بتظاهره ضدَّ السلطة، أو لأيِّ عدوٍّ من أعدائه الباطشين حليماً أو عاقلاً على الأقل؟ وهل سكوته وفعل ما يعجبه من صالحه أم مفسدة له؟ كلٌّ ذلك حريٌّ بأنْ يقارنه، ومسألة ـ **التقيّة** ـ، ولا ريبَ أنَّه سيتضح له بعد ذلك: أنَّ مسألة ـ **التقيَّة** ـ فطرية ذات منفعة.

والتقية حسب الأحكام خمسة أقسام: **واجب، مستحب، مباح، مكروه، حرام.**

إنَّ اليهود بحبِّها لنبيِّها أمنت معرَّة دهره الخوّان
وذوي الصليب بحبِّ عيسى أصبحوا يمشون زهواً في قُرى نجران
والمؤمنون بحبِّ آل محمّد يرمون في الافاق بالنيران

وقريب من هذا المعنى ما أنشده أبو حنيفة النعمان بن ثابت الزوطي ـ **إمام المذهب الحنفي** ـ كما في شرح **«ديوان أمير المؤمنين (ع)»** للميبدي.

حبُّ اليهود لال موسى ظاهرٌ وولائهم لبني أخيه بادي
وإمامهم من نسل هارون الأولى بهم اقتدوا ولكلِّ قوم هادِ
وكذا النصارى يكرمون محبّة لمسيحهم نجراً من الأعواد
ومتى توالى آل أحمد مسلم قتلوه أو شتموه بالإلحاد
هذا هو الداء العضال لمثله ضلّت حلوم حواضر وبوادي
لم يحفظوا حقَّ النبيِّ محمَّد في آله واللّه بالمرصاد[1]

وأستبعد أنْ تكون هذه الأبيات لأبي حنيفة، وأغلب الظّن أنَّ هذا من وضع السياسة[2].

---

(١) ـ روضات الجنّات ٨/ ١٦٩.

(٢) ـ هو النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه ـ **مولى تيم اللّه بن ثعلبة** ـ الكوفي، أحد الأئمّة الأربعة، صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه، وذكر الخطيب في **«تاريخه»**: أنَّ ـ **أبا حنيفة** ـ رأى في المنامة كأنُّه ينبش قبر رسول اللّه (ص)، فبعث مَنْ سأل ـ **ابن سيرين** ـ فقال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه إليه أحد قبله.

قلت: النبش عن قبر رسول اللّه (ص)، وإنْ كان تأويله: الفحص عن آثار حياته العلمية، لكنّه سارق أتى من غير الباب، ومن غير الوجه الذي أمر اللّه به، ولذلك تراه يفتي بالقياس والرأي، ويجعل الحديث الصحيح تحت قدمه ولا يبالي.

روي: أنّه اجتمع الثوري؛ وشريك؛ والحسن بن صالح؛ وابن أبي ليلى، فبعثوا إلى ـ **أبي حنيفة** ـ فأتاهم فقالوا: ما تقول في رجل قتل أباه ونكح أُمّه وشرب الخمر في رأس أبيه؟ فقال: هو مؤمن.

فقال ابن أبي ليلى: لا قبلت لك شهادة أبداً، **وقال الثوري**: لا كلمتك أبداً، **وقال شريك**: لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك، **وقال له الحسن**: وجهي من وجهك حرام أنْ أنظر إلى وجهك أبداً.=

نعم، ليس بغريب إذا استعظم النّاس على اختلاف ميولهم ونزعاتهم هذا التنكيل الشائن بعترة الرّسول الأمين (ص) وسلالته وفلذات كبده وقرة عينه ورأوا فيه كفراناً لحقه وتعريضاً لغضبه وامتهاناً لكرامته.

= وروي عن **الإمام مالك** قال: ما ولد في الإسلام مولود أضر على أهل الإسلام من **أبي حنيفة** وقال: كانت فتنة أبي حنيفة أضر على هذه الأُمّة من فتنة ابليس.

وعن **الأوزاعي** قال: عمد **أبو حنيفة** إلى عرى الإسلام فنقضه عروة عروة، وأخرج عن **أبي صالح الفراء** قال: سمعت **يوسف بن أسباط** يقول: ردّ **أبو حنيفة** على رسول اللّه (ص) أربعمائة حديث أو أكثر، قال: ولو أدركني النبيُّ (ص) وأدركته لأخذ بكثير ن أقوالي، وهل الدين إلاّ الرأي الحسن.

توفي **أبو حنيفة** سنة (١٥٠هـ) وقبره ببغداد.

قال له **الأصمعي**: توضّأت؟ قال: وصلّاتُ، قال: أفسدت الفقه فلا تفسد اللّغة.

وقال له **ابن أبي ليلى**: أيحلّ النبيذ والغناء؟ قال: نعم، قال أفيسرّك أنْ تكون أُمّك نبّاذة أو مغنيّة؟

وفي **مجالس ابن مهديّ**: كان **أبو حنيفة** يشرب مع **مساور**، فلما تنسّك عاب مساوراً، فكتب إليه شعراً:

إنْ كان فقهك لا يتمُّ ... بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي حيث شئت ... من الأداني والأقاصي
فلطال ما زكّيتني و ... أنا المقيم على المعاصي
أيام تعطيني مدامي في ... أباريق الرّصاص

قال **النضر بن شميّل** في **«كتاب الحيل»** ثلاثمائة وثلاثون حيلة قال **الشافعي**: كلّها كفر منها: مَنْ قبلّ حمأته ـ **أقارب الزوجة ممّن لا يجمع بين نكاحها ونكاح الزوجة** ـ انفسخ نكاح زوجته، وَمَنْ حلف ليتزوجنّ: برئ بالعقد على كافرة، أو إحدى محارمه، وَمَنْ حلف ليصومنّ أو ليصلّينّ فصام بعض يوم أو سجد سجدة لم يحنث في يمينه، ومَنْ حلف ليطأنّ زوجته صائمين من غير عذر، يلفّ حريرة ويطأ، ولا ينقص صومه، وَمَنْ طلّق ثلاثاً فأراد زوجها إرجاعها أمرها بالرِّدة فإذا فعلت نكحها.

لكم من فرجٍ محصنة عفيفة ... أحلّ حرامه بأبي حنيفة
وكم من كلِّ مسألة ظريفة ... تجهمّها بآراء سخيفة
فصيّر حسنها في النّاس قبحاً ... وصيّر طيبها فيهم كجيفة

قال: كان النبيُّ (ص) قال: «**كلُّ سكر حرام**»، فزادوا ـ **الميم** ـ، وقالوا: مسكر.

قال أبو نؤاس: =

مـاذا تقـولون إذْ قـال النبيُّ لكم	**مـاذا فـعلتم وأنتم آخـر الأمم؟**
بعـترتي وبأهلي بعـد مفـتقـدي	**نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم**

= **أحلَّ العراقيُّ النبيذَ وشربَهُ**	**وقال: روينا أنّه حرّمُ السكر**

وقال العزيُّ:

ومـا قاله الكوفيُّ في الفقه مثلما	**تغنّى به البصريُّ في صفة الخمر**

يعني: أبا نؤاس.

وروى الزمخشريُّ في **«ربيع الأبرار»**: أنّه سمع إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة يحيى بن أكثم القاضي في - **دولة المأمون العباسي** - يغمص من جدّه، فقال: هذا جزاؤه منك، قال: كيف؟ قال: حين أباح النبيذ، ودرأ الحدَّ عن اللّوطيّ.

ومن كراماته: أنَّ حاكم بغداد طلب علماء أهل السنّة وعبادهم، وقال لهم: كيف أنَّ الرّجل الأعمى إذا بات تحت قبّة موسى بن جعفر(ع) يرتدُّ إليه بصره؛ وأبو حنيفة مع أنّه الإمام الأعظم لم نسمع له بمثل هذه الكرامة؛ فأجابوه: بأنَّ هذا يصدر أيضاً من **بركات أبي حنيفة**، فقال لهم: إنّي أُحبُّ أنْ أرى مثل هذا لأكون على بصيرة من ديني، فأتوا رَجلاً فقيراً وقالوا له: إنّا نعطيك كذا وكذا من الدّراهم والدنانير، وقل: إنّي أعمى وامش متكئاً على العصي يومين أو ثلاثة، ثمَّ تبات ليلة الجمعة عند قبر الإمام فإذا أصبحت، فقل: الحمدُ للّه الذي ردَّ عليَّ بصري ببركات صاحب هذا القبر.

فقبل كلامهم، ثمَّ لمّا بات تلك اللّيلة تحت قبتّه أصبح بحمد اللّه وهو أعمى لا يبصر، فصاح وقال: أيُّها النّاس! حكايتي كذا وكذا، وأنا رجل صاحب عيال وحرفة، فاتصل خبره بحاكم البلد فأرسل إليه فقصَّ عليه قصتّه واحتيالهم عليه، فألزمهم بما يحتاج إليه من المعاش مدّة حياته ونحو ذلك من الكرامات التي لا يحتمل هذا الكتاب نقلها.

وما أحسن ما تخلّص أحد الشيعة من شرّهم، وذلك أنّه كان يتوضأفلمّا مسح رجليه نظر فإذا واحد من طغاتهم فوق رأسه، فبادر إلى غسل رجليه، فقال له: كيف مسحت أوّلاً وغسلت ثانياً، فقال: نعم، يامولانا! هذه المسألة منْ مسائل الخلاف بين اللّه سبحانه وبين مولانا أبي حنيفة.

قال اللّه تعالى: **﴿وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾**، وقال أبو حنيفة: يجب غسل الرجلين، فمسحت خوفاً من اللّه، وغسلت خوفاً من السلطان، فضحك الرّجل وخلّى عنه.

قلت: وليس ضحك هذا الرجل من مناقضة حكم إمامه حكم اللّه تعالى بعجيب، بل كلّ مَنْ تأمل في كيفية إتباعه الهوى والتخمين في أحكامه وفتاويه وأختراعه الأحكام من قبل نفسه، وعلى حسب ما تقتضيه مصلحة وقته وتستدعيه يضحك مدّة حياته، وإنْ كان ثكلى، ويبكي على خطر هذه المحنة الكبرى والبلية العظمى..

له ترجمة في **البداية والنهاية** ١٠/١٠٧، **تاريخ بغداد** ٣٢٣/١٣ **تاريخ كزيدة، الجواهر المضيئة** ٢٦/١، **ريحانة**=

ما كان هذا جزائي إذْ نصحت لكم أنْ تخلفوني بشر في ذوي رحمي(١)

فبهذا وأمثاله قامت النائحات في جميع العواصم الإسلامية يندبن الحسين (ع) ومن قتل معه من بنيه وإخوته وأنصاره، ويبكين لمصارعهم وما جرى لهم من ـ **حفيد أبي سفيان** ـ وجلاديه، وانطلقت الألسن الشاعرة ترثيه وتصور أسف النبيّ (ص) عليه وهو في قبره وحزنه العميق على سبطه واحتجاجه على أُمته التي لم تحفظ له حقاً ولم ترع له حرمة، وتلقي على الأُمويين مسؤولية جريمتهم ومروقهم من الدِّين وانتهاكهم لجميع الحرمات والمقدَّسات.

لقد هال الناس هذا الحادث الجلل حتى الأُمويين أنفسهم فأقض المضاجع وأذهل العقول وارتسم في الأذهان حتى أصبح الشغل الشاغل للجماهير وحديث النوادي ومسرحاً للتخيلات، وادعى الناس في المدينة: أنَّهم سمعوا هاتفاً يقول:

أيُّها القاتلون جهلاً حسيناً ابشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبيٍّ وملاك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الانجيل(٢)

وراحوا يتصورون لمدة شهرين أو ثلاثة كأن الحيطان تتلطخ بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع(٣).

ورووا عن النوار ـ **زوجة خولي بن يزيد الأصبحي** ـ أنَّها قالت له ليلة دخل الكوفة برأس الحسين (ع) وأدخله عليها: لقد جاء الناس بالذهب والفضة وجئتني

= **الادب** ٧/ ٧٦، **شذرات الذهب** ١/ ٢٢٧، **العبر** ١/ ٢١٤، **الكنى والألقاب** ١/ ٥٣، **مرآة الجنان** ١/ ٣٠٩، **نامه دانشوران** ٢/ ٣٩٤، **النجوم الزاهرة** ٢/ ١٢، **وفيات الأعيان** ٥/ ٣٩.

(١) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٧٣.

(٢) ـ تاريخ الطبري ٢/ ٢٦٩، كامل ابن الأثير ٤/ ٤٠ ، صواعق ابن حجر: ٤٠، عن أُم سلمة (رض).

(٣) ـ تاريخ الطبري.

برأس الحسين (ع)؟! وكان قد وضعه تحت اجانة في صحن الدار، **فقامت** من فراشها غضبى وخرجت إلى الدار فرأت نوراً يسطع مثل العمود من السماء إلى الاجانة وطيوراً بيضاء ترفرف حولها[1].

واستغل الشعراء هذا الحادث المفجع فرووا حوله شتى الأحاديث وصاغوه بألوان شعرية دامية يصدرها قلب مكلوم ثائر حزين يدعو إلى الثورة العارمة بعنف وصراحة، ويسجل تلك الأحزان العلوية في أسف ولوعة، منادياً: **ياالثارات الحسين.**

وقد وصف **ابن الطقطقي** تلك الفاجعة بقوله: إذا كان قتل أمير المؤمنين (ع) هو الطامة الكبرى، فهذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي والتمثيل ما تقشعر له الجلود، وقد اكتفيت ببسط القول فيها لشهرتها، فلعن اللّه كلَّ مَنْ باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها، ولا جدال في أنَّها مأساة مؤلمة فقد وطئت الخيول صدر الحسين (ع) واجتزوا رأسه ومثلوا بجثته، وتطاول قتلته على النساء، فكانت المرأة تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه وتبقى بدون ساتر[2].

يقول الشاعر الأديب عبد الحسين الأزري في قصيدة عصماء يخاطب بها الإمام الحسين (ع):

نهج الاباة على هداك ولم تزل ... لهم مثالاً في الحياة نبيلا
خشيت أُميَّةُ أنْ تزعزع عرشها ... والعرش لو لاك استقام طويلا
قتلوك للدُنيا ولكن لم تدم ... لبني أُميَّة بعد قتلك جيلا
ولربَّ نصر عاد شر هزيمة ... تركت بيوت الظالمين طلولا

---

(١) ـ أدب الشيعة: للدكتور عبد الحسيب طه، عن كامل ابن الاثير ٤/ ٤٠، تاريخ الطبري ٢/ ٢٢٣و ٢٦١و ٢٦٩.

(٢) ـ الفخري في الآداب السلطانيةوالدول الإسلامية: ٨٤، تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٠.

لقد قيل أن ـ **عقبة بن عمرو السهمي** ـ أول من رثى الامام الحسين (ع) عندما قال:

إذا العين قَرَّت في الحياة وأنتم ... تخافون في الدنيا وأظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلاء ... فـفاض عليه من دموعي غزيرها
ومـا زلت أبكيه وأرثي لشجوه ... ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً ... اطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلاء ... وقل لهم: مني سلام يزورها
سلام بآصال العشي وبالضحى ... تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الزوار زوار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها

ورثاه كذلك ـ **سليمان بن قتّة العدوي التميمي** ـ عندما مرّ ـ **بكربلاء** ـ بعد قتل الامام (ع) بثلاث، فنظر إلى مصارعهم واتكأ على فرسه وأنشأ يقول:

مررت على أبيات آل محمّد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاءً ثمّ أضحوا رزيةً ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وتسألنا قيس ونعطي فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعل زلّت[1]

وهناك الكثير من الشعراء الّذين اكثروا وبالغوا في رثاء الامام الحسين (ع).

وجميل ما قاله الشاعر:

تاللّهِ إنْ كانت أُميّةُ قَدْ أتتْ ... قَتلَ ابنِ بنتِ نبيِّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

(١) ـ شرح حماسة أبي تمام للتبريزي: ٣/ ١٤، مروج الذهب ٢/٩٢، نقلاً عن **«أنساب»** الزبير بن بكار، و **«مناقب»** ابن شهر آشوب ٢/ ٢٢٨، تذكرة الخواص: ١٢٤، ورد فيها في أربعة أبيات، وورد في خمسة أبيات في **«معجم البلدان»**: ٦/٥٢، ومقالات الإسلاميّين لأبي الحسن الأشعري ١/ ١٤٢، وفي ستٌ أبيات في **«كامل»** ابن الأثير ٤/ ٣٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٢١٥، وفي سبع أبيات في **«مقاتل الطالبيّن»**: ١٩(ط/ايران)، ونسب قريش لمصعب الزبيري: ٤١، وفي ثمان أبيات في **«البداية»** لابن كثير ٨/ ٢١١، ومقتل الخوارزمي ٢/ ١٤٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/ ٣٤٣، الاصابة ٤/ ٧٤.

أسفوا على أنْ لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولقد أحسن المسلمون على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم من خذلانه ومن تجاهله، وحتى الّذين قاتلوا وقادوا المعركة ضدّه بالندم والخيبة، فقد جاء عن ـ **عمر ابن سعد** ـ أنّه كان يقول: لا تسل عن حالي فإنّه لم يرجع غائب عن منزله بأشر ممّا رجعت به، فلقد قطعت القرابة القريبة وارتكبت الأمر العظيم، كما ندم ـ **يزيد** ـ على قتله وبكى بكاءً عالياً، وحينما علم ملك الروم بتلك المجزرة غضب لذلك وكتب إلى ـ **يزيد** ـ كتاباً جاء فيه: لقد قتلتم نبيّاً أو ابن نبيٍّ ظلماً وعدواناً[1].

وإلى جانب تلك الآثار السيئة النفسية التي خلّفتها تلك المجزرة الرهيبة في نفوس الجماهير المسلمة، فلقد كان لها أعظم الأثر في تقويض الدولة الأُموية وعدم الإطمئنان إليها، واستغلها أعداء أهل البيت: **كابن الزبير** وأمثاله وجعل يندد على ـ **يزيد** ـ والأُمويين، ويرثي الحسين (ع) وأصحابه، ويلعن أهل الكوفة لخذلانهم إيّاه و ـ **يزيد بن معاوية** ـ وجميع من اشترك في قتاله، ويعلن عن عدم اطمئنانه للحكم الأُموي ويقول: أبعد الحسين (ع) نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدّق لهم قولاً؟ أما واللّه، لقد قتلا طويلاً باللّيل قيامه، كثيراً بالنهار صيامه، أحقُّ بما هم فيه منهم، وأولى في الدّين والفضل.

ومهما كان الحال فلقد استغل ـ **ابن الزبير** ـ مجزرة كربلاء، وجعل يندد بيزيد وجلاديه، ويحذر المسلمين من شرّهم وطغيانهم، ومن خلال مواقفه هذه اتّجهت إليه الجماهير وراودتها الاحلام بالتخلّص من تلك الدولة العاتية بعد أنْ بلغت النقمة عليها أقصى حدودها، وأيقن المسلمون في ـ **الحجاز** ـ وخارجه: أنّهم إذا تجاهلوا هذا الحدث الخطير، ووضعوه إلى جانب غيره من أحداث الأُمويين، لا تبقى لأحد حرمة إلاّ وتداس تحت أقدامهم ولا يهابون بعده أحداً، كما قال **عبد**

---

(١) ـ المحاسن والمساوئ للبيهقي ١/ ٢٦.

الله بن مطيع للحسين (ع) وهو خارج من مكة وابن مطيع في طريقه إليها.

فقد قال له يومذاك: إذا قدمت العراق ستقتل ياأبا عبد الله! وإذا قتلوك لن يهابوا بعدك أحداً أبداً.

لقد عمَّت النقمة جميع الأوساط، ممّا اضطر - **يزيد** - لأنَّ يتبرأ من مصرع الحسين (ع) ويحمل - **ابن زياد** - مسؤولية قتله، فكان يقول - بعد أنْ عرف أهل الشام حقيقة ما جرى للحسين (ع) وأصحابه، وعندما رأى الوجوه قد تغيَّرت وراح الناس يتحدَّثون عن هول تلك المأساة - كان يقول: لعن الله - **ابن مرجانة** - لو كنت مكانه لرضيت من الحسين (ع) بأقل من ذلك.

قال سبط ابن الجوزي: فوالله، لم يبق أحد في النّاس إلاّ سبَّه وعابه وتركه، فكان يقول: لعن اللهّ - **ابن مرجانة** - لقد اضطره إلى القتل، لقد سأله أنْ يلحق ببعض البلاد أو الثغور فمنعه.

لقد زرع لي - **ابن زياد** - في قلب البر والفاجر، والصالح والطالح العداوة... الخ[1].

وقال ابن الأثير: لما وصل رأس الحسين(ع) إلى يزيد، حسنت حال - **ابن زياد** - عنده وزاده ووصله وسرَّه ما فعل.

ثُمَّ لَمْ يلبث إلاّ يسيراً حتّى بلغه بغض النّاس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين (ع)، فكان يقول: وما عليَّ لو احتملت الأذى، وأنزلت الحسين معي في داري، وحكمته فيما يريد - **وإنْ كان عليَّ في ذلك وهن في سلطاني** - حفظاً لرسول الله - صلّى الله عليه [وآله] وسلّم - ورعاية لحقِّه وقرابته.

لعن الله - **ابن مرجانة** - فإنَّه قتله فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البرِ والفاجر بما استعظموه مِنْ قتل الحسين.

---

(١) - تذكرة الخواص: ١٤٨.

مالي ولابن مرجانة؟ لعنه اللّه وغضب عليه... الخ[1].

وروي ابن الأثير أيضاً: لمّا وفد أهل الكوفة بالرأس إلى الشام، ودخلوا مسجد دمشق، أتاهم ـ **مروان بن الحكم** ـ ، فسألهم: كيف صنعوا؟ فأخبروه، فقام عنهم، ثمّ أتاهم أخوه ـ **يحيى بن الحكم** ـ، فسألهم: فأعادوا عليه الكلام.

فقال: حجبتم عن محمّد (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم) يوم القيامة، لن أُجامعكم على أمر أبداً!! ثمّ انصرف عنهم.

فلمّا دخلوا على ـ **يزيد** ـ ، قال يحيى ـ **مستنكراً عمل يزيد** ـ:

لهـــام بجنب الطف أدنى قـــرابة … من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى … وليس لآل المصطفى اليوم مِنْ نسل!

فضرب يزيد في صدره، وقال: اسكت[2].

قال ابن الأثير: ثمّ دخلوا على ـ **يزيد** ـ فوضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه ... فسمعت الحديث ـ **هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز** ـ زوجة يزيد، فتقنعت بثوبها وخرجت، فقالت: ياأمير... أرأس الحسين بن عليّ، ابن فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلّى اللّه تعالى عليه [وآله] وسلم؟!

قال: نعم، فأعولي عليه، وحدّي على ابن بنت رسول اللّه وصريخة قريش، عجل عليه ـ **ابن زياد** ـ فقتله، قتله اللّه[3].

ثمّ أذن للناس فدخلوا عليه، والرأس بين يديه ومعه قَضيب وهو ينكت به ثغره.

فقال له أبو برزة الأسلمي: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين (ع)؟!

---

(١) ـ الكامل ٣/ ٣٠٠.

(٢) ـ نفس المصدر٣/ ٣٠١.

(١) ـ أيضاً٣/ ٢٩٨، الخطط للمقريزي ٣/ ٢٨٤، تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٧.

أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذاً لربّما رأيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يرشفه.

أما أنّك يايزيد! تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) شفيعه، ثمّ قام فولّى.

ثمّ أُدخل نساء الحسين (ع) على يزيد، والرأس بين يديه... فلمّا رأينَ الرأس صحن، فصاح نساء يزيد، وولولت بنات معاوية... الخ[1].

قال الطبري: ثمّ أُخرجنَ وأُدخلنَ دور - **يزيد** - فلم تبقَ امرأة من - **آل يزيد** - إلاّ أتتهنّ، وأقمن المآتم ثلاثة أيام...الخ[2].

ويعلّق **الدكتور عبد الحسيب طه** على هذه الفاجعة فيقول: نعم، إنّ عبد الملك كان يُدرك الأثر الخطير لسفك دماء سلالة الرّسول (ص)، فكان يصانعهم ويعطف عليهم، وكتب إلى الحجاج - **عامله على العراق** - : جنّبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الحرب، وإنّي رأيت - **آل بني حرب** - قد سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن عليّ[3].

وعندما ما سمع - **ابن سعد** - بأنّ اللعنات تنهال عليه في الحجاز من الرّجال والنساء، وأصبح كريهاً على لسان الكبار والصغار أرسل رسولاً إلى نساء الأنصار في المدينة ليبرئ نفسه ممّا جرى لأهل البيت (ع) وأرسل معه كتاب - **ابن زياد** - اليه الذي يقول فيه: إنّي لم أبعثك إلى الحسين (ع) لتكف عنه ولا لتطاوله وتمنيه السلامة والبقاء ولا لتكون له شفيعاً عندي، انظر فإنْ نزل الحسين (ع) وأصحابه على حكمي فابعث بهم إليّ سلماً، وإنْ أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنّهم لذلك مستحقون، وإنْ أنتَ قتلتَ حسيناً (ع) فأوطئ الخيل صدره

---

(١) - الكامل ٣/ ٢٩٩.

(٢) - تاريخ الطبري ٦/ ٢٦٥.

(٣) - أدب الشيعة، نقلاً عن «العقد الفريد» ٣/ ١٤٩.

وظهره فانَّه عاق قاطع ظلوم، فإنْ أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإنْ أنتَ أبيتَ فاعتزل عملنا وخلّ بين شمر وبين الجيش(١).

هذا الكتاب أرسله ـ **ابن سعد** ـ إلى ـ **المدينة** ـ حيث أهلها نساءً ورجالاً يكيلون له ولأميره آلاف اللعنات ويتبرأون منه في النوادي والمجتمعات، ويلوذون بزينب وأخواتها وبالإمام زين العابدين (ع) يبكون وينتحبون، والعقيلة (ع) تجوب بيوت اخوتها وبني عمومتها باكية نادبة ومن خلفها بنات المهاجرين والأنصار يبكين لبكائها وينـدبنَّ الحسين (ع) وَمَنْ قتل معه من اخوته وأبناء عمومته وأنصاره.

وأدرك ـ **ابن زياد** ـ أنَّه أصبح يتحمل القسط الأكبر من المسؤولية وأنَّ اللعنات التي أصبحت تنهال عليه تعادل ضعفي ما ينهال على ـ **يزيد وابن سعد** ـ وغيرهما، فطلب من ابن سعد الكتاب ليخفيه عن الناس، فادّعى: أنَّه قد فقد منه، ولّما ألح ابن زياد في طلبه قال له ابن سعد: لقد أرسلته إلى نساء قريش في المدينة لأعتذر لهن عن قتل الحسين (ع)، أما واللّه، لقد نصحتك في الحسين (ع) نصيحة لو نصحتها لأبي سعد بن أبي وقاص لكنت أديت إليه حقّه، وكان عثمان بن زياد ـ **شقيق عبد اللّه** ـ حاضراً، فقال لعمر بن سعد: صدقت، واللّه، لوددت أنَّه ليس من ـ **بني زياد** ـ رجل إلاّ وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأنَّ حسيناً (ع) لم يقتل(٢).

لقد كان مقتل الحسين (ع) ذا حدَّين استفاد منه أعداء الحسين: **كابن الزبير** ـ الذي جمع الناس حوله في الحجاز، واستغله للتشهير ـ **بيزيد** ـ والأُمويين، وجعل يتباكى ويتظاهر بالحزن على الحسين (ع) وأصحابه، فاجتمع الناس عليه والتفوا

---

(١) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٤٩.

(٢) ـ زينب بنت عليّ (ع): لعبد العزيز سيد الأهل، عن الطبري ٤/ ٣٥٧.

من حوله، وفي الوقت ذاته فقد أيقظ شيعة الحسين (ع) وجعلهم يشعرون بأخطائهم معه ومع أبيه وأخيه (ع) وبتقصيرهم في نصرته، وانضمت إليهم جميع العناصر المناوئة للأمويين: من الموالي وغيرهم، واتفقوا جميعاً على صيحة واحدة تستر وراءها أغراضهم المختلفة: **يالثارات الحسين!**

فكان لهذه الصيحة: الصدى الواسع في جميع الأوساط الإسلامية، الذي أقلق الظالمين، وزعزع عروشهم، وقوّض دعائم دولتهم في المشرق العربي، وأصبحوا لعنة على لسان الأجيال إلى قيام يوم الدّين[1]، وباء الحسين (ع) وحده بالفخر الذي لا فخر مثله في تاريخ بني الإنسان، وحسبه أنّه وحده في هذه الدّنيا الشهيد ابن الشهيد، وأب للمئات من الشهداء، والقدوة لكلّ ثائر على الظلم والظالمين.

وسلام اللّه عليك يامَنْ لم يحدث التاريخ عن مثله، ويَامَنْ علّمنا لماذا أمر اللّه الملائكة أنْ تسجد لآدم:

فيا أيُّها الوتر في الخالدين — فذا إلى الان لم يشفع
ويا واصلاً من نشيد الخلود — ختام القصيدة بالمطلع
ويابن التي لم يضع مثلها — كمثلك حملاً ولم ترضع

---

(١) ـ قال السيوطي في **«تاريخ الخلفاء»**: ١٩٣: ولمّا قُتِلَ الحسين وبنو أبيه، بعث ـ **ابن زياد** ـ برؤوسهم إلى ـ **يزيد** ـ فسرَّ بقتلهم أوَّلاً، ثمَّ ندم لما مَقَته المسلمون على ذلك، وأبغضه النّاس، وحقٌّ لهم أنْ يبغضوه...الخ.

وقال ابن حجر في «الصواعق المحرقة»: ١١٩: ... إنَّ ـ **يزيد** ـ بالغ في رفعه ـ **ابن زياد** ـ ، حتّى أدخله على نسائه...، وجمع أهل الشام، وجعل ينكت الرأس بالخيزران...، ولمّا فعل ذلك برأس الحسين، كان عنده ـ **رسول قيصر** ـ، فقال متعجباً: إنَّ عندنا في بعض الجزائر في دير ـ **حافر حمار عيسى** ـ فنحن نحجُ إليه كلَّ عام مِنَ الأقطار، وننذر النذور، ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنّكم على باطل!!

وقال ذمّيٌ آخر: بيني وبين داود سبعون أباً، وأنَّ اليهود تعظمني وتحترمني، وأنتم قتلتم ابنَ نبيِّكمَ؟!!

قال الدكتور عبد الحسيب طه في كتابه **«أدب الشيعة»**: ٤٨: وغدت ذكرى ـ **كربلاء** ـ الملحظة بدماء ـ **ابن بنت الرّسول (ص)** ـ كافية لأن تثير عاطفة الحماسة والحزن في قلوب النّاس، وتشيْع الفرس عن عقيدة...، ووحْد صفوف الشيعة...، وصرف قلوب النّاس عن ـ **بني أُميَّة** ـ ، وكثر الحاقدون عليهم،فأخذوا يعضون بنان الندم...الخ.

ويا ابن البتول وحسبي بها ضماناً على كلّ ما أدعي
تعاليت من مفزع للحتوف وبورك قبرك من مفزع
تمر الدهور فمن سجد على جانبه ومن ركع

لم تكن ثورة الإمام الحسين (ع) حدثاً تاريخياً عابراً: يمحى أثره، وينسى ذكره مع زوال الظروف السياسية والإجتماعية التي تفجرت فيها الثورة أو سببت قيامها.

ويؤكد ذلك هذا الأثر الفكري والتربوي الخالد الذي تركته الثورة الحسينية في الأُمَّة ليبقى حيّاً متحركاً مع تعاقب الأجيال المسلمة، وهذا الرصيد العاطفي القوي الذي تملكه حيث تلتهب تلك العاطفة في قلوب المسلمين ومشاعرهم مع تجدد ذكرى استشهاد الحسين (ع) في كلّ عام.

ولكي يقترب المرء مِنْ معرفة السّر الكامن وراء هذه الحقيقة ـ **أي سبب احتفاظ الثورة الحسينية** ـ بحيويتها واستمرارها ينبغي أنْ يعرف ولو بشكل مجمل: ماهو الدافع الذي حرّك الحسين (ع) للقيام بثورته؟ وهل وضع الإمام الثائر تخطيطاً واعياً لتلك الثورة؟

ولا يمكننا الاعتماد على الخطب المرتجلة أو المقالات الإنشائية في الإجابة على هذين السؤالين مالم نحط بالظروف الإجتماعية للأُمَّة، والحالة النفسية والأخلاقية لها آنذاك، ودون أنْ نرجع إلى كلمات الحسين (ع) وخطبه التي كان يلقيها في مراحل مختلفة من الثورة كنصوص تاريخية تفصح عن دوافع الإمام (ع) وأهداف ثورته الخالدة.

فهي إذن ليست ثورة محدودة وموقوتة للفترة الزمنية التي قامت فيها لأنَّها تمثل الصراع الدائم بين الإسلام والجاهلية، بين الدّين واللادينية التي كان عليها أُولئك الذين ارتكبوا أبشع وأفضع جريمة وحشية في يوم ـ **عاشوراء** ـ لم تعرف لها البشرية نظيراً من حيث القسوة واللا أخلاقية التي مارسوا بها جريمتهم: ألا وهي

تقتيل الحسين (ع) وأصحابه وأطفاله، وصدّهم عن الماء، وسبيهم ذراري رسول الله (ص) من بلد إلى بلد.

فثورة كهذه حرية بأنْ تبقى خالدة، ويظلّ أثرها باقياً في النفوس والعقول على مرّ الأجيال، وعلى هذا الأساس ينبغي أنْ لا نعتبر الجانب العاطفي هو الغاية والأساس عند أجيالنا لذكرى إستشهاد الحسين (ع) ونغفل الجانب التربوي، لأنَّ لكلّ مِنَ الجانبين أثره الفعال المستمر.

ومع هذا يأتي ناصبي حاقد مثل ـ **الخضري** ـ ويقول: وعلى الجملة، فإنَّ الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الَّذي جرَّ على الأُمَّة وبال الفرقة والاختلاف، وقد أكثر النّاس الكتابة في هذه الحادثة.. وغاية الأمر أنَّ الرَّجل طلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يعد له عدَّته، فحيل بينه وبين ما يشتهي، **وأضاف**: وأمَّا الحسين فإنَّه خالف على يزيد الذي بايعه النّاس، ولم يظهر منه ذلك الفسق والجور[1].

إنَّ اجتهادات الخضري**«الوَّهابي»** ليست بجديدة علينا، ولن تجدي نفعاً حيث سبقتها اجتهادات ابن حجر؛ وابن تيمية؛ وغيرهما ممَّن انتهوا إلى أعتاب السلاطين يبايعون أقدام الطغاة دون أيديهم !.. كما انتهوا إلى سيوف جلاوزتهم التي لا تميِّز الصديق من العدو !!

فأيّ قيمة تبقى سالمة لتوعيدات الشريعة عندئذ؟ لاها الله، هذه أُمنيَّة حالم قطّ لا تتحقَّق، إلاَّ أنْ تكون تلك المحاباة تشريفاً ـ **لابن النصرانية** ـ بخرق النواميس الإلهية، والخروج عن حكم الكتاب والسنَّة تكريماً: **لراية هند؛ ومكانة حمامة؛** إذن

---

(١) ـ المحاضرات: ٥١٧، والعجب من التزامه بصحة خلافة ـ **يزيد** ـ، وهو يقرأ حديث النبيّ (ص): **«لايزال أمر أمّتي قائماً بالقسط حتى يكون أوّل من يثلمه رجل من ـ بني أُميّة ـ يقال له: يزيد»،** مجمع الزوائد ٥/ ٢٤١، عن **«مسند»** أبي يعلى ؛ والبزار، الصواعق المحرقة: ١٣٢، عن **«مسند»** الروياني، عن أبي الدرداء، صحيح البخاري: كتاب الفتن، فتح الباري ١٣/ ٧، عن أبي هريرة.

فعلى الإسلام السّلام.

أفَمِنَ الحقّ لمن له أقلُّ إلمامة بالعلم والحديث أنْ يركن إلى أمثال هذه التفاهات، ولا يقتنع بذلك حتّى يحتجَّ بها لإمامة الرّجل عن حقّ وصدق خلافته، كما فعله ابن حجر(1).

وكأنّه غضَّ الطرف عن كلّ ما جاء في حقّ الرّجل من حديث وسيرة وتاريخ، وأغضى عن كلّ ما انتهى إليه مِنَ الأُصول المسلَّمة في الإسلام، وحرمات الدين، نعم، الحبُّ يعمي ويصمّ.

إنَّ أمير الوّهابيين ـ **يزيد** ـ الَّذي شبَّ عند أب كمعاوية وأُم نصرانية!! الجدير أنْ يفعل في ثلاث سنوات ثلاث جرائم يندى لها جبين الإنسانية، وتتجاوز بفظاعتها حدَّ الوصف ! بل لقد فاقت جرائمُ يزيد جريمة جدّه ـ **أميّة** ـ الَّذي زوج ابنه ـ **زوجته** ـ فدخل بها .. وأُميَّة حيٌّ ينظر!!.. وأمّا الحفيد ـ **يزيد** ـ فقد رَكِبَ عمته ولم تكن قد تزوَّجت فوجدها مُفْضاة.. فاستغرب ذلك منها، فقالت: لقد أفتضني أبوك ـ تعني: أخاها أمير المؤمنين ـ **بالجبت والطاغوت** ـ معاوية بن صخر!!

فأوَّل آثامه وموبقاته:

١ـ قتل ابن بنت رسول اللّه (ص) عطشاناً، وقتل أصحابه معه، وتنكيله بجثثهم أسوأ تنكيل، وحرق خيامهم، وذبح أطفالهم، وسبي نسائهم من بلد إلى بلد ـ **وهنَّ عقائل الوحي** ـ ، وقطع رؤوس الحسين (ع) وأصحابه وأولاده وأنصاره، وجعلها على رؤوس الرماح من **كربلاء** إلى **الكوفة**، ومن **الكوفة** إلى **الشام**، ثم إحضار الرأس الشريف في مجلسه، وشربه الخمر، ونكثه ثنايا الإمام الحسين (ع) بقضيب كان بيده، وإنشاد الأشعار الإلحادية كقوله:

---

(١) ـ الصواعق المحرقة، وفي هامشه تطهير الجنان: ٣٢.

لَمَّا بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على رُبى جيرون[١]
نعب الغراب فقلت: صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبيِّ ديوني[٢]

وقوله:

دع المساجد للعباد تسكنها وقف على دكة الخمَّار واسقينا
ما قال ربُّك: ويلٌ للذي شربوا بل قال ربُّك: ويلٌ للمصلينا
إنَّ الذي شربوا في سكره طربوا إنَّ المصلين لا دُنياً ولا دينا
فوالله، لولا خشية الله والحياء لعانقتها بين المقام وزمزما
وقبَّلتها ألفاً وعضضت وجهها وهذا حلالٌ لي وإنْ كنتُ محرما
لقد حرَّم الله الزنا في كتابه وما حرَّم الرَّحمن خداً ولا فما
قرأت كتاب الفقه ثمَّ درسته وما عندنا وجه المليح محرَّما

وقوله:

ياغراب البين ما شئت فقل إنَّما تندب أمراً قد حصل
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يايزيد ! لا تشل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[٣]
لست من خندق إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

---

(١) ـ في **«صورة الأرض»** لابن حوقل: ١٦١ (ط/دمشق)، ليس في الإسلام أحسن منه كان مصلى ـ **الصابئين** ـ، ثمَّ صار ـ **لليونان** ـ، يعظمون فيه دينهم، ثمَّ صار ـ **لليهود وملوك عبدة الأصنام** ـ، وباب هذا المسجد يسمّى ـ **باب جيرون** ـ، صلب على هذا الباب رأس يحيى بن زكريا، وصلب على ـ **باب جيرون** ـ رأس الحسين بن عليّ في الموضع الذي صلب فيه رأس يحيى بن زكريا، ولمَّا كان أيّام ـ **الوليد بن عبد الملك** ـ جعل وجه جدرانه رخاماً... الخ، ويظهر أنَّ هذا **«المسجد»** هو **«الجامع الأموي»**.

(٢) ـ روح المعاني للآلوسي ٢٦/ ٧٣، ومن هنا حكم **ابن الجوزي** ؛ **والقاضي أبو يعلى** ؛ **والتفتازاني** ؛ **والجلال السيوطي** ـ بكفره ولعنه.

(٣) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٥٦ ـ ٥٧، وفي الهامش: إلى هذه الأبيات أشار شاعر العراق عبد الباقي أفندي العمري في **«الباقيات الصالحات»** بقوله:=

إنَّ ـ **ابن الكلبية** ـ أعلن ـ **عيد الظفر** ـ بقتله ابن بنت رسول اللّه (ص)، وجلس للتهاني في مجلسه، وها هم أتباعه من «**الوهّابية**» يجلسون ويتقبّلون التهاني بهذه المناسبة السعيدة ـ مناسبة قتل الحسين (ع) إمام المسلمين... وظفر يزيد أمير الوهّابيين!!

إنَّ السنَّة تجيز للوهّابية: الخروج عن نهج السنَّة!! وإلاَّ كيف شُرِّعَ هذا العيد؟ وما هو دليله من الكتاب والسنَّة!! وسيرة مَنْ سبق يزيد!!

لم يكن في القرآن والسنَّة الصحيحة، ولم يكن معروفاً عند المسلمين ما أحدثه ـ **بنو أميّة** ـ في الدِّين: من بِدَع في العبادات والمعاملات وفروع الفقه كافة.

قال أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا: أنَّ سبَّ وُلاةِ السوء فتنة، ولعن الجَوَرَةَ بدعة، وإنْ كانوا يأخذون السميَّ بالسميِّ، والوليَّ بالوليِّ، والقريبَ بالقريبِ، وأخافوا الأولياء، وآمنوا الأعداء، وحكموا بالشفاعة والهوى، وإظهار القدرة والتهاون بالأُمَّة، والقمع للرعيَّة، والتُّهم في غير مدارة ولا تقيَّة، وإنْ عدا ذلك إلى الكفر، وجاوز الضلال إلى الجحد، فذاك أضل ممَّن كف عن شتمهم، والبراءة منهم.. على أنَّه ليس مَنِ استحقَّ إسم الكفر بالقتل كمن استحقَّه بردِّ السنَّة وهدم الكعبة.. وليس مَنِ استحقَّ اسم الكفر بذلك ـ

ـ **نقطع في تكفيره إنْ صح ما** **قد قال للغراب لمّا نعبا**

مقتل الخوارزمي ٢/ ٦٦، شرح النهج الحديدي ٣/ ٣٨٣(ط/مصر)، أمالي أبي علي القالي ١/١٤٢، شرح البكري: ١/ ٣٨٧، الآثار الباقية للبيروني: ٣٣١.

وأصل هذه الأبيات لابن الزبعري، كما في «**الصواعق المحرقة**»، وزاد ـ **يزيد** ـ فيها بيتين مشتملين على الكفر. خزاه اللّه في هذه الأبيات، فقد كفر فيها بانكار الرِّسالة، ولا ريب أنَّ اللّه سبحانه قضى على يزيد بالشقاء، فقد تعرَّض لآل البيت الشريف بالأذى.

وقال سبط ابن الجوزي في «**تذكرته**»: ١٤٨، ثمَّ إنَّه ـ **يزيد** ـ استدعى ـ **ابن زياد** ـ إليه، وأعطاه أموالاً كثيرة، وتحفاً عظيمة، وقرَّب منزله، وأدخله على نسائه، وجعله نديمه، وسكر ليلةً، وقال للمغنّي: غنِّ، ثمَّ قال بديهاً:

اسقني شربةً تروي فؤادي **ثمَّ مل فاسْقِ مثلها ابن زياد**
صاحب السر والأمانة عندي **ولتسديد مغنمي وجهادي**
قاتل الخارجي أعني حسيناً! **وسيِّد الأعداء والحسّاد!**

كمن شبَّه اللّه بخلقه ـ وليس من استحقَّ الكفر بالتشبيه كمن استحقَّه بالتجوير.. ـ **والثابتة في هذا الوجه** ـ أكفر من: يزيد وأبيه، وابن زياد وأبيه(١).

هذه فتوى لفقيه كبير وعالم من كبار علماء ـ **أهل السنَّة** ـ في كفر معاوية ويزيدوحزبهما!!

ولو أردتُ عَد فتاوى أمثال الجاحظ من علماء السنَّة في كفر معاوية وزمرته لخرجت عن نهج الإختصار.

ولنا أنْ نسأل **«الوهّابيين»** ونقول لهم: مَنْ هم الَّذين حاربوا أهل البيت (ع)؟ وَمَنْ هم الَّذين سالموهم؟ أَلَمْ يكن الَّذين حاربوهم كالَّذين حاربوا رسول اللّه (ص)؟ أَلَمْ يكن محاربو رسول اللّه (ص) يوالون أعداء الدِّين، وكان سعيهم في هدم الإسلام، و...؟؟

٢ـ هتكه حرمة المدينة المنورَّة ـ حرم رسول اللّه (ص)، ودار هجرته، ومثوى جثمانه المقدَّس، ومأمن الخيرة مِنْ أصحابه ـ وسفك دماء الصحابة، وأبنائهم من المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين في المعركة المسماة **«معركة الحرَّة»**، حتى قضى فيها على البدريين.

أراد ـ **يزيد** ـ أنْ يستميل إليه أهل المدينة، حتّى لا ينضموا إلى ثوار مكّة، فطلب من والي المدينة أنْ يبعث إليه وفداً من وجوه القوم، وفي دمشق أغدق ـ **يزيد** ـ الصلات والجوائز على أعضاء الوفد، ولكنَّهم خيَّبوا ظنَّه بعد عودتهم إلى المدينة، فقد كالوا له السِّباب والشتائم، وبعث يزيد برسول إليهم يحذّرهم وينهاهم، ولكن أهل المدينة أعلنوا خلع طاعة يزيد، وطردوا أبناء البيت الأُمويّ من المدينة(٢).

رأى يزيد أنْ يبعثَ جيشاً لتأديب أهالي المدينة، وحفر هؤلاء خندقاً حول

---

(١) ـ آثار الجاحظ (**رسالة في بني أميّة**): ١٢٩، وفي هذه الرسالة في فضائح ـ **آل أميَّة** ـ ما يندى له جبين الحر، وفيها من الأدلَّة على كفرهم جميعاً مافيه مزدجر للمغرر بهم!!

(٢) ـ كامل ابن الأثير ٤/ ٤٤.

مدينتهم أُسوةً بما فعل الرّسول (ص)، وقامت ـ **معركة الحرّة** ـ وانتهت **بهزيمة أهالي** المدينة، وأباح القائد الأُمويُّ المدينة لجنده ثلاثة أيام، **قتلوا أهلها**، و**سلبوا أموالهم**، وانتهكوا أعراضهم، وقُتِلَ ثمانون من صحابة الرّسول (ص)، وسبعمائة من قريش والأنصار، وعشرة آلاف مِنْ سائر النّاس والموالي[1].

٣ـ هدم قبلة المسلمين، والجرأة على مقام إبراهيم الذي جعله اللّه آمناً.. ﴿**فمن دخله كان آمناً**﴾، أياً كان الداخل بلا قيد بصريح القرآن !! فقد أرسل نجاشي الحبشة بعض الأحباش للدفاع عن الكعبة[2].

فإنَّ هدر دماء المسلمين بالقرب من قبر رسول اللّه (ص) إهانة للرّسول (ص)، وتجاهره بالخمور وسائر أنواع الفجور، ألا يدل ذلك على كفر يزيد .. وَمَنْ مهّد الأمر لمثل يزيد!!

لم تكن لمعاوية ... «**إمرةٌ**» على عموم بلاد الشام، بل على «**دمشق**» **فقط**، فقد كان عاملاً عليها.. وأوّل مَن استعمله ـ **عمر بن الخطّاب** ـ.

وهنا سؤال لا بُدَّ منه؟ .. نرى بين «**تيم**.. **وعدي**.. **وأميّة**» صلةً وثيقةً جداًّ.. تفوق حدَّ الوصفِ!!

ولو فتّشنا كتب السير... والأدب..والتاريخ .. لم نجد لهذه الصلة جذوراً عميقة في الزمن الجاهلي!! بل تمَّت تلك الصلة واشتدت بينهم ـ منذ إعلان الدعوة المحمدية في مكة!!

فثار الأُمويون في وجهها، وَعُرِفُوا بشدة مجابهتهم المسلَّحة لها !!فما هو سبب استمرار الصلة الأخوية الوثيقة بين «**حزب السقيفة**» و «**الأمويين**» **قاطبة**، وخصوصاً مثل ـ **معاوية** ـ، وهو ابن أبي سفيان **قائد** حملات الشرك المعلوم؟!

---

(١) ـ الطبري ٤/ ٥١، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٩.

(٢) ـ أنساب البلاذري ٤/ ٥١.

الوثنيَّةُ السِّرِّيَّةُ ـ هي همزة الوصل بين الفريقين !!... وإلاّ فإنّنا لا نجد سبباً لتلك الصلة، ولا شافعاً، ولا مبرراً ... أجاز ـ **لعمر بن الخطّاب** ـ استعمال ـ **معاوية** ـ على دمشق، وهو ابن صخر... ابن هند آكلة كبد حمزة!!

فليس لمعاوية سابقة في الإسلام، ولا هو ممَّن يُحسن شيئاً من أحكامه، ولا يفهم شيئاً مِنْ تفسير ـ **كتابه** ـ.

إذن، كيف.. وبأيّ مبرر صار عاملاً ـ **لعمر** ـ وهو لا يعرف من أحكام الإسلام موضع قدمه؟! لولا الصلة السِّرِّيَّة ـ أي الوثنية!!

فإنْ لم يدلّ استمرار الصلة الأخوية بين ـ **حزب السقيفة والأمويين** ـ إلاّ على الريبة والشك في حسن نوايا «**السقيفيين**» للإسلام والمسلمين.. لكفى مُنَبِّهاً للعاقل، وتبصرة للجاهل.

فمثل ـ **معاوية** ـ في عدائه للإسلام، وعداء أبيه، إنْ صحَّ قبول إسلامه، يكون له ما للمسلمين ـ **عامة المسلمين** ـ ، وعليه ما عليهم..لا أنْ يكون ـ **عاملاً** ـ في بلد! للشَّك في صدق إسلامه، والجزم في جهله أحكام الدِّين ـ**لتأخر إسلامه**ـ!!

وعلى كلِّ حال.. فقد تحمل ـ **عمر بن الخطّاب** ـ كلَّ بدعة ابتدعها ـ **معاوية** ـ ، وكلَّ خيانة فَعَلها، وكلَّ دم أراقه، فالممهد للجريمة.. شريك للمجرم!!.

لا يقال: إنَّ ـ **معاوية** ـ لم يحدث شيئاً في عهد ـ **عمر** ـ ، فنقول: إنَّ معاوية لأنَّه ـ **ابن صخر** .. **ابن هند** ـ لا يصحّ بحكم الشرع جلوسه على كرسي حُكمٍ ما !! لولا الصلة السِّرِّيَّة بينهم جميعاً!!.

أمّا بعد جلوس ابن عمّه ـ **عثمان** ـ على كرسي الخلافة، فقد أصبح ـ **معاوية**ـ عاملاً على عموم بلاد الشام، فصحَّت كلمة أبيه: تلاقفوها يابني أُميَّة! أمَا واللات والعُزى لا جنَّة ولا نار، ولتصيرنَّ لنسائكم وصبيانكم!!.

ذكر القاضي أبو بكر محمَّد بن عبد الرحمن البغدادي، المعروف ـ **بابن قريعة** ـ المتوفّي سنة (٣٦٧هـ) ـ **وكان حنفي المذهب** ـ حسب ما نقل عنه أرباب

التراجم: أنَّ الفجايع التي أُصِيبَ بها الإسلام مردها إلى أعمال ـ **الخليفة عمر بن الخطاب** ـ، وسائر الخلفاء، وبهذا أنشأ شعراً:

يامن يسائل دائباً عن كلّ معضلة سخيفة لا تكشفن مغطاً فلربما كشفت جيفة
ولربَّ مستور بدا كالطبل من تحت القطيفة إنَّ الجوابَ لحاضرٌ لكنّني أخفيه خيفة
لولا اعتداء رعية ألغى سياستها الخليفة وسيوف أعداء بها هاماتنا أبداً نقيفة
لنشرت من أسرار آل محمَّد جملاً طريفة تغنيكم عمّا رواه مالك وأبو حنيفة
وأريتكم أنَّ الحسين أصيبَ في يوم السقيفة ولأيّ شيء أُلحدت باللّيل فاطمة الشريفة
ولما حمت شيخيكم عن وطي حجرتها المنيفة آوه لبنت محمَّد ماتت بغصتها أسيفة[1]

روى البلاذري في **«أنسابه»**: أنه لمّا قتل الحسين (ع) كتب ـ **عبد الله بن عمر** ـ إلى ـ **يزيد بن معاوية** ـ : أمَّا بعد، فقد عظمت الرَّزية وجلت المصيبة وحدث في الإسلام حدثٌ عظيم، ولا يوم كيوم الحسين.

فكتب إليه يزيد: أمَّا بعد:، يا أحمق! فإنَّا جئنا إلى بيوت منجَّدة وفرش ممهَّدة ووسائد منضَّدة فقاتلنا عنها.

فإنْ يكن الحقُّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإنْ يكن الحقُّ لغيرنا ـ **فأبوك** ـ أوَّل مَنْ سنَّ هذا، وابتز واستأثر بالحقِّ على أهله.

أقول هذا: لا للإستدلال على كفر هذا الدَّعي، بل لما أرى **«الوهّابيين»** الملحدين الَّذين يدَّعون الإسلام زوراً أنَّهم يرون أنَّ **«يزيد»** مسلم!! بل راحوا يقدّسونه حتّى لقبوه بـ **«أمير المؤمنين»**.

إنَّ ثورة الحسين (ع) كتبت بالدم والمآسي ، وأنَّ الرّسالة التي لا تكتب بالدم والمأساة لا تترسخ جذورها في ضمير الناس، وقد لا تدوم أبداً... لذلك قال الرَّسول الأعظم (ص): **«حسين منّي وأنا مِنْ حسين»**[2]، وقال (ص): **«الحسين**

(١) ـ كشف الغمة: ١٥١ ـ (ط/ ١٢٩٤هـ) ، بحار الأنوار ١٠/ ٥٤ ـ (ط/ الكمباني).

(٢) ـ صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٧، سنن ابن ماجة ١/ ٥١، وفيه: اسناده حسن ورجاله ثقات، مستدرك الحاكم=

مصباح الهدى وسفينة النجاة».

فملحمة كربلاء... بقيت تنير درب الثائرين لأنَّها كانت تجسيداً لرسالة السماء، ورسالة السماء عبَّرت عن سنَّة إلهية، وعكست قانوناً كونياً تجريها ارادة اللّه، رغم أنف الطغاة والمتجبرين.

ذلك القانون.. هو قانون تكامل الإنسان وتطوره الصاعد بفعل رسالات السماء، وثورات المخلصين من أتباعها.

إننا يجب أنْ نستغل هذه المناسبة العظيمة ـ **عاشوراء ـ في فهم هذه الفكرة** الإسلامية التي تعطينا رؤية سليمة وإيجابية عن أوضاعنا الشاذة، ذلك لأنَّ مثل هذه المناسبات هي أفضل فرصة للحديث عن قضايانا المصيرية.

إننا عندما نستغل هذه الإجتماعات لمجرد استدرار الدموع الحارة، واجترار الحزن اليائس، إنَّما نحنُ بذلك نكون بعيدين جسداً عن روح ـ **الثورة الحسينية** ـ وعن رسالتها وأهدافها، بل نحن تجار هذه الثورة، الَّذين يحاولون استغلالها لمعاشهم.

وقيمة الثائرين ليست حينما ينتصرون، وتضعف لهم الأيدي، بل حينما يختارون طريقهم وجبهتهم في حين تكون الظروف كلّها معاكسة لهم.

وعظمة الإمام الحسين (ع) هي أنَّه اختار طريقه حينما استسلم المسلمون إلى ظلم ـ **يزيد** ـ ، بالرغم مِن أنَّ ـ شريح القاضي ـ وهو القاضي المعروف الذي عيَّنه الإمام عليّ (ع) يصدر فتواه ضدَّ الإمام (ع)، وبالرغم مِن أنَّ ـ **شبث بن ربعي** ـ فقيه أهل الكوفة وعمره سبعون عاماً، يأتي على رأس أربعة آلاف مقاتل ضد

= ١٧٧/٣، مسند أحمد ٤/ ١٧٢، أُسد الغابة ٢/ ١٩و ٥/ ١٣٠، كنز العمال ٦/ ٢٢١، وفيه: أخرجه ابن عساكر، عن أبي رِمثة، و٧/ ١٠٧، بسنده عن جابر قال: أخرجه الطبراني، الفصول المهمة: ١٧١، مطالب السؤول ٢/ ٢٣، وفيه: أخرجه الترمذي، فرائد السمطين٢/ ٦٠(**مخطوط**)، وسيلة المآل: ٣٥٥ (**مخطوط**).

الإمام (ع)، وهو الذي كتب للإمام الحسين (ع): ألا قد أينعت الثمار، واخضرت الجنان فأقدم، فانّما أنت تقدم على جند لك مجنّدة(١).

وتأتي عظمة الإمام الحسين (ع) في اختياره للثورة في مثل هذه الظروف المعاكسة له تماماً.

إنّ مصرع الحسين (ع) عظة المعتبرين، وقدوة المبتلين ألم تر كيف اضطره نكد الدّنيا إلى ايثار الموت على الحياة، وهو أعظم رجل في وقته لا نظير له في شرق الأرض وغربها، ومع التفاوت الذي بلغ أقصى ما يتصور بين فئته القليلة، وجيش - ابن زياد - الكبير في العدّة والعدد والمدد، فقد كان ثباته ورباطة جأشه وشجاعته تحير الألباب، لا عهد بمثلها، كما كانت دناءة أخصامه لا شبيه لها، وما سمع منذ خلق العالم، ولن يسمع حتى يفنى أفظع مِنْ ضرب - حفيد هند - بقضيبه ثغر - ابن بنت رسول اللّه (ص) - ورأسه بين يديه، بعد أنْ كان سيّد الخلق يلثمه.

روى الشبراوي الشافعي: لّما أخذ عمرو بن سعد رأس الحسين (ع) ورؤوس أصحابه (رض) وذهب بها إلى - يزيد - فوضع الرأس بين يديه، وجعل ينكث ثناياه بقضيب، ويدخله أنفه، ويتعجب مِنْ ثغره.

قال زيد بن أرقم (رض) ليزيد: ارفع قضيبك، فواللّه، لطالما رأيت رسول اللّه (ص) يقبّل ما بين هاتين الشفتين، وبكى زيد فأغلظ عليه يزيد، وهدّده بالقتل، وقال له: لو لا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك؟

فنهض زيد بن أرقم من مجلس يزيد، وهو يقول: أيُّها النّاس! أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة (ع) ووليتم ابن مرجانة.

واللّه، ليقتلن أخياركم وليستعبدن سراتكم، فبعداً لمن رضى بالذلّ والعار.

ثم التفت راجعاً إلى - يزيد -، وقال: لأُحدّثكَ بما هو أغيظ عليكَ مِنْ هذا،

---

(١) - البداية والنهاية ٨/ ١٥٠.

رأيتُ رسول اللّه (ص) أقعد حسناً (ع) على فخذه اليمنى، وحسيناً (ع) على فخذه اليسرى، ثمّ وضع يده على يافوخهما، ثمّ قال: **«اللّهمّ ! إنّي أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين»**.

فكيف كانت وديعة النبيّ (ص) عندك يايزيد ! فغضب وهمّ بقتله(١).

ولو أردت التوسع في بيان آراء **«الوّهابية»** ومناقشتها والرّد عليها، لخرجت عن الإختصار الذي بنيت عليه كتابي، وأنا أرغب في هذا التنبيه في بيان نصب **«الوّهابيين»** الخفي، وهؤلاء هم المنافقون وهم أشدُّ الأخطار على الأُمّة!! وكشفهم عسير - **على غير الأذكياء** - ودسائسهم الفكرية المعسولة في ظاهرها، المسمومة في باطنها وواقعها خفيّة جداً.

فإنّهم يصلّون على الرّسول (ص) !! لكنهم يبررون أعمال أعداء الرّسول (ص) ويعتذرون عنهم بما لفقوا مِنْ أعذار!! وما موّهوا مِنْ آراء مطليّة بزخرف القول!! إلاّ أنّ الذكي يستطيع تمييز هذا النوع مِنَ **«النواصب»** المرتدين حينما يقرأ كتبهم، أو يستمع لكلامهم في محاضراتهم وخطبهم، فإنّه يجد حملاتهم المسعورة الظالمة التي شنّوها ولا يزالون يشنّوها على مَنْ لم يخضع لأيمتهم بالطاعة!!

لكن المنصف لا يجد جزءاً يسيراً جداً مِنْ تلك الحملات في الماضي، وفي عصرنا هذا صدر في حقّ النواصب - **أعداء محمّد وآله** - (عليهم السلام)، ممّن لعنهم لعناً صريحاً.. على المنابر وفي كلّ مناسبة عامة أو خاصّة من قبل هؤلاء النواصب المتخفين .. بل قل: المنافقين المرتدين !! فذلك ممّا يدلّ على صحة قولنا.

إنّ النواصب نوعان: **متجاهر** - وهم **«الأمويون»** أجمع وحزبهم، **ومتستر** - وهم دعاة الإسلام الجدد مِنَ **«الوّهابيين»** - الأمويين في الرأي، وأنّ خطرهم على

(١) - الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٤.

الأسلام لعظيم وسيفهم لقاطع، خصوصاً في عصرنا هذا!! **﴿والعاقبة للمتقين﴾** - وعدٌ قطعه ربُّ العالمين في كلامه المبين.

لقد شاع في كتب السير والتاريخ: أنَّ المشركين مِنْ أسلاف أدعياء الإسلام - **الوّهابيين** - المعاصرين كانوا يدعون محمَّداً (ص): ابن أبي كبشة!! حيث كان ينام مع أُمِّ المؤمنين خديجة الكبرى (ع) على جلد كبش!! لما آلت إليه حالتهما المعاشية مِنَ العُسْر!! مع عِلْمِ هؤلاء المنادين بالإسلام أنَّ خديجة (ع) كانت مِنْ أثرى سكان مكة عموماً!! فكيف أصبح محمَّد بن أبي كبشة إذن؟!!

أين جزاء هذه المجاهدة المضحيَّة الناصرة مِنَ **«الوّهابيين»**؟!!

أتحبونَ محمَّداً (ص) ثمَّ تخفون فضله وآله وعترته؟!!

أتحبونَ محمَّداً (ص) ثمَّ تفرحون لحزنه وتحزنون لفرحه؟!!

أتحبون محمَّداً (ص) وأنتم متمسكون حقّاً بسنَّته (ص) جيداً، ثمَّ تسفكون دمَ مَنْ قال: لا إله إلاّ اللّه، محمَّد رسول اللّه، وصلّى إلى الكعبة، وأكل الذبيحة المذكور عليها اسم اللّه تعالى، لا لذنب سوى حزنه لما يحزن الرَّسول (ص)، وفرحه لما يفرح به الرَّسول (ص)؟!!

اتركوا الإسلام أو هلموا إلى تحكيم اللّه تعالى بيننا لكي يتبع المخطيء المصيب.. والمنحرف المستقيم!! أو هلموا إلى الحقِّ الممنوح لكلِّ بشر في عصرنا كما اتَّفق عليه البشر أجمع، وأقرَّه القرآن الكريم، بقوله تعالى: **﴿قل ياأيُّها الكافرون لا أعبد ما تعبدون..... لكم دينكم ولي دين﴾**؟

* * *

الفصل السابع
﴿النبيّ (ص) يخبر بقتل الحسين (ع)﴾

أ- حديث: «يقتل بأرض كربلاء»: أخرج البغوي؛ وابن السكن؛ وابن مندة؛ وابن عساكر، عن أنس بن الحارث بن منبه[1]، عن النبيّ (ص) قال: **«إنّ ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض من أرض العراق، يقال لها: كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره»**[2].

وذكر السمهودي الشافعي، عن عليّ (ع) قال: **«زارنا رسول الله (ص) فعلمنا له خربزة[3] وأهدت لنا أم أيمن (رض) قعباً من لبن وصحفة من تمر، فأكل رسول الله (ص) وأكلنا معه، ثم وضأت رسول الله فمسح رأسه وجبهته بيده، ثم استقبل**

---

(١) - أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي، كان شيخاً كبيراً صحابياً، رأى النبي (ص) وسمع حديثه، وشهد معه **«بدراً»** و **«حنيناً»**، فاستأذن الحسين (ع)، وبرز شاداً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه بالعصابة، ولما نظر إليه الحسين (ع) بهذه الهيئة بكى، وقال: **«شكر الله لك ياشيخ!»**، فَقَتَلَ على كبره ثمانية عشر رجلاً وقُتِل.

ذخيرة الدارين: ٢٠٨، وذكر ابن نما في «مثير الأحزان» مبارزته ورجزه، وذكره السيوطي في **«الخصائص»** ٢/ ١٢٥، وأبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» ١/ ٢٨٧.

(٢) - أسد الغابة ١/ ١٢٣و ٣٤٩، الاصابة ١/ ٦٨ - **في ترجمة أنس بن الحارث**، كنز العمال ٦/ ٢٢٣، وقال: أخرجه البغوي؛ وابن السكن؛ والباوردي؛ وابن مندة؛ وابن عساكر، عن أنس بن الحارث، ذخائر العقبى: ١٤٦، وفيه: أخرجه الملاّ في **«سيرته»**، ينابيع المودة ٢/ ٣١٨، وقال: قال البخاري في **«تاريخه»**؛ وابن السكين؛ والبغوي؛ وغيرهما، عن أشعث بن سحيم، عن أبيه ، عن أنس بن الحارث، وسيلة المآل: ٣٥٦، وفيه: أخرجه الملاّ في **«سيرته»**.

(٣) - الخربزة: لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُر عليه الدقيق.

القبلة فدعا بما شاء، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة، يفعل ذلك ثلاث مرّات، ... فتهيبنا رسول اللّه (ص) أنْ نسأله.

فوثب الحسين (ع) على ظهر رسول اللّه (ص) وبكى، فقال له (ص): بأبي وأمّي ما يبكيك؟ قال (ع): ياأبتِ ! رأيتك تصنع شيئاً ما رأيتك تصنع مثله.

فقال رسول اللّه (ص): يابُنّي ! سررت بكم اليوم سروراً لم اسر بكم مثله قط، وأنَّ حبيبي جبرائيل (ع) أتاني وأخبرني: أنّكم قتلى وأنَّ مصارعكم شتى، فأحزنني ذلك ودعوت اللّه تعالى لكم بالخيرة»[1].

ونقل المتّقي الهندي، عن الطبراني في **«الكبير»**، عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب، عن أُمّ سلمة (رض) أنّها قالت: كان النبيُّ (ص) جالساً ذات يوم في بيتي، فقال: **«لايدخلنَّ عليَّ أحد»** فانتظرت فدخل الحسين (ع)، فسمعت نشيج النبيِّ (ص) يبكي، فاطلعت فإذا الحسين (ع) في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: واللّه، ماعلمت به حتى دخل.

قال النبيُّ (ص): **«إنَّ جبرئيل كان معنا في البيت، فقال: أتحبه؟ فقلت: أما من حبِّ الدّنيا نعم، فقال: إنَّ أُمتك ستقتل هذا بأرض، يقال لها: كربلاء»**، فتناول من ترابها فأراه النبيِّ (ص).

فلما أُحيط بالحسين (ع) حين قتل، قال: «ما اسم هذه الأَرض»؟ قالوا: كربلاء، قال (ع): **«صدق رسول اللّه (ص) أرض كرب وبلاء»**[2].

قال الماوردي الشافعي: ومن انذاره (ص) ما رواه عروة، عن عائشة، قال: دخل الحسين بن عليّ (ع) على رسول اللّه (ص) وهو يوحى إليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبرئيل: يامحمَّد ! إنَّ أُمتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومدَّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه

---

(١) ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٢/ ٤٦٨ (ط/ بيروت).

(٢) ـ منتخب كنز العمال ٥/ ١١٢.

الأرض يقتل ابنك، اسمها: **الطف.**

فلما ذهب جبرئيل (ع) خرج رسول اللّه (ص) إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم: **أبو بكر؛ وعمر؛ وعليّ (ع)؛ وحذيفة؛ وعمّار، وأبو ذر** (رض)، وهو يبكي، فقالوا: يارسول اللّه ! ما يبكيك؟

فقال (ص): **«أخبرني جبرئيل: أنَّ ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني: أنَّ منها مضجعه»**[1].

وأخرج ابن سعد، عن الشعبي قال: مرَّ عليٌّ (ع) - **بكربلاء** - عند مسيره إلى - **صفين** - وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض؟ فقيل: **كربلاء**، فبكى حتى بل الأرض من دموعه.

ثم قال: **«دخلت على رسول اللّه (ص) وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟! قال (ص): كان عندي جبرئيل (ع) آنفاً وأخبرني: أنَّ ولدي الحسين (ع) يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له: كربلاء، ثم قبض جبرئيل (ع) قبضة من تراب شمّني إيّاه فلم أملك عيني انْ فاضتا»** ورواه أحمد مختصراً[2].

وأخرج أحمد بن حنبل، بسنده عن عبد اللّه بن بخي، عن أبيه، أنَّه سار مع عليٍّ (ع) - **وكان صاحب مطهرته** - فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى - **صفّين** - فنادى (ع):

«اصبر أبا عبد اللّه ! اصبر أبا عبد اللّه ! بشط الفرات».

قلت: وماذا؟

قال (ع): **«دخلت على النبيِّ (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يانبيَّ اللّه ! أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟؟ قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل، فحدَّثني: إنَّ الحسين يُقتل بشط الفرات.**

---

(١) - اعلام النبوة: ٨٣ (ط/ مصر).
(٢) - الصواعق المحرقة: ١١٥ (ط/ مصر).

قال: فقال: هل لك أنْ أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدَّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أنْ فاضتا[1].

إنَّ ما نقلناه قليل من كثير، إلاّ أننا وجدنا فيه الكفاية لطالب الهداية، وقد ثبت بها أنَّ الشيعة لم يبتدعوا البكاء والعزاء على الشهداء، وإنَّما استنوا سنَّة رسول اللّه (ص)، ولنا أنْ نقول: إنَّ الّذين حرموا البكاء هم أهل الضلالة، لأنَّهم ابتدعوا في الدّين وتحكموا في شريعة سيّد المرسلين (ص) بأهوائهم، فحكموا بما لم ينزل اللّه تعالى وحرموا حلاله بغير دليل أتاه إليهم، ومنهم: ـ **السلفية** ـ الّذين يستنكرون إقامة المآتم في مستهل كلّ عام..

وإنَّ الإنكار على زيارة الإمام الحسين (ع)، وعلى إقامة مآتمه شنشنة نعرفها من أخزم، وقد قال ـ **الخليفة الراضي** ـ في سنة (٣٢٣ هـ) في توقيعه إلى ـ **الحنابلة** ـ لّما شغبوا في بغداد بعد أنْ عاب عليهم قولهم بالتشبيه: وإنَّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين، وهيئتكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكف والأصابع والرجلين، والنعلين المذهبين، والشعر القطط.. وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجمعون على زيارة قبر رجل من العوام، ليس بذي شرف ولا نسب، ولا سبب برسول اللّه (ص) وتأمرون بزيارته وتدعو له معجزات الأنبياء (ع) وكرامات الأولياء[2].

والإنكار على زيارة الحسين (ع) وإقامة مآتمه قد كان منذ تشكل جماعة من أهل الحديث، بظهور ـ **أحمد بن حنبل** ـ في عصر الخليفة الناصبي ـ **المتوكل** ـ الملقب عند أهل السنَّة بـ «**محيي السنَّة**» الذي كان يتشبه المضحك في مجلسه بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه)، وأهل المجلس يقولون: قد أقبل الأصلع البطين أمير المؤمنين، والذي خرب قبر الحسين (ع) ومنع الناس من

---

(١) ـ مسند أحمد بن حنبل ١/ ٨٥ (ط/ بيروت).

(٢) ـ كامل ابن الأثير ٨/ ٣٠٧.

زيارته، وإلى غير ذلك ممّا يدلّ على مجونه ونصبه.

هذا ! ويعد من مفاخره أنّه أمر أهل الحديث برواية أحاديث الصفات - **أي اليد والعين والرجل** - ولأجل هذا **قال المؤرّخ الحنبلي** فيه: وارتفعت السنّة جداً في أيّام المتوكل على اللّه - **عفى اللّه عنه** - ، وكان لا يولّي أحداً إلاّ بعد مشورة الإمام أحمد[1].

وقد قال الخوارزميّ: إنّ دولة المتوكل إنّما كانت دولة النواصب والحشوية[2].

وتقول السلفية: بما تنطوي عليه هذه المآتم من مهازل وتمثيليات.

أمّا كونها مهازل فلعلّها كذلك عند مَنْ تأصلت فيه النزعة الأُموية، ويفرح بمصائب الحسين (ع) وآل محمّد (ص).

ولكن قد كان عند سلفهم الصالح والشاميين بالخصوص مهازل أيضاً أغرب وأعجب بمناسبة قتل الحسين (ع) بالذات، حيث جعل - **بنو أُميّة** - يوم - **عاشوراء** - عيداً لهم يتبركون به بمناسبة قتل الحسين (ع)، ويروون لهم فيها الروايات المعنعنة والتي لا داعي لذكرها، ولذا **قال السيّد الرضي** (رحمه اللّه):

كانت مآتم بالعراق تعدها   أُموية بالشام من أعيادها

وليراجع أيضاً ما ذكره **المقريزي؛ والبيروني** وغيرهما [3].

وأمّا التمثيليات فلعلّ الشيعة قد تعلّموها: **أولاً** - من المتوكل - **محي السنّة** - حيث بنى مدينة - **سامراء** - كعبة، وجعل طوافاً، واتخذ - **منى؛ وعرفات** - ليغرّ بذلك أُمراء كانوا معه لمّا طلبوا الحجّ خشية أنْ يفارقوه[4].

---

(١) - البداية والنهاية ١٠/ ٣١٦.

(٢) - رسائل أبي بكر الخوارزمي: ١٧٨ - الطبعة الأُولى، **والحشوية**: من ألقاب أهل الحديث.

(٣) - خطط المقريزي ١/ ٤٩٠، والكنى والألقاب ١/ ٤٣١.

(٤) - أحسن التقاسيم: ١٢٢.

والمتوكل قد تعلّم ذلك مِنْ سلفه الصالح!! **عبد الملك بن مروان، كما قال ابن كثير الحنبلي**: فبنى القبلة على الصخرة، والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج، وينحرون يوم العيد، ويحلقون رؤوسهم، ففتح بذلك على نفسه بأنْ شنع ـ **ابن الزبير**ـ عليه[١].

وثانياً: ممّا فعلته ـ **الحنابلة** ـ كما ذكر ـ **ابن كثير**ـ في حوادث سنة **(٣٦٣هـ)** في ذكر الفتنة بين ـ **الحنابلة والشيعة** ـ ببغداد: إنَّ جماعة مِنْ أهل السنَّة أركبوا امرأة وسمّوها **عائشة**، وتسمّى بعضهم **بطلحة** وبعضهم **بالزبير**، وقالوا: نقاتل أصحاب عليٍّ (ع)، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير[٢]...

ولكن هذا ـ **المؤرخ الحنبلي** ـ لم يذكر لنا: هل مثلوا أيضاً ـ **نبح كلاب الحوأب** ـ لهذه الإمرأة، ثمَّ شهادة أربعين رجلاً لها: أنَّ ليس هنا.. ماء الحوأب.. أم لا..؟ فإنَّ عقول هؤلاء قاصرة عن إدراك قبح ذلك التمثيل، الذي ما ذكرته صاحبته الأُولى إلاّ وبكت حتّى تبل خمارها، وتقول: ياليتني كنت نسياً منسياً[٣]..

ومن المحتمل جداً زيادة كلمة **«أصحاب»** من النساخ، وأنَّ القائمين بالتمثيل قالوا: نقاتل علياً (ع)، لأنَّ المفروض أنَّه تمثيل لوقعة **«الجمل»** الأصلية.

نعم، لمّا رأى ـ **الحنابلة** ـ أنَّ ـ **الشيعة** ـ يحتفلون ـ **بيوم الغدير**ـ ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويزورون الحسين (ع) في مواسم معينة.. لمّا رأى ـ **الحنابلة** ـ ذلك تعلّموا من ـ **الشيعة**ـ، وسنّوا الإحتفال ـ **بيوم الغار** ـ في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجّة بلا مناسبة، وصاروا يخرجون لزيارة قبر ـ **مصعب بن الزبير**ـ في الثامن عشر من المحرم[٤].

---

(١) ـ البداية والنهاية ٨/ ٢٨٠.

(٢) ـ نفس المصدر ١١/ ٢٧٥.

(٣) ـ تاريخ بغداد ٩/ ١٨٥.

(٤) ـ المنتظم ٧/ ٢٠٦.

ولم يكن فعل ذلك «**بدعة**» منهم طبعاً، لأنَّ البدعة هي ما يفعله «**الشيعة**» فقط، كما عرفت من كلام الخليفة العباسي: إنَّ ـ **الحنابلة** ـ ينكرون زيارة الأئمة، وهم يزورون ـ **قبر ابن حنبل**.

وعلى هذا الرأي كثيراً ما ترى في ـ **تواريخ السنّة** ـ في تاريخ مستهل كلّ عام: وفي هذا اليوم ـ **أي عاشوراء** ـ اقتتلت ـ **الروافض والسنّة** ـ، كلُّ ذلك بحجة رفع البدعة[1].

ولو أراد أحد أنْ يجمع حكايات ونوادر أهل الحديث الدَّالة على نصبهم وعدائهم لعليٍّ (ع) لاستطاع أنْ يجمع كتاباً كبيراً مِنَ المصادر «**السنيَّة**» القديمة، فيه الكثير ممّا هو غريب وطريف، مثل ما فعلوه مع ـ **الأعمش** ـ حينما روى حديث ـ **الطير المشوي** ـ، وما فعلوه مع الإمام ـ **محمَّد بن جرير الطبري** ـ صاحب ـ **التفسير والتاريخ** ـ، حيث منعوا مِنْ دفنه نهاراً لما صَححً ـ **حديث غدير خُمّ** ـ، وجمع رواياته بطرقه المتعددة، ومثل ردّهم روايات الشيعة ما أمكنهم، مع أخذهم عن ـ **الخوارج والنَّواصب** ـ وغير ذلك[2].

وقال ابن كثير: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث ـ **غدير خُمّ** ـ في مجلّدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه ـ **حديث الطير** ـ[3].

وقال ابن حجر[4]:بعدما قال: إنَّه الإمام الجليل المفسِّر، ثقة صادق، فيه تشيّع يسير، وموالاة لا تضر!!.. أقذع ـ **أحمد بن عليّ السليماني** ـ الحافظ، فقال: كان يضع للروافض، كذا قال السليماني، وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ـ **ابن جرير** ـ مِنْ كبار أئمَّة الإسلام والمسلمين.. وإنَّما نبز ـ **بالتشيع** ـ **لأنَّه صَححً** ـ **حديث غديرخُمّ** ـ.

---

(١) ـ راجع «**المنتظم**» لابن الجوزي.
(٢) ـ البداية والنهاية ١١/ ١٤٦.
(٣) ـ نفس المصدر ١١/ ١٤٧.
(٤) ـ لسان الميزان ٥/ ١٠٠.

وذكرت السلفية: إنَّ إقامة المآتم هي لبعث الأحقاد الدفينة، وهذا أمر غريب حقاً، فلماذا تثور أحقادهم من ذكر: **كفر أبي سفيان؛ ومعاوية ابن آكلة الأكباد الباغي؛ ويزيد القرود؛ وزياد الدَّعي؛ وابن مرجانة** وأمثالهم؟! ولماذا يسمّون هؤلاء الأرجاس الأنجاس بالسلف الصالح؟! حيث قالوا: والاصرار على التعرض لسلفنا الصالح بالطعن والتجريح... وذلك في مستهل كلّ عام هجري[١].

والشيعة لا يطعنون ولا يجرحون في مستهل كلّ عام هجري **إلاّ في ـ يزيد ـ** وآبائه وأتباعه.

أوليس **«أبو سفيان»** شيخ الشجرة الملعونة في القرآن، والذي لعنه النبيُّ (ص) هو الذي قاد الأحزاب؟

وكأنَّه غير مَنْ مشى مع جمع من رجال قريش إلى ـ **أبي طالب (ع)** ـ، قائلين له: إنَّ ابن أخيكَ قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آبائنا، فإمّا أنْ تكفّه عنّا، وإمّا أنْ تخلّي بيننا وبينه...الخ[٢].

وكأنَّه غير مَنْ أنفق على المشركين يوم ـ **أحد** ـ أربعين أُوقية، وكلُّ أُوقية اثنان وأربعون مثقالاً.

وكأنَّه غير مَنِ استأجر ألفين من الأحابيش من ـ **بني كنانة** ـ ليقاتل بهم رسول اللّه (ص) سوى مَنِ استجاش مِنَ العرب[٣].

وكأنَّه غير مَنْ عدا على دور المهاجرين من بني ـ **جحش بن رئاب** ـ بعدما هاجروا، وباعها من ـ **عمر بن علقمة** ـ، وقيل فيه:

---

(١) ـ مجلة الدعوة السعودية.

(٢) ـ سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٧، ٢/ ٢٦.

(٣) ـ تفسير الطبري ٩/ ١٥٩ ـ ١٦٠، كشاف الزمخشري ٢/ ١٣، تفسير الرازي ٤/ ٣٩٧، تفسير الخازن ٢/ ١٩٢، تفسير الآلوسي ٩/ ٢٠٤.

أبلغ أبا سفيان عن ... أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمِّكَ بعتّها ... تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله ر ... بُّ الناس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها ... طوّقتها طوق الحمامه[1]

وكأنَّه غير صاحب ـ البائيّة ـ يوم ـ أُحد ـ يقول فيها:

أُقاتلهم وأدعّي بآل غالب ... وأدفعهُمْ عنّي بركنٍ صليبِ
فبكّي ولا ترعى مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمي مِنْ عبرةٍ ونحيبِ
أباك وإخواناً له قد تتابعوا ... وحقٌ لهم مِنْ عبرةٍ بنصيبِ
وسلّي الذي قد كان في الفض إنَّني ... قتلتُ مِنَ النجار كلَّ نجيبِ
وَمِنْ هاشمٍ قرماً كريماً ومُصعبا[2] ... وكان لدى الهيجاء غير هبوبِ
ولو أنَّني لم أشف نفسيَ منهمُ ... لكانت شجاً في القلب ذات ندوبِ
فآبوا وقد أودي الجلابيب[3] منهم ... بهم خَدبٌ مِنْ مُعبطٍ وكئيبِ
أصابهمُ مَنْ لم يكن لدمائهم ... كفاءً ولا في خُطّةٍ بضريبِ

ولقد شكر ـ السلفية ـ الجدد، كفر ـ أبي سفيان ـ بأنحاء مختلفة، فتارة نراهم قد أشادوا بذكره، حيث أطلقوا على أحد شوارع ـ **مكة المكرمة** ـ ، اسم ـ **شارع أبي سفيان** ـ ، وأُخرى تراهم قد شكروا له نفاقه، فأطلقوا اسمه على أحد ـ **أسواق مكة** ـ كما أننا نراهم في نفس الوقت يحذرون من التفوّه بكلمة ـ **شعب أبي طالب** ـ، وهذا الشعب معروف بهذا الإسم في تاريخ الإسلام، ويتكرر ذكره في السيرة النبوية، ويذكرنا بما لقيه رسول اللّه (ص) وبنو هاشم في شعب أبي طالب من حزب الشيطان ـ **أبي جهل؛ وأبي سفيان** ـ وأتباعهما من الخوف والجوع

---

(١) ـ سيرة ابن هشام ٢/١١٧.

(٢) ـ عنى به سيّدنا ـ حمزة بن عبد المطلب (رض) ـ.

(٣) ـ الجلابيب: جمع جلباب، الإزار الخشن، كان الكفّار من أهل مكة يسمون مَن أسلم مع النبيّ (ص): الجلابيب.

والضيق، كما يذكرنا بتضحية ـ **سيّدنا أبي طالب (ع) مؤمن قريش** ـ بنفسه وولده وعزّه وجاهه وعشيرته في سبيل إعلاء كلمة الحقّ، ونبوة ابن أخيه **محمّد** (ص)، ولكنهم معْ ذلك يحاولون طمس ومحو اسمه، لأنَّه والد عليّ أمير المؤمنين، وأب العترة الهادية (ع)!!

ثم أليس معاوية رأس الفئة الباغية، وهو الذي لم يصح من فضائله عند أهل الحديث إلاّ قول رسول اللّه (ص) فيه: **«لا أشبع اللّه بطنه»**[1] رغم الأحاديث الكثيرة التي لفقها له النواصب وهو الذي كاد الغم يقتله، ولا يشفي غيظه إلاّ أنْ يدفن ذكر رسول اللّه (ص) دفناً، وذلك لأنَّه يرى أنَّ ـ **أخا هاشم** ـ يعني به رسول اللّه (ص)، جعل اسمه عقيب اسم اللّه تعالى، وينادى باسمه على المآذن على رغم أنفه في كلّ يوم خمس مرات: أشهد أنَّ محمَّداً رسول اللّه[2].

ومعاوية هذا هو الذي جدد في المسلمين عقيدة اليهود والمشركين ـ **بالجبر** ـ لبلوغ شهوة من شهواته وهي أنْ يجعل الخليفة بعده ولده ـ **يزيد** ـ [3]، فانظر إلى ـ **عقيدة الجبر** ـ هذه، ماذا فعلت بالمسلمين إلى اليوم فقد نقضت هممهم وفتكت بعزائمهم، فبقوا تحت نير المذلة **«أذلة خاسئين، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان»**[4].

ولقد كان عليٌّ (ع) يعرف ـ **معاوية؛ وبني أُميّة** ـ حقّ المعرفة حيث قال (ع): **«ألا إنَّ أخوف ما أخاف عليكم فتنة بني أُمية فإنَّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها وخصت بليتها»**.

---

(١) ـ وفيات الأعيان ١/ ٥٩، طولب **النسائي** أنْ يكتب في **فضل معاوية**، فقال: لا أعرف فيه إلاّ قول النبي (ص): **«لا أشبع اللّه بطنه»**، وسئل عن معاوية، فقال: أما يرضى أنْ يخرج معاوية رأساً برأس، فأُخرج إلى مكة فمات بها.

(٢) ـ مروج الذهب ٣/ ٣٦٢ (في شرح حال المأمون).

(٣) ـ الإمامة والسياسة: ١٨٣ و ١٨٧ ، قال معاوية في جواب عائشة: .. وإنَّ أمر ـ **يزيد** ـ قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة في أمرهم...) وبنفس هذا الجواب أجاب معاوية عبد اللّه بن عمر أيضاً.

(٤) ـ من كلام لفاطمة الزهراء (ع) في خطبتها في أمر **«فدك»** تصف حال العرب قبل الإسلام

وأما يزيد الخمور، ويزيد القرود، **فهو القاتل لريحانة رسول الله (ص) سيِّد** شباب أهل الجنّة، ومعه آل رسول اللّه (ص)، وهو الذي أباح المدينة المنورة ثلاثة أيّام لما خرج عليه ـ **أهل المدينة** ـ بدافع ديني، وقال فيه رئيسهم ـ **عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة)** ـ ، وقد أحسن إليه ـ **يزيد** ـ في مَن أحسن، قال: ...فواللّه، ما خرجنا على ـ **يزيد** ـ، حتى خفنا أنْ نرمى بالحجارة من السّماء، إنَّ رجلاً ينكح الأُمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصّلاة، واللّه، لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت للّه فيه بلاءً حسناً[1].

ويزيد هذا أيضاً .. هو الذي ضرب الكعبة المعظمة بالمنجنيق، إلى غير ذلك من بوائق الشجرة الملعونة، من قبيل تحويل القبلة، وتفضيل الخليفة على رسول اللّه (ص)، والختم على أعناق الصحابة، وتغيير أوقات الصّلاة، على ما ذكره ـ **الجاحظ** ـ وغيره[2]. فبئس قوم اتخذهم ـ **السلفية** ـ أولياء لهم، يسمّوهم ـ **بالسلف الصالح** ـ يحابون الناس فيهم، ويعادون فيهم، وقد قال اللّه تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الاخر يوادون مَنْ حاد اللّه ورسوله**﴾ المجادلة / ٢٢.

وبعد .. أوليس التنويه بذكر أعداء محمَّد (ص) وآله (ع)، والدفاع عنهم، وتسمية الشوارع باسمهم، وكتاب «**حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية**» عداءاً للّه ولرسوله ولدينه.. أولا يعتبر ذلك انتكاساً للقلب والفطرة الإنسانية، وضرباً للمقاييس العقلية والفطرية عرض الحائط.

وقد ذكر ابن المرتضى، عن أبي عليّ الجبائي أنَّه كان إذا روى عن النبي (ص) أنَّه قال لعليّ؛ والحسن؛ والحسين؛ وفاطمة (عليهم السلام): «**أنا حَربٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ، وَسِلمٌ لِمَنْ سالَمَكُم**»، يقول: العجب من هؤلاء «**النوابت**» يروون هذا

---

(١) ـ طبقات ابن سعد ٥/ ٤٢.

(٢) ـ رسائل الجاحظ: ٢٠٥ (ط/ عمر أبو النصر).

الحديث ثم يقولون بمعاوية[١]، ولو كان ـ **الجبائي** ـ يرى ـ **نوابت عصرنا** ـ وتوليهم ـ **ليزيد** ـ لزاد عجبه، ولطاش عقله.

* * *

ب ـ حديث «وإنّي قاتل بابنك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»: وأخرج أبو بكر الشافعي في **«الغيلانيات»**[٢]؛ والحاكم، كلاهما عن ابن عبّاس (رض) قال: قال رسول اللّه (ص): **«أوحى اللّه إليّ انّي قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وانّي قاتل بابنك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»**[٣].

قال الجويني في **«فرائد السمطين»** ٢/ ٢٦٠: **يحتمل أنْ يكون سبعون ألفاً** من قاتليه وأتباعهم، وسبعون ألفاً من خاذليه وأشياعهم.

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) **«قال: قال رسول اللّه (ص): إنّ موسى بن عمران رفع يديه فقال: ياربّ ! إنّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى اللّه عزّوجلّ إليه: ياموسى ! لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين فإنّي أنتقم له منه»**[٤].

رأى الأعمش رجلاً في ـ **الطواف** ـ يقول: **اللّهم ! اغفر لي وأنا أعلم أنّك لا**

---

(١) ـ طبقات المعتزلة: ٨٣، ولعلّ الصحيح ثم يتولون بمعاوية، والنوابت والنابتة من ألقاب أهل الحديث، ذكره ابن قتيبة في **«تأويل مختلف الحديث»**: ٨٠ وهي بمعنى الأراذل، وكما ذكر من القابهم: **الحشوية ،والغثاء ،والقثر.**

(٢) ـ الغيلانيات من أجزاء الحديث: لأبي بكر محمّد بن عبد اللّه بن ابراهيم الشافعي المتوفي (٣٥٤ هـ)، املاء عن شيوخه رواية أبي طالب محمّد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزار المتوفى (٣٥٤ هـ). كشف الظنون ١٢١٤/٢.

(٣) ـ مستدرك الصحيحين ٢/ ٢٩٠ و ٣/ ١٧٨، ثم قال: **هذا حديث صحيح الاسناد**، تاريخ بغداد ١/ ١٤١، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٣، ذخائر العقبى: ١٥٠، ورواه الحافظ ابن عساكر في الحديث (٢٨٦) من ـ **ترجمة الإمام الحسين (ع)** ـ من **«تاريخ دمشق»**: ٢٤١/ ط١، ورواه أيضاً الملاّ في كتاب **«وسيلة المتعبّدين»**، ورواه أيضاً الخوارزمي في الفصل (١٢) من **«مقتل الحسين عليه السلام»** ٢/ ٩٦ (ط/ الغري).

(٤) ـ فرائد السمطين ٢/ ٢٦٣.

تفعل، فسأله: فقال: كنت ممّن حمل رأس الحسين (ع) إلى يزيد، فنزلنا عند دير فوضعنا الطعام لنأكل فإذا كفٌّ يخرج من الحائط يكتب:

أترجو أمّةقتلت حسيناً　　　شفاعة جدّه يوم الحساب(١)

فجزعنا وأراد بعضنا أخذها فغابت، فلمّا دخل على - **يزيد** - جعلني في الحرس ليلاً، فهبط آدم؛ وإبراهيم؛ وموسى؛ وعيسى؛ ومحمّد (ع) في ملاء من الملائكة، فنفخ - **جبرائيل** - على أصحابي واحداً واحداً، فلمّا دنا منّي، قال له النبيٌّ (ص): **«دعه لا غفر اللّه له»** فتركني.

وقرأ رجل عند رأسه (ع) بدمشق: **﴿أم حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكهّفِ وَالرَّقيم كانوا مِنْ آياتنا عَجَباً﴾**الكهف /٩، فأنطق اللّه الرأس الشريف بلسان عربي: «أعجب من أهل الكهف قتلي وحملي»(٢).

وقال - **كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي** - المتوفى سنة (٦٥٢ هـ) في قتلة الإمام السبط (ع):

ألا أيُّها العادون إنَّ إمامكم　　　مقام سؤال والرّسول سؤولُ
وموقف حكم والخصوم محمّد　　　وفاطمة الزّهراء وهي ثكولُ
وإنَّ عليّاً في الخصام مؤيَّدٌ　　　له الحقُّ فيما يدّعي ويقولُ
فماذا تردّون الجواب عليهُم؟　　　وليس إلى ترك الجواب سبيلُ
وقد سُؤتموهم في بنيهم بقتلهم　　　ووزر الذي أحدثتموه ثقيلُ
ولا يرتجى في ذلك اليوم شافعٌ　　　سوى خصمكم والشرح فيه يطولُ

---

(١) - الاتحاف بحبّ الأشراف: ٦٩، مجمع الزوائد ٩/ ١٩٩، خصائص السيوطي ٢/ ١٢٧، تاريخ ابن عساكر ٤/ ٣٤٢، الصواعق المحرقة: ١١٦، الكواكب الدرية ١/٥٧، تاريخ القرماني: ١٠٨، الخطط المقريزية ٢/٢٨٥.

(٢) - قال زيد بن أرقم: كنت في غرفة لي، فمرُّوا عليّ بالرأس، وهو يقرأ: **﴿أم حسبتَ أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾**، فوقف شعري، وقلت: واللّه، ياابن رسول اللّه ! رأسك أعجب وأعجب.

الخصائص الكبرى للسيوطي: ٢/ ١٢٧، شرح النهج الحديدي ١/ ٣٦٢، كامل ابن الأثير ٤/ ٢٤: أمر - **ابن زياد** - **نطيف** برأس الحسين (ع) في - **الكوفة** - ، ومثله في **«البداية»** لابن كثير ٨/١٩١، والخطط المقريزية ٢/ ٢٨٨، شرح **«قصيدة أبي فراس»**: ١٤٨، مناقب ابن شهر آشوب٢/ ١٨٨، أسرار الشهادة: ٤٨٨، مقتل العوالم: ١٥١.

وَمَنْ كان في الحشر الرَّسول خصيمه ... فإنَّ له نار الجحيم مقيلُ
وكان عليكم واجباً في اعتمادكم ... رعايتهم أنْ تحسنوا وتنيلوا
فإنَّهم آل النبي وأهله ... ونهج هداهم بالنجاة كفيلُ
مناقبهم بين الورى مستنيرةٌ ... لها غُررٌ مجلوّةٌ وحجُولُ
مناقب جلّت أنْ تحاط بحصرها ... فمنها فروعٌ قد زكت وأُصولُ
مناقب من خلق النبيِّ وخُلقه ... ظهران فما يغتالهنَّ أفولُ

* * *

جـ ـ حديث: **«قاتل الحسين في تابوت من نار»**: روى الجويني الشافعي في **«فرائد السمطين»** ٢/ ٢٦٤، عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال: **«قال رسول الله (ص): إنَّ قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدُّنيا، وقد شدَّ يداه ورجلاه بسلاسل، منكس في النار حتى يقع في قعر جهنم، وله ريحٌ يتعوَّذ أهل النار إلى ربّهم من شدَّة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، كلّما نضجت جلودهم بدلَّ الله عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم، لا يفترّ عنهم ساعة ويسقى من حميم جهنّم»**[١].

وروي عن **عامر بن سعد البجلي**[٢] قال: لمّا قُتِلَ الحسين بن عليّ (ع) رأيت النبيَّ (ص) في المنام، فقال لي: **«ائت البراء بن عازب فاقرأه السلام، وأخبره: أنَّ قتلة الحسين في النار، وإنْ كان والله أنْ يسحت أهل الأرض بعذاب أليم»**[٣].

---

(١) ـ رواه الخوارزمي في أوّل الفصل (١٢) من **«مقتل الحسين عليه السلام»** ٢/ ٨٣، ورواه أيضاً ابن المغازلي تحت الرقم (٩٥) من **«مناقبه»**: ٦٦، ينابيع المودّة: ٢٦١، رشفة الصادي: ٦٠ ـ نقلاً عن كتاب **«روض الأخبار»**، نورالأبصار: ١٢٧، المقاصد الحسنة للسخاوي: ٣٠٢، اسعاف الراغبين: ١٨٦، ورواه الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ بأسانيد في الحديث (١٧١) من الباب (٣١) من كتاب **«عيون الأخبار»** ٢/ ٤٧.

(٢) ـ ذكره ابن حبان في الثقات، تهذيب التهذيب ٥/ ٦٦.

(٣) ـ نُزل الأبرار: ١٦٣.

فأتيت ـ **البراء** ـ فأخبرته، فقال: صدق اللّه ورسوله، قال رسول اللّه (ص): **«من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتصور في صورتي...»**[١].

وهذا عذاب الآخرة وهو أشدُّ وأبقى، وأمّا عذاب الدُّنيا فقد **قال الزهري:** لم يبق أحد ممّن حضر قتله إلاّ عوقب في الدُّنيا: إمّا بقتل، أو عمى، أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدَّة يسيرة، ولاشك في هذا **فإنّ ـ يزيد ـ** لم يَدُمْ ملكه إلاّ قليلاً؛ وكذا **ابن زياد؛ وعمر بن سعد؛ والشمر بن ذي الجوشن،** وساير الأشقياء[٢].

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) قال: **«قال رسول اللّه (ص): تحشر ابنتي فاطمة (ع) يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: ياعدل ! احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال: قال رسول اللّه (ص): فيحكم لابنتي وربّ الكعبة»**[٣].

* * *

د ـ حديث: «هذا دم الحسين وأصحابه»: وأخرج أحمد؛ والبيهقي في **«دلائل النبوة»**؛ كلاهما عن ابن عبّاس (رض) أنّه قال: رأيت النبيَّ (ص) فيما يرى النائم ذات يوم بنصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي وأُمي ماهذا؟

---

(١) ـ أخرجه ابن الأخضر، صحيح البخاري ٤/ ٢١١ ـ **بسنده عن أبي هريرة** ـ باب مَنْ رأى النبيَّ (ص) في المنام.

(٢) ـ رواه في **«تذكرة الخواص»**: ٢٨٠ ـ **فصل في عقوبة قاتليه والانتصار من ظالميه** ـ، نظم درر السمطين: ٢٢٠، كشف الغمة ٢/ ٦٣، الإرشاد: ٢٥٢، جواهر العقدين: ١٦٦ ق ٢، نُزل الأبرار: ١٦٣.

(٣) ـ فرائد السمطين: ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، مناقب ابن المغازلي الشافعي: ٦٤ ط ١ حديث (٩١)، مقتل الخوارزمي ١/ ٥٢ (ط/ الغري)، وساق الحديث إلى أنْ قال: **«فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: ياعدل ! ياجبار ! احكم...»**، ورواه السيوطي بسند آخر في مناقب أهل البيت (ع) من **«اللئالي المصنوعة»** ١/ ٢٠٩ (ط/ بولاق)، عيون الأخبار ٢/ ٨ و٢٥ ط٣ ـ **بأسانيد عن عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي.**

قال (ص): **«هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل التقطه منذ اليوم» فأُحصي** ذلك الوقت فوجدوه قتل ذلك الوقت[١].

وممّا ظهر يوم قتله (ع) من الآيات أنَّ السماء أمطرت دماً، وأنَّ أوانيهم ملأت دماً، وأنَّ السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذٍ حتى رويت النجوم واشتد الظلام، حتى ظنَّ الناس أنَّ القيامة قد قامت، وأنَّ الكواكب ضرب بعضها بعضاً، ولم يرفع حجر إلاّ رؤي تحته دم عبيط، وانقلب رماد، واظلمت الدُّنيا ثلاثة أيّام، ثم ظهر فيها الحمرة.

عن ابن سيرين: إنَّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين (ع).

ولعلَّ المراد شدَّة الحمرة، فلا ينافي الأحاديث التي علقت دخول وقت العشاء بمغيب الشفق الأحمر.

قال ابن الجوزي: وحكمة ذلك أنَّ غضبنا يؤثر حمرة الوجه، والحقُّ سبحانه تنزَّه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على مَنْ قتل الحسين (ع) بحمرة الأُفق اظهاراً لعظيم الجناية[٢].

وفي رواية: أنَّه مطر كالدم على البيوت والجدر ـ **بخراسان؛ والشام؛ والكوفة** ـ، وإنَّه لمّا جيء برأس الحسين (ع) إلى ـ **دار ابن زياد** ـ سالت حيطانها دماً.

وقال أبو سعيد: مارفع حجر من الدُّنيا إلاّ وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السَّماء دماً بقي أثره في الثياب مدَّة حتى تقطعت.

وذكر أبو نعيم في **«دلائل النبوَّة»**، عن نصرة الأزدية أنَّها قالت: لمّا قُتِلَ

---

(١) ـ مسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٤٢، وفيه: فاحصى ذلك اليوم فوجدوه قبل ذلك بيوم، تاريخ بغداد ١/ ١٤٢، أُسد الغابة ٢/ ٢٢، الاستيعاب ١/ ١٤٤، الاصابة ٢/ ١٧، مستدرك الصحيحين ٤/ ٣٩٧، و١٩ **وفيه رؤيا لأمّ سلمة (رض) عند قتل الحسين (ع)**، تهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٦، ذخائر العقبى: ١٤٨، وقال: **خرَّجه البغوي في الحسان**، الجامع الصحيح ٥/ ٦٥٧ حديث (٣٧٧١)، نُزل الأبرار للبدخشاني: ١٠١، وقال: وهذا الحديث حسن على رأي أكثر العلماء، وقد صححه بعضهم، **وهذا حديث صحيح على شرط مسلم**.

(٢) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٤٢، الصواعق المحرقة: ١١٦ (ط/ مصر).

الحسين بن عليّ (ع) مطرت السماء دماً، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

قال ابن حجر في «صواعقه»: وكذا روي في أحاديث غير هذه.

قال: وممّا ظهر من الآيات أيضاً، أنَّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط[1].

قال: وحكى ابن عيينة، عن جدّته: إنَّ السَّماء احمرت لقتله (ع)، وظنَّ الناس أنَّ القيامة قامت، ولم يرفع حجر في الشام إلاّ رؤي تحته دم عبيط.

قال: وأخرج عثمان بن شيبة: إنَّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيّام، ترى على الحيطان، كأنَّها ملاحف معصفرة من شدَّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

قال: وأخرج الثعلبي: إنَّ السماء بكت وبكاؤها حمرتها، وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك.

قال: وذكر ابن سعد في «الطبقات»: إنَّ هذه الحمرة لَمْ تُرَ في السَّماء قبل قتله (ع).

قال: وما مرَّ من أنَّه لم يرفع حجر في الشام أو الدُّنيا إلاّ رؤي تحته دم عبيط وقع يوم قتل عليّ بن أبي طالب (ع) أيضاً[2].

قال ابن جرير الطبري عند تفسير الآية الكريمة: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ الدخان/ ٢٩.

قال: حدَّثني محمَّد بن اسماعيل الأحمسي، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن الحكم بن ظهير، عن السدّي، قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ (ع) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها[3].

---

(١) ـ عبيط: خالص، طري (المنجد).

(٢) ـ الصواعق المحرقة: ١١٦ (ط/ مصر).

(٣) ـ جامع البيان ١١/ ٧٤ (ط/ مصر).

وقال السيوطي في تفسيرالآية المذكورة: أخرج ابن أبي حاتم، عن عبيد المكتب، عن إبراهيم قال: ما بكت السَّماء منذ كانت الدُّنيا إلاّ على اثنين: أنَّ يحيى بن زكريا لمّا قُتِل احمرت السَّماء وقطرت دماً، وأنَّ الحسين بن عليّ (ع) لمّا قُتِلَ احمرت السَّماء.

قال: وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً، عن زيد بن زياد قال: لمّا قُتِلَ الحسين (ع) احمرت آفاق السَّماء أربعة أشهر[1].

وقال السيوطي أيضاً: ولمّا قُتِلَ الحسين (ع) مكثت الدُّنيا سبعة أيام والشَّمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم - **عاشوراء** - وكسفت الشَّمس ذلك اليوم، واحمرت آفاق السَّماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك ولم تكن تُرى فيها قَبله، وقيل: إنَّه لم يقلب حجر في «**البيت المقدَّس**» يومئذ إلاّ وجد تحته دم عبيط[2].

وقال الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: وفي سورة الدُّخان: **﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾**.

أخرج الثعلبي، عن السدّي أنَّه قال: لمّا قُتِلَ الحسين بن عليّ (ع) بكت عليه السَّماء، وبكاؤها حمرتها.

قال: **وعن سليم القاضي**، قال: مطرتنا السَّماء دماً أيّام قتله (ع).

قال: **وعن إبراهيم النخعي**، قال: خرج عليٌّ (ع) فجلس في المسجد واجتمع أصحابه، فجاء الحسين (ع) فوضع يده على رأسه فقال: **«يابنيَّ ! إنَّ الله ذم أقواماً في «كتابه»، فقال: ﴿فما بكت عليهم السَّماء وما كانوا منظرين﴾ ثُمَّ قال (ع): لَتُقتَلَنَّ من بعدي ثُمَّ تبكيكَ السَّماء والأرض، وما بكت السَّماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا؛ وعلى الحسين ابني»**.

---

(١) ـ الدر المنثور ٦/ ٣١ (ط/ بيروت).

(٢) ـ تاريخ الخلفاء: ١٩٣ ـ **في باب حالات يزيد بن معاوية**.

قال: **وعن كثير بن شهاب الحارثي** قال: بينا نحن جلوس عند عليٍّ (ع) **في ـ الرحبة ـ** إذْ طلع الحسين (ع)، فقال عليٌّ (ع): **«إنَّ اللّه تعالى ذكر قوماً بقوله: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ والذي فَلَقَ الحبَّة وبرء النسمة ليُقتلَنَّ هذا ولتبكين عليه السَّماء والأرض».**

قال: **وعن ابن عبّاس (رض)**: إنَّ يوم قتل الحسين (ع) **قطرت السَّماء دماً**، وأنَّ هذه الحمرة التي ترى في السَّماء ظهرت يوم قتله، ولَمْ تُرَ قَبلَهِ، وأنَّ أيام قتلهِ لَمْ يُرفَع حجر في الدُّنيا إلاّ وجدت تحته دم[1].

وقد أشار أبو العلاء المعري إلى بكاء السماء وحمرة الأُفق في شهادة عليّ أمير المؤمنين وولده الحسين (ع) في قصيدة غرّاء، مطلعها:

عللاني فإنَّ بيض الأماني فنيت والظلامُ ليسَ بفان[2]

وقال الأُستاذ عباس محمود العقاد في مقدَّمة كتابه **«عبقرية الإمام عليّ ـ عليه السلام»**: وأوشك الألم لمصرعهم أنْ يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم.

حتى قال شاعر فيلسوف كأبي العلاء ـ لايظن به التشيع بل ظنت بإسلامه الظنون ـ:

وعلى الأُفق من دماء الشهيد ين عليّ ونجله شاهدان
فهما في أواخر اللَّيل فجران وفي أوليائه شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعدياً إلى الرحمن

وقال المرحوم الشيخ **عبد الحسين الحويزي**، وللّه درّهِ من جملة ما قال في رثاء الحسين (ع) بيتين عظيمين:

---

(١) ـ ينابيع المودَّة ٢/ ـ **الباب الثاني والستون** ـ في تفسير بعض الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب مَنْ بكى على الحسين وأهل بيته (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

(٢) ـ أدب الطف أو شعراء الحسين ١/ ٣٣ (ط/ بيروت).

كلُّ شيء في عالم الكون أرخى عينه بالدموع يبكي حسيناً
نزه اللّه عن بكا، وعليٌّ (ع) قد بكاه ـ وكان للّه عينا ـ

* * *

هـ ـ حديث: «فخبَّره جبرائيل بقتله فبكى»: وأسند عليُّ بن محمَّد، عن أبي المفضّل، إلى عائشة قالت: كان لنا مشربة وكان جبرائيل (ع) إذا لقيه، لقيه فيها، فلقيه مرَّة فصعد إليه الحسين (ع) فأجلسه النبيُّ (ص) على فخذه فخبرّه جبرائيل بقتله فبكى.

فقال: لا تبكِ؟ سينتقم اللّه من قاتليه ـ **بقائمكم** ـ أهل البيت، التاسع من ولد الحسين، فإنَّ ربِّي أخبرني: أنَّه سيخلق من صلبه ولداً: وسمّاه عنده **«عليّاً»** خاضع للّه خاشع، ثم يخرج من صلب عليّ ابنه وسمّاه عنده **«محمَّداً»** قانت للّه ساجد، ثم يخرج من صلبه ابنه وسمّاه عنده **«جعفراً»** ناطق عن اللّه صادق في اللّه، ويخرج من صلبه ابنه، وسمّاه عنده **«موسى»** واثق باللّه محبٌّ في دين اللّه، ويخرج من صلبه ابنه، وسمّاه عنده **«عليّاً»** الراضي باللّه والداعي إلى اللّه، ويخرج من صلبه ابنه، وسمّاه عنده **«محمَّداً»** المرغّبُ في اللّه، والذابُّ عن حُرُم اللّه، ثم يخرج من صلبه ابنه، وسمّاه عنده **«عليّاً»** المكتفي باللّه، والوليُّ للّه، ثم يخرج من صلبه ابنه وسمّاه عنده **«حسناً»** مؤمن باللّه، مرشد إلى اللّه، ويخرج من صلبه كلمة الحقّ ولسان الصدق حجَّة اللّه على بريته، له غيبة يظهر اللّه به الإسلام وأهله، ويخسف به الكفر وأهله.

وأسند هذا الحديث ـ **عليّ بن زكريّا البصري** ـ إلى أبي سلمة، وأسنده **محمَّد بن بدر** إلى أبي سلمة، **ومحمَّد بن جعفر القرميسي**، إلى أبي سلمة، **وأبو العباس بن كشمرد**، إلى أبي سلمة، **ورواه الكركي النقيب**، عن أبي المفضّل.

* * *

الفصل الثامن

﴿الشجرة الملعونة﴾

لقد وردت آيات قرآنية كثيرة، وأحاديث نبويّة كثيرة في جواز لعن المبتدعين والمخالفين، والبراءة منهم، بل وجوبها، ويدلّ على ذلك أمور:

١- قوله تعالى: **﴿إنّ الّذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدّنيا والاخرة﴾** الأحزاب/ ٣٣.

٢- وقال سبحانه: **﴿إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا مِنَ البينات والهدى من بعد مابيّناه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون﴾** البقرة/ ١٥٩.

٣- وقال عزّوجلّ: **﴿فهل عسيتم إنْ تولّيتم أنْ تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم أولئك الّذين لعنهم اللّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾**.

٤- وقوله عزّ من قائل: **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للنّاس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً﴾** الإسراء/ ٦٠.

وغير ذلك كثير.

أخرج ابن مردويه، عن عائشة أنّها قالت لمروان: سمعت رسول اللّه (ص) يقول لأبيك وجدّك - أبي العاص بن أميّة -: **«إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن»**[1].

---

(١) - ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** ٤/ ١٩١، والحلبي في **«السيرة»** ١/ ٣٣٧، والشوكاني في **«تفسيره»** ٣/=

وفي لفظ القرطبي:قالت عائشة لمروان: لَعِنَ اللّه أباكَ وأنتَ في صلبهِ، فأنتَ بعضُ مَنْ لعنه اللّه، ثمَّ قالت: والشجرة الملعونة في القرآن(١).

وفي لفظ الحاكم؛ والبيهقي في **«الدلائل»**؛ **وابن عساكر؛ وأبي يعلى** - من طريق أبي هريرة -: **«إني أُريت في منامي كأنَّ - بني الحكم بن العاص - ينزون على منبري، كما تنزو القردة»** فما رؤي النبيُّ (ص) مستجمعاً ضاحكاً حتّى توفّي(٢).

قال الالوسي: ومعنى جعل ذلك فتنة للنّاس: جعله بلاءً لهم ومختبراً، وبذلك فسَّره - **ابن المسيّب** - وكلّ هذا بالنسبة إلى خلفائهم الّذين فعلوا ما فعلوا، وعدلوا عن سنن الحقّ وما عدلوا، وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم فهم ممّن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً، أو ممّن كان أعوانهم كيف ماكان.

ويحتمل أنْ يكو ن المراد: ما جعلنا خلافتهم، وما جعلنا أنفسهم إلاّ فتنة، وفيه من المبالغة في ذمّهم ما فيه، وجعل ضمير **«نخوّفهم»** على هذا لِما كان له أولاداً أو شجرة باعتبار أنَّ المراد بها - **بنو أميّة** - ، ولعنهم لِما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحصنة، وأخذ الأموال من غير حلّها، ومنع الحقوق عن أهلها، وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيّه - **عليه الصّلاة والسلام** - إلى غير ذلك من القبايح العظام، والمخازي الجسام، التي لا تكاد تُنسى مادامت الليالي والأيّام.

وجاء لعنهم في القرآن: إما على الخصوص كما زعمته **«الشيعة»**، أو على العموم كما نقول، فقد قال سبحانه وتعالى: **﴿إنَّ الّذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدُّنيا والاخرة﴾**، وقال عزَّوجلّ: **﴿فهل عسيتم إنْ تولّيتم أنْ تفسدوا في**

= ٢٣١، والآلوسي في «تفسيره» ٥/ ١٠٧.

(١) - تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٦.

(٢) - تفسير الطبري ١٥/ ٧٧ ، مستدرك الحاكم ٤/ ٤٨، تاريخ الخطيب ٨/ ٢٨، ٩/ ٤٤، تفسير النيسابوري هامش الطبري ١٥/ ٥٥، وغيرها.

الأرض وتقطّعوا أرحامكم أولئك الّذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾ إلى آيات أُخر، ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أوّليّاً... إلى آخر كلامه، فراجع[1].

ولقد اتّفق المفسرون على تفسير آيات معينة في القرآن الكريم للعن **ـ بني أميّة ـ** بصورة فردية أو جماعية، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، **قوله تعالى: ﴿فاصْدَعْ بما تؤْمَرُ وأعْرِضْ عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ولقد نَعْلَمُ أنّك يَضيقُ صدرك بما يقولون﴾ الحجر/ ٩٤ـ ٩٧.**

قال الثعالبي: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي: حدّثنا عبد الرحمن بن سلب بن شيبة، في قول الله تعالى لنبيّه (ص): **﴿إنّا كفيناك﴾ ـ أي أظهرَ أمرك،** فقد كفيناك الذي كانوا يستهزؤون بك.. ويؤذونك.. فمن المؤذين لرسول الله (ص) أبو سفيان[2].

فهذه الآيات تشمل **ـ آل أميّة ـ** بصورة فردية وجماعية، وبغض النظر عن قول المفسّرين والرواة، فإنّ واقع الحال يؤكد لنا إيذاء الأُمويين للرّسول (ص) حينما كان في مكّة، وبعد الهجرة إلى المدينة، حتّى نصره تعالى فرغمت أُنوفهم فدخلوا في الإسلام مكرهين، فأظهروه وأبطنوا السوء له ولرسوله (ص) وآله (ع)، وهم المستهزؤون أيضاً بالرّسول (ص) حتى لعنهم في كثير من المواطن.

وأبو سفيان... مشعل نار الحروب ضدّ الرّسول (ص) والرّسالة؛ **والحكم؛ والوليد؛ وعقبة؛ وربيعة؛ وشيبة؛ ومعاوية..** فهذا العدد الخبيث لا تخفى معارضته العلنية ثمّ السرية للإسلام.

ولقد مات رسول الله (ص) وهو يدفع إلى أبي سفيان من حصّة المؤلّفة

---

(١) ـ تفسير الآلوسي ٥/ ١٠٧.

(٢) ـ لطائف المعارف: ٩٢ ـ ٩٣.

قلوبهم، وهم نوع من المنافقين بلا شك!..

١ ـ أبو سفيان: لعنه رسول اللّه (ص) في سبعة مواطن لا يتأتّى لأيٍّ أحد ردّها:

أولّها ـ يوم لقي رسول اللّه (ص) خارجاً من **«مكّة»** إلى **«الطّائف»** يدعو ـ **ثقيفاً** ـ إلى الدِّين، فوقع به وسبَّه وشتمه وكذَّبه وتوعّده، وَهَمَّ أنْ يبطش به، فلعنه اللّه ورسوله (ص) وصرف عنه.

الثانية ـ يوم العير، إذْ عرض لها رسول اللّه (ص) وهي جائية من الشّام، فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يظف المسلمون بها، ولعنه رسول اللّه (ص) ودعا عليه، فكانت ـ **وقعة بدر** ـ لأجلها.

الثالثة ـ يوم أُحد، حيث وقف تحت الجبل ورسول اللّه (ص) في أعلاه، وهو ينادي: أعلِ هُبل مراراً، فلعنه رسول اللّه (ص) عشر مرّات ولعنه المسلمون[1].

الرابعة ـ يوم جاء بالأحزاب؛ وغطفان ؛ واليهود؛ فلعنه رسول اللّه (ص) وابتهل.

الخامسة ـ يوم جاء أبو سفيان في قريش، فصدّوا رسول اللّه (ص) عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أنْ يبلغ محلّه، ذلك ـ **يوم الحديبيّة** ـ فلعن رسول اللّه (ص) أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: **«ملعونون كلّهم، وليس فيهم مَنْ يؤمن»** فقيل: يارسول اللّه! أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال (ص): **«لا تصيب اللعنة أحداً مِنَ الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد»**.

---

(١) ـ فقال رسول اللّه (ص): **«ألا تجيبونه»**؟ قالوا: يارسول اللّه ! ما نقول؟ قال: **«قولوا: اللّه أعلى وأجلّ»**.

فقال أبو سفيان: إنَّ لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال رسول اللّه (ص): **«ألا تجيبونه»** ؟ فقالوا: يارسول اللّه ! مانقول؟ قال: **«قولوا: اللّه مولانا ولا مولى لكم»**.

راجع: سيرة ابن هشام ٣/ ٤٥، تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٩٦، عيون الأثر ٣/ ١٨، تفسير القرطبي ٤/ ٢٣٤.

السادسة ـ يوم الجمل الأحمر.

السابعة ـ يوم وقفوا لرسول اللّه (ص) في ـ **العقبة** ـ ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً منهم: أبو سفيان(١).

٢ـ معاوية: كنّا نرتأي أنَّ معاوية في غنى عن إفاضة القول في مخاريقه لِما عرفته الأُمَّة من نفسيّته الموبوءة، وأعماله الوبيلة، وجرائمه الموبقة الجمَّة، ورذائله الكثيرة، ونسبه الموسوم، وأصله اللئيم، ومحتدِّه الدّني، وأنَّ مَنْ يضع فيه المدائح تندى جبهته عن سردها لمثله، غير أنّا وجدنا الأمل قد أكدى، والظنَّ قد أخفق، وأنَّ القحَّة والصلف لم يدعا لأُولئك الوضّاعين حدّاً يقفون عليه.

فحاولنا أنْ نذكر يسيراً من معرَّفاته لإيقاف الباحث على حقيقة الحال فيما عزوه إليه من الثناء، غير مكترثين للهتاف الذي سمعه بعض السلف على جبل بالشّام ـ ولعل الهاتف هو الشيطان ـ : «**مَن أبغض معاوية، سحبته الزبانية إلى جهنم الحامية، يرمى به في الحامية الهاوية**»(٢).

فلا نقيم أي وزن لأمثال هذه السفاسف: من آراء مجرَّدة، أو ركون إلى خيال، أو احتجاج بهاتف مجهول، أو جنوح إلى طيف حالم تجاه ما يؤثر عن رسول اللّه (ص) في الرَّجل، وما جاء فيه مِنَ الكلم القيِّمة للسلف الصالح الناظرين إلى أعماله: مِنْ كتب العارفين بعُجره وبُجره، الواقفين على إعلانه وأسراره، الناقدين لمخازيه، المتبصرِّين في أمره، الخبيرين بنواياه في جاهليته وإسلامه، وإليك نبذة منها:

١ـ عن عبد اللّه بن عمر قال: خرج رسول (ص) من فجّ فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه: **أحدهما** ـ قائد، **والاخر** ـ سائق، فلمَّا نظر

---

(١) ـ شرح ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وهذه المواطن السبعة عدَّها ا' الخوارزمي ١/ ١١٧. (٢) ـ تاريخ ابن كثير ٨/ ١٤٠.

إليهم رسول اللّه (ص) قال: **«اللّهمّ! العن القائد والسائق والراكب»، قلنا: أنت** سمعت رسول اللّه (ص)؟ قال: نعم، وإلاّ فصمّتا أُذناي كما عميتا عيناي[١].

٢- رأى (ص) أبا سفيان مقبلاً على حمار؛ ومعاوية يقود به، ويزيد - **إبنه** - يسوق به ، قال: **«لعن اللّه القائد والراكب والسائق»**[٢].

٣- عن البرآء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول اللّه (ص): **«اللّهمّ! العن التابع والمتبوع، اللّهمّ! عليك بالأُقيعس»**، فقال ابن البرآء لأبيه: مَنِ الأُقيعس؟ قال: معاوية[٣].

ومعاوية فظاظةٌ مِنْ لعن رسول اللّه (ص) حيثما لعن آكل الرِّبا والخمر وشاربها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه، والرَّجل أعرف شخصيّة بهذه المخازي.

٤- أخرج أحمد؛ وأبو يعلى؛ ونصر بن مزاحم؛ مِنْ طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في **«الكبير»** مِنْ طريق ابن عبّاس: كنّا مع رسول اللّه (ص) في سفر، فسمع رجلين يتغنّيان، وأحدهما يجيب الآخر، وهو يقول:

لا يزال حوارى تلوح عظامه   زوى الحرب عنه أنْ يجنّ فيقبرا

وفي لفظ ابن عبّاس:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه   ....

فقال النبيُّ (ص): **«انظروا مَنْ هما»**، قال: فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول اللّه (ص) يديه، فقال: **«اللّهمّ اركسهما ركساً، ودعهّما إلى النّار دعّاً»**، وفي لفظ ابن عبّاس: **«اللّهمّ اركسهما في الفتنة ركساً»**[٤].

---

(١) - كتاب صفين: ٢٤٧ (ط/ مصر).

(٢) - تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧.

(٣) - كتاب صفين: ٢٤٤.

(٤) - مسند أحمد ٤/ ٤٢١، كتاب صفّين: ٢٤٦ (ط/ مصر)، وجاء الإيعاز إلى الحديث في **«لسان العرب»** ٧/٤٠٤ و ٩/ ٤٣٩.

٥- أنَّ رسول اللّه (ص) قال: **«يطلع مِنْ هذا الفجِّ رجلٌ من أُمَّتي يحشر على غير ملّتي»** فطلع معاوية[١].

وفي لفظ ابن مزاحم: **«يطلع عليكم مِنْ هذا الفجِّ رجلٌ يموت حين يموت على غير سنتي»**[٢] والسند متينٌ وللّه الحَمد[٣].

٦- وفي الحديث المرفوع المشهور أنَّه (ص) قال: **«إنَّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها، ينادي: ياحنّان ! يامنّان ! الان وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ مِنَ المفسدين»**[٤].

٧- عن أبي ذرٍّ الغفاري (رض) قال لمعاوية: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: **«إست معاوية في النّار»** فضحك معاوية وأمر بحبسه.

٨- عن أبي ذرٍّ الغفاري (رض) قال لمعاوية: سمعت رسول اللّه (ص) يقو وقد مررت به: **«اللّهمَّ ! العنه ولا تشبعه إلاّ بالتراب»**.

٩- مرفوعاً: **«إذا ولي الأُمَّة الاعين (كذا)، الواسع البلعوم، الذي يأكل ولا يشبع فليأخذ الأُمَّة حذرها منه»**، قال أبو ذرٍّ: أخبرني رسول اللّه(ص): **«بأنّه معاوية»**.

وفي لفظ: **«لا يذهب أمر هذه الأمّة إلاّ على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم»**.

١٠- أخرج نصر بن مزاحم؛ وابن عدي؛ والعقيلي؛والخطيب؛ والمناوي؛ من طريق أبي سعيد الخدري؛ وعبد اللّه بن مسعود، مرفوعاً: **«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»**.

---

(١) ـ تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧.

(٢) ـ كتاب صفّين: ٢٤٧.

(٣) ـ العتب الجميل: ٨٦.

(٤) ـ تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧، كتاب صفّين: ٢٤٣، واللفظ للأوّل.

وفي لفظ: «**يخطب على منبري فاضربوا عنقه**».

وفي لفظ أبي سعيد: فلم نفعل ولم نفلح.

وقال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا[1].

رجال اسناد الحديث:

١ـ **يوسف بن موسى أبو يعقوب الكوفي**: من رجال البخاري؛ وأبي داود؛ والترمذي؛ والنسائي؛ وابن خزيمة ـ **في صحاحهم** ـ وثقة غير واحد.

٢ـ **جرير بن عبد الحميد أبوعبد اللّه الرازي**: من رجال ـ **الصحّاح الستّة** ـ مجمعٌ على ثقته.

٣ـ **إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي الكوفي**: أحد رجال ـ **الصحّاح الست** ـ متّفق على ثقته.

٤ـ **الأعمش سليمان بن مهران أبو محمّد الكوفي**: أحد رجال ـ **الصحّاح الستّ** ـ ليس في المحدّثين أصدق منه.

٥ـ **الحسن البصري**: أحد رجال ـ **الصّحاح** ـ مجمعٌ على ثقته.

فلم يبق في الحديث غمز، ولبعض النّواصب المعاندين تجاه حديث: «**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**» تصويبٌ وتصعيدٌ، وجلبةٌ ولغط ـ رووه بالموحّدة مع زيادة ـ: «**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقبلوه، فإنّه أمينٌ مأمونٌ**».

وزيادة: «**فإنّه أمينٌ مأمونٌ**» أقوى شاهد على بطلان الرواية واختلاقها.

ولبعضهم في تزييف حديث: «**فاقتلوه**» خُطَّةً أُخرى بما نقلوه عن ـ **ابن**

---

(١) ـ كتاب صفّين: ٢٤٣، ٢٤٨ (ط/ مصر)، تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧، تاريخ الخطيب ٢/ ١٨١، شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٤٨، كنوز الحقائق للمناوي: ١٠، تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢٨، وأخرجه البلاذري في «**تاريخه الكبير**»، قال: حدّثنا يوسف بن موسى، وأبو موسى إسحاق الغروي، قال: حدّثنا جرير بن عبد الحميد، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد؛ والأعمش، عن الحسن قال: قال رسول اللّه (ص): «**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**» فتركوا أمره فلم يفلحوا، ولم ينجحوا.

كثير. أنَّه قال: هذا الحديث كذبٌ بلا شكّ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك، لأنَّهم كانوا لاتأخذهم في اللّه لومة لائم(١).

وما نقلوه عن ـ **ابن حجر.** أنَّه قال: يلزم على فرض صحَّته نقيصة سائر الصحابة إنْ بلغهم ذلك الحديث، أو نقيصة مَنْ بلغه منهم وكتمه، لأنَّ مثل هذا ـ يجب تبليغه للأُمَّة حتّى يعملوا به، على أنَّه لو كتمه لم يبلغ التّابعين حتّى نقلوه لمن بعدهم، وهكذا فلم يبق إلاّ ـ **القسم الأوّل** ـ وهو أنْ يبلغهم فلا يعملون به، وهو لا يتصوّر شرعاً إذْ لو جاز عليهم ذلك جاز عليهم كتم بعض القرآن أو رفض العمل به، وكلُّ ذلك محالٌ شرعاً، لا سيَّما مع قوله (ص): **«تركتم على الواضحة البيضاء»** الحديث ١هـ (٢).

ماأحسن ظنَّ هؤلاء القوم بالصحابة، وما أجمله لو كان يساعده المنطق؟ لو لم يخالفه التاريخ الصحيح، أو الثابت المسلّم من سيرة الصحابة، أو ما جاء عن النبيِّ (ص) من أقواله التي تلقَّتها الأُمَّة بالقبول، ورواها أئمَّة الحديث في **«الصحاح»** و **«المسانيد»**.

وهل عمل الصحابة أو عيونهم بأمره (ص) في قتل ـ **ذي الثديَّة** ـ بعدما عرَّفه إيَّاهم بشخصه، وأنبأهم بهواجسه المكفَّرة، واعترف الرجل بها؟ أو خالفوه وضيَّعوا أمره ونبذوه وراء ظهورهم وهو بين ظهرانيِهِّم؟

وهل عملوا بما صحَّ وثبت عندهم مِنْ قوله (ص): **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»**؟ أو قوله (ص): **«مَنْ أراد أنْ يفرّق أمر هذه الأُمَّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً مَنْ كان»**؟ أو قوله (ص): **«فإنْ جاء آخر ينازعه ـ الإمام ـ فاضربوا عنق الآخر»**؟ إلى صحاح أُخرى.

---

(١) ـ تاريخ ابن كثير ٨/ ١٣٣.

(٢) ـ تطهير الجنان هامش الصواعق المحرقة: ٦٠.

فالرَّجل أخذاً بمجامع تلكم الشّهادات الصادقة للسلف الصالح محكومٌ عليه نصّ أقوالهم مِنْ دون أي تحريف وتحوير منّا: بأنّه امرؤٌ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه، وما أتى به من ضلاله ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهله المشركون الكفرة، مصيره إلى اللّظى، مبوآه النّار، اللعين ابن اللعين، الفاجر ابن الفاجر، المنافق ابن المنافق، الطليق ابن الطليق، الوثن ابن الوثن، الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، يخبط في عماية، ويتيه في ضلالة، شديد اللزوم للأهواء المبتدعة، والحيرة المتّبعة، لم يكن مِنْ أهل القرآن ولا مريداً حكمه، يجري إلى غاية خُسر، ومحلّه كفر، قد أولجته نفسه شرّاً، وأقحمته غيّاً، وأوردته المهالك، وأوعرت عليه المسالك.

غمص النّاس، وسفه الحقّ، فاسقٌ مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، ابن آكلة الأكباد، الكذّاب العسوف، إمام الرّدى، وعدو النبيّ (ص)، لم يزل عدوّاً للّه والسنّة والقرآن والمسلمين.

رجل البدع والأحداث، كانت بوائقه تُتّقى، وكان على الإسلام مخوّفاً، الغادر الفاسق، مثله كمثل الشيطان يأتي المرء مِنْ بين يديه ومِنْ خلفه وعَنْ يمينه وعَنْ شماله، لم يجعل اللّه له سابقة في الدّين، ولا سلف صدق في الإسلام، القاسط النابذ كتاب اللّه وراء ظهره، كان شرّ الأطفال وشرّ رجال.

كهف المنافقين، دخل في الإسلام كرهاً، وخرج منه طوعاً، لم يقدم ايمانه ولم يحدث نفاقه، كان حرباً للّه ورسوله (ص)، حزباً من أحزاب المشركين، عدوّاً للّه ولنبيّه (ص) وللمؤمنين.

أقوَل النّاس للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول اللّه (ص) وسيلة، الغاوي اللعين، ليس له فضلٌ في الدّين معروف، ولا أثرٌ في الإسلام محمود.

عادى اللّه ورسوله (ص) وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلمّا أراد اللّه أنْ يظهر دينه وينصر رسوله (ص) أتاه فأسلم وهو واللّه

راهب غير راغب، قبُض رسول اللّه (ص) والرَّجل يُعرف بعداوة المسلم ومودَّة المجرم، يُطفي نور اللّه، ويُظاهر أعداء اللّه.

أغوى جفاةً فأوردهم النّار، وأورثهم العار، لم يكن في إسلامه بأبرّ وأتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في أيّام شركه وعبادته الأصنام.

هذا هو ـ **معاوية** ـ عند رجال الدِّين الصحيح الأبرار الصَّادقين، وهذه صحيفة من تاريخه السوداء، وتؤكّد هذه الكلم القيمّة ما يؤثر عن الرَّجل من بوائق وموبقات هي بمفردها حججٌ دامغةٌ على سقوطه عن مبوأ الصالحين، فإنَّها لا تتأتى إلاّ عن تهاون بأمر اللّه ونهيه، وإغضاء عن نواميس الدِّين وشرائع الإسلام، وتزحزح عن سنَّة اللّه، وتعدٍّ وشذوذٍ عن حدوده، ﴿**وَمَنْ يتعدَّ حدود اللّه فأولئك هم الظالمون**﴾ وإليك نزرٌ منها:

١ـ ذكر الدميري: أنَّ معاوية وجد رجلاً يزني بجاريته فقال له: ماجرَّأك على هذا؟ قال الرَّجل: حلمك يامعاوية! فعفا عنه وأعطاه تلك الجارية[1].

٢ـ أخرج أحمد بن حنبل، من طريق عبد اللّه بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثمَّ أُتينا بالطعام فأكلنا، ثمَّ أُتينا بالشراب فشرب معاوية ثمَّ ناول أبي، ثمَّ قال: ماشربته منذ حرَّمه رسول اللّه (ص)، ثم قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش وأجودهم ثغراً، وما شيء كنت أجد له لذَّة كما كنتُ أجده وأنا شابٌ غير اللبن أو إنسان حسن الحديث يحدِّثني[2].

٣ـ أخرج ابن عساكر في «**تاريخه**»؛ وابن سفيان في «**مسنده**»،وابن قانع؛ وابن مندة ـ من طريق محمَّدبن كعب القرظي قال: غزاعبد الرَّحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان، ومعاوية أميرٌ على الشام فمرَّت به روايا خمر ـ **لمعاوية** ـ

(١) ـ حياة الحيوان.

(٢) ـ مسند أحمد ٥/ ٣٤٧.

فقام إليها برمحه فبقر كلَّ راوية منها فناوشه الغلمان حتّى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه، فإنّه شيخٌ قد ذهب عقله، فقال: كلاّ، واللّه، ما ذهب عقلي، ولكن رسول اللّه (ص) نهانا أنْ ندخل بطوننا وأسقيتنا خمراً، وأحلف باللّه لئن بقيت حتّى أرى في معاوية ما سمعت من رسول اللّه (ص) لأبقرنَّ بطنه أو لأموتنَّ دونه[1].

لعلَّ في الناس مَنْ يحسب أنَّ سلسلة الإستهتار بمعاقرة الخمور كانت مبدوَّة - **بيزيد بن معاوية** - وإنْ لم يحكم الضمير الحرّ بانتاج أبوين صالحين في دار طنّبت بالصَّلاح والدِّين تخلو عن الخمور والفجور ولداً مستهتراً مثل يزيد الطّاغية، المتخصصّ في فنون العبث والفساد، لكن هذه الأنباء تُعلمنا أنَّ هاتيك الخزاية كانت موروثة له من أبيه الماجن المشيع للفحشاء في الَّذين آمنوا بحمل الخمور إلى حاضرته على القطار تارة، وعلى حماره أُخرى، بملأ مِنَ الأشهاد، ونصب أعين المسلمين، وتوزيعها في الملأ الدِّينيّ، وهو يحاول مع ذلك أنْ لا ينقده أحدٌ، ولا ينقم عليه ناقمٌ، وكم لهذه المحاولة مِنْ نظائر، ينبو عنها العدد، ولا تقف على حدّ، فهو وما ولد سواسية في الخمر والفحشاء والمجون، وهذه هي التي أسقطته عند صلحاء الأُمَّة.

فبيت معاوية حانوت الخَمر، ودكّة الفجور، ودار الفحشاء والمنكر مِنْ أوَّل يومه، والخمر شعار أهله، وما أغنتهم النذر إذْ جاءت، وهم بمجنب عن قول رسول اللّه (ص): **«شارب الخَمر كعابد وثن»** وفي لفظ: **«مدمن خَمر كعابد وثن»**[2].

---

(١) - وذكره ابن حجر في **«الاصابة»** ٢/ ٤٠١، ولخّصه في **«تهذيب التهذيب»** ٦/ ١٩٢، وأخرجه ملخّصاً أبو عمر في **«الاستيعاب»** ٢/ ٤٠١، وذكره ابن الأثير في **«أسد الغابة»** ٢/ ٢٩٩ - **باللفظ المذكور - إلى (وأسقيتنا)** فقال: أخرجه الثلاثة - يعني: ابن مندة؛ وأبو نعيم؛ وأبو عمر.

(٢) - أخرجه ابن ماجة؛ وابن حبّان؛ والبزار؛ وغيرهم - راجع: **«الترغيب والترهيب»** ٣/ ١٠٢، نصب الراية ٢/٢٩٨.

وعن قوله (ص): **«ثلاثةٌ حرَّم اللّه تبارك وتعالى عليهم الجنَّة: مدمن الخَمر، والعاق، والديّوث الذي يقرُّ في أهله الخبث»**(١).

وعن قوله (ص): **«مَنْ شَرِبَ الخَمر سقاه اللّه مِنْ حميم جهنّم»**(٢).

وعن قوله (ص): **«إنَّ عند اللّه عهداً لمن يشرب المسكر أنْ يسقيه مِنْ طينة الخبال»** قالوا: يارسول اللّه! وما طينة الخبال؟ قال: **«عرق أهل النّار»** أو **«عصارة أهل النّار»**(٣).

٤ـ أخرج مالك؛ والنسائي؛ وغيرهما ـ مِنْ طريق عطاء بن يسار: **أنَّ معاوية** باع سقاية مِنْ ذهب أو ورق بأكثر مِنْ وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول اللّه (ص) عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل.

فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً.

فقال له أبو الدرداء: مَنْ يعذرني مِنْ معاوية؟ أنا أُخبره عن رسول اللّه (ص) وهو يخبرني عَنْ رأيه، لا أُساكنك بأرض أنت بها.

ثمَّ قدم أبو الدرداء عنه على عمر بن الخطّاب، فذكر له ذلك، فكتب عمر إلى معاوية: أنْ لا تبع ذلك إلاّ مثلاً بمثل، وزناً بوزن(٤).

٥ـ وأخرج مسلم؛ وغيره ـ مِنْ طريق أبي الأشعث قال: غزونا غزاة وعلى النّاس معاوية، فغنمنا غنايم كثيرة فكان فيما غنمنا آنيةٌ مِنْ فضّة، فأمر معاوية رجلاً أنْ يبيعها في أُعطيات النّاس فتسارع النّاس في ذلك، فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال: إنّي سمعت رسول اللّه (ص) ينهى عن بيع الذَّهب بالذَّهب، والفضّة بالفضّة، والبرُّ بالبُرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، إلاَّ سواءً

---

(١) ـ أخرجه أحمد؛ والنسائي؛ والبزار؛ والحاكم وصححه ـ راجع: **«الترغيب والترهيب»** ٣/ ١٠٤.

(٢) و (٣) ـ الترغيب والترهيب ٣/ ١٠١ ـ ١١١.

(٤) ـ راجع: موطأ مالك ٢/ ٥٩، اختلاف الحديث للشافعي هامش كتابه **«الأم»** ٧/ ٢٣، سنن النسائي ٧/ ٢٧٩، سنن البيهقي ٥/ ٢٨٠.

بسواء، عيناً بعين، فَمَنْ زاد أو ازداد فقد أربى، فردَّ النّاس ما أخذوا، فبلغ ذلك معاوية.

فقام خطيباً فقال: ألا ما بال رجال يتحدَّثون عن رسول اللّه (ص) أحاديث قد كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه؟

فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصَّة ثمَّ قال: لنحدِّثنَّ بما سمعنا مِنْ رسول اللّه (ص) وإنْ كره معاوية، أو قال: وإنْ رغم، ما أُبالي أنْ لا أصحبه في جنده ليلةً سوداء[1].

إنَّ مِنْ ضروريّات الدّين الحنيف الثابتة كتاباً وسنَّة وإجماعاً حرمة الرّبا، وأنَّه أكبر الكبائر.

قال اللّه تعالى: ﴿**الَّذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الَّذي يتخبطه الشيطان مِنَ المسِّ ذلك بأنَّهم قالوا إنَّما البيع مثل الرِّبا وأحل اللّه البيع وحرَّم الرِّبا**﴾البقرة / ٢٧٥.

وقال عزَّوجلَّ: ﴿**ياأيُّها الَّذين آمنوا اتَّقوا اللّه وذروا ما بقي مِنَ الرِّبا إنْ كنتم مؤمنين فإنْ لَمْ تفعلوا فأذنوا بحرب مِنَ اللّه ورسوله**﴾البقرة / ٢٧٩.

وتواترت السنَّة الشريفة في المسألة، وبلغت حدّاً لا يسع لأيٍّ مسلم ولو كان قرويّاً أنْ يَدَّعي الجهل به فضلاً عمَّن يدَّعي - **إمرة المؤمنين** - ومنها:

أ - أخرج الحاكم؛ والبيهقي - **بإسناد صحيح** - مِنْ طريق ابن مسعود، مرفوعاً: «**الرِّبا ثلاث وسبعون باباً، أيسرها مثل أنْ ينكح الرَّجل أُمَّه**».

ب - أخرج الطبراني في «**الكبير**»، عن عبد اللّه بن سلام، مرفوعاً: «**الدرهم يُصيبه الرَّجل مِنَ الرِّبا، أعظم عند اللّه مِنْ ثلاثة وثلاثين زنية في الإسلام**».

---

(١) - صحيح مسلم ٥/ ٤٣، سنن البيهقي ٥/ ٢٧٧، تفسير الطبري ٣/ ٣٤٩.

جـ ـ أخرج الطبراني ـ **بإسناد** ـ رواته رواة ـ **الصحيح** ـ عن ابن مسعود، مرفوعاً: «**بين يدي السّاعة يظهر الرِّبا والزنا والخمر**».

د ـ أخرج الحاكم ـ **بإسناد صحيح** ـ عن ابن عبّاس، مرفوعاً: «**إذا ظهر الزّنا والرِّبا في قرية، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب اللّه**».

٣ـ يزيد: استحق ـ يزيد ـ اللعن مِنَ اللّه وملائكته وأنبيائه، وَمَنْ دان بهم مِنَ المؤمنين إلى يوم الدِّين، ولم يتوقَّف في ذلك إلاّ مَنْ حُرِّمَ ريح الإيمان، وأعمته العصبية عن السلوك في جادّة الحقّ، فأخذ يتردَّد في سيره، حيران لا يهتدي إلى طريق، ولا يخرج من مضيق.

وَلَمْ يتوقَّف المحققّون من العلماء في ـ **كفره وزندقته** ـ، وقد أجمع أهل الإسلام على لعن يزيد، ومن جملة علماء ـ **أهل السنّة** ـ الَّذين صرحوا بجواز لعنه:

١ـ القاضي الإيجي: الشافعي: صاحب «**شرح المواقف**» في الكلام، و«**شرح مختصر الأصول**» وغيرهما، اسمعه يقول:

اللعن على يزيد في الشرع يجوز ... واللّاعن يحوي حسنات ويحوز
قد صحَّ لديَّ أنّه معتلٌ ... واللّعن مضاعف وهذا مهموز

٢ـ السعد التفتازاني[١]: والحقّ أنَّ رضا ـ **يزيد** ـ بقتل الحسين، واهانته أهل بيت رسول اللّه ممّا تواتر معناه، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في ايمانه، فلعنة اللّه عليه وعلى أنصاره وعلى أعوانه[٢].

وقول السعد: بل في إيمانه ـ أي: بل لا نتوقف في عدم ايمانه بقرينة ما بعده وماقبله.

---

(١) ـ صاحب «**المطول**» و «**شرح المقاصد**».

(٢) ـ شرح العقائد النسفية: ١٨١ (**ط/ الاستانة ـ ١٣١٣هـ**).

٣ـ صاحب «شفاء الصدور»: قد ردَّ على الَّذين لَمْ يجيزوا لعن ـ **يزيد** ـ: كأبي حامد الغزالي الطوسي صاحب كتاب **«إحياء علوم الدين»** فأنشأ يقول:

قل لمن لا يُجيز لعن يزيد ... أنت إنْ فاتنا يزيد يزيد
زادك اللّه لعنة وعذاباً ... وله اللّه ضعف ذاك يزيد(١)

٤ـ الكياهراسي: ومِنْ علماء ـ **أهل السنَّة** ـ المنصفين الَّذين أجازوا لعن ـ **يزيد** ـ أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن عليّ الطبري، الملقب بـ **«عماد الدّين»**، والمعروف بـ **«الكياهراسي»** ـ من كبار فقهاء الشافعية، قال: لو مددت ببياض، لمددت العنان في مخازي الرَّجل(٢).

وحكى ـ **ابن العماد** ـ عنه، أنَّه سُئِلَ عن ـ **يزيد بن معاوية** ـ، **فقال**: لم يكن مِنَ ـ **الصحابة** ـ ، لأنه ولد أيّام ـ **عمر بن الخطّاب** ـ، ولأحمد فيه قولان: تلويح وتصريح، ولمالك قولان: تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان: تلويح وتصريح.

ولنا قول واحد: تصريح دون تلويح، وكيف لا يكون كذلك؟ وهو: اللاعب بالنرد، ومُدْمِن الخمر، وشعره في الخمر معلوم(٣).

٥ـ ابن خلكان: يقول: سُئلتُ: هل أنَّ ـ **يزيد بن معاوية** ـ مِنْ جملة الصحابة أم لا؟ وهل يجوز لعنه أم لا؟

فأجبتُ: إنَّ ولادة ـ **يزيد** ـ في عهد ـ **عمر بن الخطّاب** ـ، وليس مِنَ الصحابة، وأمّا لعنه فهناك ثلاثة مِنْ أئمَّة المذاهب: **أحمد بن حنبل؛ ومالك؛ وأبو حنيفة؛** قد أوردوا في خصوص ـ **لعن يزيد** ـ قولين ـ تصريحاً وتلويحاً، لكن أنا أُصرح قائلاً: إنَّه ملعون، وكيف لا يجوز لعنه؟ وهو الفاسق وشارب الخمر وله أشعار بذلك

---

(١) ـ وفيات الأعيان ١/ ٣٥٥.

(٢) ـ وفيات الأعيان ـ **ترجمة عليّ بن محمَّد بن عليّ الكياهراسي** ـ، ومرآة الجنان / لليافعي ٣/ ١٧٩ **(سنة ـ ٥٠٤هـ)**.

(٣) ـ شذرات الذهب ٣/ ١٧٩ (سنة ـ ٥٠٤ هـ).

معروفة [١].

٦ـ **السيّد السمهودي**: اتّفق العلماء على ـ **جواز لعن** ـ مَنْ قتل الحسين (رضي اللّه عنه)، أو أمر بقتله، أو أجازه، أو رضي به، من غير تعيين[٢].

٧ـ **ابن الجوزي**[٣]: سألني سائل عن ـ **يزيد بن معاوية** ـ ، **فقلت: يكفيه ما به**، فقال لي: أتجوز لعنته؟ فقلت: قد أجازها العلماء المتورعون، منهم: **أحمد بن حنبل**، فإنّه ذكر في حقّ ـ **يزيد** ـ ما يزيد على اللّعنة، ثمَّ روى ابن الجوزي، عن القاضي أبي يعلي، بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل، قال: **قلت لأبي: إنَّ قوماً ينسبون** إلى موالاة ـ **يزيد** ـ، فقال: يابني ! وهل يوالي ـ **يزيد** ـ أحد يؤمن باللّه؟

فقلت: ولِمَ لا تلعنه؟ فقال: يابني ! رأيتني لعنت شيئاً؟ يابني !ولِمَ لا يلعن مَنْ لعنه اللّه تعالى في كتابه؟

فقلت: وأينَ لعن اللّه ـ **يزيد** ـ في كتابه؟ فقال: **في قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم انْ توليتم انْ تفسدوا في الأرض...إلى قوله: أبصارهم﴾**.

وهل يكون فساد أعظم مِنْ قتل الحسين (رضي اللّه تعالى عنه)، وقد قال تعالى: **﴿إنَّ الّذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدُّنيا والاخرة﴾** ـ وأي أذىً أشدّ على محمَّد (صلَّى اللّه عليه وسلّم) مِنْ قتل الحسين الَّذي هوله ولبنته البتول قرَّة عين، وفي «**الصحيح**»: «**اللّهُمَّ ! إني أُحبه فأحبه، وأحب مَنْ يحبه**»[٤].

---

(١) ـ وفيات الأعيان ١/ ٣٥٥.

(٢) ـ جواهر العقدين، كما في «**الإتحاف بحبُّ الأشراف**»: ٦٣.

(٣) ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ الحنبلي، ألّف كتابه «**الرّد على المتعصب العنيد المانع عن لعن يزيد**»، وكتابه هذا في الرّد على ـ **عبد المغيث بن زهير الحنبلي** ـ الّذي ألّف كتاباً في «**فضائل يزيد**» ـ حشره اللّه مع يزيد.

(٤) ـ الفصول المهمة: ١٧١، الجامع الصحيح ٥/ ٦٦١ ـ حديث رقم (٣٧٨٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٣٦٩ـ حديث (٢٨٨٢)، سنن ابن ماجة ١/ ٥١ ـ حديث رقم (١٤٣)، وفيه: اسناده صحيح، ورجاله ثقات، مستدرك الحاكم ٣/ ١٧٨، عن أبي هريرة، ٣/ ١٦٦، وقال: حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، تاريخ بغداد ١/ ١٤١، كنوز الحقائق: ١٣٤، مجمع الزوائد ٩/ ١٨٠، كفاية=

وروى عن صالح بن أحمد بن حنبل، قلتُ لأبي: ياأبتي! أتلعن يزيد؟ فقال: يابني ! كيف لا نلعنَ مَنْ لعنه اللّه تعالى في ثلاث آيات مِنْ كتابه العزيز في **«الرعد»** و**«القتال»** و **«الأحزاب»**.

قال تعالى: **﴿والّذين يقطعون ما أمر اللّه به أنْ يوصل ويفسدون في الأرض أُولئكَ لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾**.

وأيّ قطيعة أفظع مِنْ قطيعته (صلّى اللّه عليه وسلّم) في ابن بنته الزهراء.

وقال تعالى: **﴿إنَّ الّذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدُنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾**.

وقال تعالى: **﴿فهل عسيتم انْ تولّيتم انْ تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أُولئك الّذين لعنهم اللّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾**.

وقال ابن الجوزي: قد صنَّف القاضي أبو يعلي كتاباً، ذكر فيه مَنْ يستحقّ اللّعنة، وذكر منهم: **يزيد**، ثمَّ أورد حديث: **«مَنْ أخاف أهل المدينة ظلماً، أخافه اللّه وعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين»**[1].

=الطالب: ٣٤٠، حلية الأولياء ٥/ ١، بأسانيد عديدة، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٨، ٤/ ٢٧٤، أُسد الغابة ٥/ ٥٧٤، كنز العمال ٦/ ٢١٧، وقال: أخرجه الروياني، وابن حبّان في **«صحيحه»** عن حذيفة، الاصابة ١/ ٢٦٦ ق ١، وقال: أخرجه ابن مندة؛ وأبو نعيم؛ وابن عساكر، مجمع الزوائد ٩/ ١٨٢، وفيه:رواه الطبراني، ذخائر العقبى: ١٢٩، وقال: خرّجه ابن السمان في **«الموافقة»**، ينابيع المودة: ١٦٧، كنز العمال ٦/ ٢٢١، وقال:أخرجه الطبراني، عن أُسامة بن زيد، فرائد السمطين ٢/ ٥٣، مناقب ابن المغازلي: ٣٧٦، وغيرها.

(١) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٦٣ ـ ٦٥، قال السيد السمهودي: بعد هذا قلت: حصل من ذلك الجيش من القتل والسبي والفساد وإخافة أهل المدينة ما هو مشهور معلوم، ولم يرَ من مسلم إلاّ أنْ يبايعوه ـ **ليزيد** ـ على أنّهم خول لهُ: إنْ شاء باع، وإنْ شاء أعتق.

فقال بعضهم: البيعة على كتاب الله وسنّة رسوله (ص) فضرب عنقه، وقتل بقايا الصحابة وأبناءهم، ثمَّ انصرف جيشه هذا إلى مكةالمشرفة لقتال ـ **ابن الزبير** ـ فوقع منهم رمي الكعبة بالمنجنيق وإحراقها بالنار، فلاشيء أعظم من هذه العظائم التي وقعت، وهي مصداق ما رواه أبو الدرداء عنه(ص): **«أوّل من يبدّل سنّتي رجلٌ من ـ بني أُمية ـ يقال له: يزيد»** صواعق ابن حجر: ١٣٢، ورواه أبو يعلي من حديث أبي عبيدة، رفعه عنه (ص)، ورواه غير أبي يعلي بدون تسمية ـ **يزيد** ـ لأنّهم كانوا يخافون من تسميته.

ولا خلاف أنَّ يزيد غزا المدينة بجيش ـ **مسلم بن عقبة** ـ **وأخاف أهلها**.

وقال ابن الجوزي في كتابه «**السر المصون**»: مِنَ الإعتقادات العاميَّة التي غلبت على جماعة مِنَ المنتسبين إلى ـ **السنَّة** ـ ، أنَّهم قالوا: كان ـ **يزيد** ـ على الصواب، و ـ **الحسين** ـ مخطىء في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا، كيف عقدت البيعة له، وألزم النّاس بها؟ ولقد فعل مع النّاس في ذلك كلَّ قبيح.

ثُمَّ لو قدرنا صحَّة ـ **خلافته** ـ ، فقد بدرت منه بوادر، وظهرت منه أُمور، كلّ منها يوجب فسخ ذلك العقد: مِنْ نهب المدينة؛ ورمي الكعبة بالمنجنيق؛ وقتل الحسين وأهل بيته؛ وضربه على ثناياه بالقضيب؛ وحمل رأسه على خشبة، وإنَّما يميل إلى هذا: جاهل بالسيرة، عامي المذهب، يظنُّ أنَّه يغيظ بذلك «**الرافضة**»[1].

٨ـ **ابن حجر**: إنَّ ـ **يزيد** ـ قد بلغ مِنْ قبايح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً، لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الامام أحمد بن حنبل: بكفره، وناهيك به علماً وورعاً يقضيان بأنَّه لم يقل ذلك إلاّ لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وإنْ لم يثبت عند غيره: **كالغزالي**؛ **وابن العربي**، فإن كلاهما قد بالغا في تحريم سبّه ولعنه، لكن كلاهما مردود لأنَّه مبني على صحَّة ـ **بيعة يزيد** ـ لسبقها، والذي عليه المحققون خلاف ماقالاه[2].

٩ـ **الشبراوي**: وأيضاً من القائلين بجواز ـ **لعن يزيد** ـ: الشيخ عبد اللّه بن محمَّد بن عامر الشبراوي الشافعي، ونقل أقوالاً كثيرة[3].

١٠ـ **هادي كاشف الغطاء**: وقد ألَّف العالم الجليل الشيخ هادي بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء المتوفّى سنة (١٣٦١هـ) رسالة في ـ **جواز لعن يزيد** ـ [4].

---

(١) ـ الفروع ٣/ ٥٤٨ ـ **باب قتال أهل البغي** ـ (ط/ المنار ـ سنة ١٣٤٥ هـ).

(٢) ـ شرح الهمزية، كما في الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٦٨.

(٣) ـ الاتحاف بحبِّ الأشراف: ٦٢ ـ **الباب الثالث** ـ في حكم لعن يزيد وماورد في أمثاله من الوعيد.

(٤) ـ الذريعة ٥/ ٢٤٥.

١١ـ الميرزا قوام الدّين القزويني: وكذلك العلاّمة الأديب الفقيه الميرزا قوام الدِّين محمَّد الحسيني السيفي القزويني صاحب منظومة **«شرح اللمعة»** وغيره.

اسمعه يقول:

اللعن على يزيد لازال يزيد ولعناً مترادفاً مقفّىً بمزيد
واذكر عطش الحسين واسكب دمعاً واطلب ثلج الفؤاد من لعن يزيد

ولقد أجاد (رحمه اللّه) بقوله:

يا أولي الألباب ! قُولوا واسمعوا قولاً سديدا
لعن اللّه فريقاً أسسّوا الظلم مشيدا
وملاعين لئاماً قتلوا السبط الشهيدا
ثمَّ منهم شبثاً والخولّي بن يزيدا
واللعين ابن زياد وابن حجّاج حصيدا
لم يخافوا سخط اللّه ولم يخشوا وعيدا
شهد الله عليهم وكفى اللهّ شهيدا
ثمَّ مروان حمارٍ وهشاماً ووليدا
والدوانيقي والمأمون منهم والرشيدا
ثمَّ قابيلَ ونمرودَ وشدّاداً شديدا
ثم فرعون وهامان وقارون الحفيدا
ثمَّ طاغوتاً وجبتاً ثمَّ شيطاناً مريدا
وأولي البدعة في الدّين قديماً وجديدا
لعنات دائماتٍ خالدات لن تبيدا
ثمَّ أولاهم عذاباً ونَكالاً وحديدا
ثم أصلاهم سعيراً وجحيماً ومزيدا
وقراهم من ضَريع ثم زقّوماً نضيدا
وسقاهم مِنْ حميم وخبالاً وصديدا
ثمَّ غسلينا وغساقاً وصَهلاً ليزيدا

١٢- البرهان الحلبي: إنَّ الأُستاذ الشيخ محمَّد البكري تبعاً - **لوالده** - كان - **يلعن يزيد** -، ويقول: زاده اللّه خزياً وضعة، وفي أسفل سجين وضعه[١].

١٣- ابن مفلح الحنبلي: جوَّز ابن عقيل؛ وابن الجوزي، الخروج على الإمام غير العادل، بدليل خروج - **الحسين** - على - **يزيد** - **لإقامة الحقّ**[٢].

١٤- سبط ابن الجوزي: سُئِلَ ابن الجوزي عن - **لعن يزيد** - ؟ فقال: أجاز أحمد - **لعنه** - ، ونحن نقول: لانحبَّه، لما فعل بابن بنت نبيِّنا، وحمله آل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال، وتجرِّيه على آل رسول اللّه، فإنْ رضيتم بهذه المصالحة، بقولنا: لانحبُّه، وإلاّ رجعنا إلى أصل الدعوى - جواز لعنته -[٣].

١٥- ابن تغري بردي الحنفي: كان - **يزيد** - فاسقاً، مدمن الخمر[٤]، وقال: أخذت فتاوى العلماء بتعزير - **عمر بن عبد العزيز القزويني** - إذْ قال: - **أمير المؤمنين يزيد** - ثُمَّ أُخْرِجَ من «**بغداد**» إلى «**قزوين**»[٥].

١٦- ابن خلدون: غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي، إذْ قال في كتابه «**العواصم والقواصم**»[٦]: إنَّ الحسين (ع) قُتِلْ بسيف شرعه غفلة عن اشتراط الإمام العادل في الخلافة الاسلاميَّة، وَمَنْ أعدل من الحسين (ع) في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء.

وذكر الإجماع على - **فسق يزيد** -، ومعه لا يكون صالحاً للإمامة، وَمِنْ أجله كان الحسين (ع) يرى مِنَ المتعيِّن الخروج عليه، وقعود الصحابة والتابعين عن

---

(١) - السيرة الحلبية.

(٢) - الفروع ٣/ ٥٤٨ - **باب قتال أهل البغي** - (ط/ المنار - ١٣٤٥هـ).

(٣) - مرآة الجنان ٨/ ٤٩٦ (سنة ٥٩٧ هـ - حيدر آباد).

(٤) - النجوم الزاهرة ١/ ١٦٣.

(٥) - نفس المصدر ٦/ ١٣٤ (سنة - ٥٩٠ هـ).

(٦) - عبارة أبي بكر ابن العربي الأندلسي في «**العواصم**»: ٢٣٢ - **تحقيق محبّ الدِّين الخطيب** - طبع سنة =

نصرة الحسين (ع)، لا لعدم تصويب فعله ، بل لأنّهم يرون عدم جواز إراقة الدماء، فلا يجوز نصرة ـ **يزيد** ـ بقتال ـ **الحسين** ـ، بل قتله من فعلات ـ **يزيد** ـ المؤكدة لفسقه، و ـ **الحسين** ـ فيها شهيد[1].

١٧ـ أبو شامة: دخل بغداد ـ **أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني** ـ، فوعظ ـ **بالنظامية** ـ ، وفي ـ **يوم عاشوراء** ـ قيل له: العن يزيد بن معاوية، قال: ذاك إمام مجتهد؟ ففاجأه أحدهم فكاد يُقتَل، وسقط عن المنبر، ثُمّ أخرجوه إلى ـ **قزوين** ـ ومات بها سنة (٥٩٠هـ)[2].

١٨ـ الالوسي: مَنْ يقول: إنّ يزيد لم يعص بذلك، ولايجوز لعنه؟ فيبتغي أنْ ينتظم في سلسلة ـ **أنصار يزيد** ـ، وأنا أقول: إنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً بالرسالة للنبيّ (ص)، وأنّ مجموع مافعله مع أهل حرم اللّه، وأهل حرم نبيّه (ص)، وعترته الطيّبين الطّاهرين في الحياة وبعد الممات، وماصدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من ـ **المصحف الشريف** ـ **في قذر**، ولا أظن أنّ أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذْ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، ولم يسعهم إلاّ الصبر.

ولو سلّم أنّ ـ **الخبيث** ـ كان ـ **مسلماً** ـ، **فهو** مسلم جمع من الكبائر مالا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى ـ **جواز لعن مثله** ـ على التعيين، ولو لم يتصور

= (١٣٧١هـ) ، قال رسول اللّه (ص): **«ستكون هنات فمن أراد أنْ يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً مَنْ كان»** فما خرج عليه أحد إلاّ بتأويل ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جدّه (ص) انتهى.

ذكره مسلم في **«الصحيح»** ٢/ ١٢١ ـ كتاب الامارة، أخرجه عن زياد بن علاقة، عن عرفجة، عنه (ص).

وابن علاقة: سيّء المذهب منحرف عن أهل البيت (ع)، كما في **«تهذيب التهذيب»** لابن حجر ٣/ ٣٨١، وذكر عرفجة في ٧/ ١٧٦، ولم ينقل له مدح او ذم، فهو من المجهولين لا يؤبه بحديثه.

(١) ـ مقدّمة ابن خلدون: ٢٥٤ و٢٥٥ ـ عند ذكر **«ولاية العهد»**.

(٢) ـ رجال القرنين: ٦ (سنة ـ ٥٩٠ هـ)، ومضمار الحقايق لتقي الدّين عمربن شاهنشاه الأيوبي، المتوفّى سنة (٦١٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور حسن حبشي: ١٢٠ ـ حوادث (٥٧٩ هـ).

أنْ يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنَّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه.

ويلحق به ـ **ابن زياد؛ وابن سعد** ـ فلعنة اللّه عليهم؛ وعلى أنصارهم؛ وأعوانهم، وشيعتهم؛ ومَنْ مالَ إليهم إلى يوم الدِّين، ما دمعت عينٌ على ـ **أبي عبد اللّه الحسين (ع)** ـ !.

ويعجبني قول شاعر العصر، ذي الفصل الجلي عبد الباقي أفندي العمري الموصلي، وقد سُئِلَ عن ـ **لعن يزيد** ـ، فقال:

يزيد على لعني عريض جنابه　　　فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

ومَنْ يخشى القيل والقال من التصريح ـ **بلعن ذلك الضليل** ـ، فليقل: لعن اللّه عزَّوجلَّ مَنْ رضي بقتل الحسين (ع)، ومَنْ آذى عترة النبيِّ (ص) بغير حقٍّ، **(ومَنْ غصبهم حقَّهم)**، فإنَّه يكون ـ **لاعناً** ـ له، لدخوله تحت العموم دخولاً أوَّلياً في نفس الأمر، ولا يخالف أحد في ـ **جواز اللعن** ـ بهذه الألفاظ ونحوها سوى ـ **ابن العربي** ـ المار ذكره وموافقيه، فإنَّهم على ظاهر مانقل عنهم: لا يجوِّزون ـ **لعن** ـ مَنْ رضي بقتل الحسين (ع)، وذلك لعمري، هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ـ **ضلال يزيد** ـ.

ثمَّ قال: نقل البرزنجي في «**الإشاعة**»؛ والهيثمي في «**الصواعق**»: أنَّ الإمام أحمد لمّا سأله ابنه عبد اللّه عن ـ **لعن يزيد** ـ، قال: كيف لا يلعن مَنْ لعنه اللّه في «**كتابه**»؟

فقال عبد اللّه: قرأت كتاب اللّه عزَّوجلَّ، فلم أجد فيه ـ **لعن يزيد** ـ؟

فقال الإمام: إنَّ اللّه يقول: ﴿**فهل عسيتم أنْ تولَّيتم أنْ تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئكَ الَّذينَ لعنهم اللّه**﴾ وأي فساد وقطيعة أشدّ ممّا فعله «**يزيد**»؟!

وقد جزم ـ **بكفره** ـ، وصرَّح ـ **بلعنه** ـ جماعة من العلماء، منهم: القاضي أبو

يعلى؛ والحافظ ابن الجوزي، وقال التفتازاني: لانتوقف في شأنه بل في إيمانه - **لعنة الله عليه وعلى أعوانه وأنصاره** - ، وصرَّح - **بلعنه** - الجلال السيوطي.

وفي «**تاريخ**» ابن الوردي؛ وكتاب «**الوافي بالوفيات**»: لمّا وَرَدَ على - **يزيد** - نساء الحسين وأطفاله، والرؤوس على الرماح، وقد أشرف على ثنية - **جيرون** - ونعب الغراب قال:

لّما بدت تلك الحمول وأشرقت — تلك الشموس على ربى جيرون

نعب الغراب، فقلت: قل أولا تقل — فلقد قضيت مِنَ النبيِّ ديوني

يعني: أنَّه قَتَلَ بِمَنْ قتله رسول الله (ص) - **يوم بدر** -: كجدِّه عتبة؛ وخاله ولد عتبة؛ وغيرهما.

وهذا كفر صريح، فإذا صحَّ عنه فقد كفر به، ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبعري قبل إسلامه (ليث أشاخي) الأبيات(١).

١٩- الشيخ محمَّد عبده: إذا وجد في الدُنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطله، وجب على كلِّ مسلم نصر الأُولى، ثُمَّ قال: وَمِنْ هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول (ص) على إمام الجور والبغي، الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمكر - **يزيد بن معاوية** - خذله الله، وخذل مَن انتصر له مِنَ - **الكرامية والنواصب** - (٢).

٢٠- الجاحظ: المنكرات التي اقترفها - **يزيد** - من قتل - الحسين -، وحمله بنات رسول الله (ص) سبايا، وقرعه ثنايا الحسين بالعود، وإخافته - **أهل المدينة** -، وهدم - **الكعبة** - ، تدلُّ على: القسوة، والغلظة، والنصب، وسوء الرأي، والحقد، والبغضاء، والنفاق، والخروج عن الإيمان، **فالفاسق - ملعون** -، ومن نهى عن شتم -

---

(١)- تفسير روح المعاني ٢٦/ ٧٣- آية: ﴿فهل عسيتم أنْ تولَّيتم﴾.

(٢)- تفسير المنار ١/ ٣٦٧- في «المائدة» - آية (٣٧)، و١٢/ ١٨٣ و١٨٥.

الملعون ـ فملعون[١].

٢١ـ ابن حزم: قيام ـ **يزيد بن معاوية ـ لغرض دنيا فقط، فلا تأويل له،** وهو بغي مجرد[٢].

٢٢ـ الذّهبي: كان ـ **يزيد بن معاوية ـ** ناصبياً فظّاً غليظاً جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل ـ **الشهيد الحسين ـ**، وختمها ـ **بوقعة الحرّة ـ** ، فمقته النّاس، ولم يُبارك في عمره[٣].

٢٣ـ الشوكاني: لقد أفرط بعض أهل العلم، فحكموا: بأنَّ الحسين السبط (رضي اللّه عنه وأرضاه) باغ على الخميِّر السّكير، الهاتك لحرمة الشريعة المطهَّرة ـ **يزيد بن معاوية ـ** (لعنهم اللّه)، فياللعجب! من مقالات: تقشعر منها الجلود، ويتصدَّع من سماعها كلُّ جلمود[٤].

وبعد مقت أعلام الأُمَّة ـ **ليزيد ـ** نحاسب ـ **عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي ـ** عن الأُصول الصحيحة التي استقى منها **«كتابه»** الَّذي صنَّفه في **«فضائل يزيد»**[٥].

وأيّ مأثرة صحيحة وجدها له حتى سجلها في **«كتابه»**؟ وهل حياته كلّها إلاّ مخاز وتهجمات على قدس الشريعة؟! لذلك لم يعبأ العلماء ـ **بهذا الكتاب ـ**.

فيقول ابن العماد: أتى فيه بالموضوعات[٦]، **وقال ابن كثير:** ردَّ عليه ـ **ابن الجوزي ـ** فأجاد وأصاب[٧]، **وقال ابن الأثير:** عليه **«مروج الذهب»**: أتى فيه

---

(١) ـ رسائل الجاحظ: ٢٩٨ ـ الرسالة الحادية عشرة **«في بني أُميّة»**.

(٢) ـ المحلّى ١١/ ٩٨.

(٣) ـ الروض الباسم للوزير اليماني ٢/ ٣٦ ، نقلاً عن **«سير أعلام النبلاء»**.

(٤) ـ نيل الأوطار ٧/ ١٤٧.

(٥) ـ طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٣٥٦.

(٦) ـ شذرات الذهب ٤/٢٧٥ ـ حوادث سنة (٥٨٣ ـ هـ).

(٧) ـ البداية ١٢/ ٣٢٨.

بالعجائب[١]، وقال ابن رجب: صنَّف - ابن الجوزي - في الرَّد عليه، سمّاه: **«الرّد على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد»**[٢].

* * *

(١) - الكامل ١١/ ٢١٣.

(٢) - طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٦.

الفصل التاسع

﴿الرّد على المتعصب العنيد﴾

١ـ ابن حجر: روى ابن حجر: أنَّ لعنته (ص) **ـ للحكم وابنه ـ** لاتضرّهما، لأنَّه (ص) تدارك ذلك بقوله ممَّا بيَّنه في الحديث الآخر: أنَّه بشرٌ يغضب كما يغضب البشر، وأنَّه سأل ربَّه أنَّ مَنْ سبَّه أولعنه أو دعا عليه أنْ يكون رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً[١].

أنا لا أدري أيعلم ابن حجر ماذا يلوك بين أشداقه؟ أهو مجدٌّ فيما يقول أم هازئٌ؟ أما ما اعتذر به مِن أنَّ لعنته (ص) لاتضرُّ الحكم وابنه...الخ، فقد أخذه ممّا أخرجه الشيخان في **«الصحيحين»** ـ من طريق أبي هريرة، غير أنَّه حرَّف منه كلماً وزاد فيه أُخرى.

وإليك لفظه قال: **«اللّهم ! إنَّما محمَّدٌ بشرٌ يغضب كما يغضب البشر، وإنّي قد اتَّخذت عندك عهداً لم تخلفنيه، فأيَّما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له كفارةً وقربةً تقرّبه بها إليك»**[٢].

هذا حطٌّ مِنْ مقام الرسالة لأجل أُمويّ ساقط، وحسبان أنَّ صاحبها كإنسان عادي يثيره مايثير غيره، فيغضب لما لا ينبغي أنْ يغضب له، ومخالف للكتاب

---

(١) ـ صواعق ابن حجر: ١٠٩.

(٢) ـ صحيح البخاري ٤/ ٧١ ـ **كتاب الدعوات** ـ صحيح مسلم ٢/ ٣٩٢ ـ كتاب ـ **البر والصلة** ـ.

العزيز: من قوله سبحانه: ﴿ومايننطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يُوحى﴾.

نعم، هو (ص) بشرٌ غير أنَّه كما قال في الذكر الحكيم: ﴿قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ﴾

فإنْ كان في الوحي أنْ يلعن الطريد وما ولد، فماذا ينجيه مِنَ اللعن؟ إلاّ أنْ يحسب ـ ابن حجر ـ أنَّ الوحي يتبع الشهوات، كبرت كلمة تخرج مِنْ أفواههم.

وكيف يكون اللعن رحمةً وزكاةً وطهارةً وكفارةً، وقد أصاب بأمر من اللّه سبحانه؟

ومايصنع ـ ابن حجر ـ بالصحيح المتضافر مِنْ: «أنَّ سباب المسلم فسوق»[١]؟

وكيف يسوّغ له ايمانه أنْ يكون رسول اللّه (ص) سبّاباً أو لعّاناً أو مؤذياً لأحد أو جالداً لمسلم على غير حق؟.

وكلُّ ذلك مِنْ منافيات العصمة، واللّه سبحانه يقول: ﴿الّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

وجاء في «الصحيح»: أنَّه (ص) لم يكن سبّاباً ولا فحّاشاً ولا لعّاناً، وقد أبى رسول اللّه (ص) عن الدعاء على المشركين، وقال (ص): «إنّي لم أبعث لعّاناً، وإنّما بُعثت رحمةً»[٢].

فهو (ص) كان يأمل في أُولئك المشركين الهداية فلم يلعنهم ولا دعا عليهم، ولمَّا كان لم يرجُ في ـ الحكم وولده ـ أيّ خير، لعنهم لعناً يبقى عليهم خزي الأبد.

نعم، رواية «الصحيحين» المنافي لعصمة الرَّسول (ص) اختلقتها يد الهوى

---

(١) ـ أخرجه أحمد؛ والبخاري؛ والترمذي؛ والنسائي؛ وابن ماجة؛ وغيرهم ـ عن طريق ابن مسعود، وابن ماجة ـ من طريق جابر؛ وسعد، والطبراني ـ عن عبد اللّه بن المغفل؛ وعمرو بن النعمان، وصححه غير واحد مِنَ الحفاظ: كالهيثمي؛ والسيوطي؛ والمناوي.

(٢) ـ أخرجه البخاري في «الصحيح» ٩/ ٢٢، وصحيح مسلم ٢/ ٣٩٣.

على عهد ـ **معاوية** ـ تزلّفاً إليه، وطمعاً في رضيخته، وتحبباً إلى ـ **آل أبي العاص** ـ المقرَّبين عنده[١].

هبنا «**العياذ بالله**» ماشينا ـ **ابن حجر** ـ في أساطيره في نبيٍّ العصمة والقداسة، فماحيلة المغفَّل فيما نزل مِنَ الذكر الحكيم في ـ **الحكم وبنيه** ـ ؟ هل فيه ضيرٌ؟ أم يراه أيضاً رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً؟

وشتان بين رأي ابن حجر في ـ **الحكم** ـ وبين مايأتي مِنْ قول أبي بكر لعثمان فيه: عمّك إلى النّار، وقول عمر لعثمان: ويحك، ياعثمان! تتكلّم في لعين رسول الله وطريده، وعدو الله وعدو رسوله؟

قال الحلبي: كان يقال له: طريد رسول الله (ص) ولعينه، وقد كان (ص) طرده إلى ـ **الطائف** ـ ومكث بها مدَّة رسول الله (ص)، ومدَّة أبي بكر بعد أنْ سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى، فقال له عثمان: عمّي، فقال عمُّك إلى النّار، هيهات هيهات أنْ أُغيّر شيئاً فعله رسول الله (ص)، والله، لا رددته أبداً.

فلمَّا توفّي أبو بكر، وولّي عمر كلَّمه عثمان في ذلك، فقال له: ويحك، ياعثمان! تتكلَّم في لعين رسول الله (ص) وطريده، وعدوُّ الله وعدوُّ رسوله.

فلمَّا ولي عثمان ردَّه إلى المدينة، فاشتدَّ ذلك على المهاجرين والأنصار، فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة، فكان ذلك مِنْ أكبر الأسباب على القيام عليه[٢].

أقول: إنَّ اللعن: هو الطرد والإبعاد، وهو يستلزم تنحيه عن الخير، واتصافه بكل صفة ذميمة، لازكاته ورحمته، والَّذي دعا ـ **أبو هريرة** ـ إلى التمسُّك بهذه الرواية تزكيته لبعض الَّذين يقدّسونهم ـ **الأمويون** ـ ممَّن لعن أو سبّ أو جلد بأمر منه (ص).

---

(١) ـ ومَن أراد الوقوف على أبسط ممّا ذكرناه في المقام، فليراجع: كتاب «**أبو هريرة**»: ١١٨ ـ ١٢٩ ـ لسيّدنا الآية العظمى الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدّين العاملي (قده).

(٢) ـ لطائف المعارف: ٩٢ ـ ٩٣.

٢ـ الحسن البصري: وقد روي عن الحسن البصري[١] أنَّه ذكر عنده «الجمل» و «صفّين» فقال: تلك دماء طهَّر اللّه منها أسيافنا فلا نلطخ بها ألسنتنا، ثمَّ إنَّ تلك الأحوال قد غابت عنّا، وبعدت أخبارها على حقايقها، فلا يليق بنا أنْ نخوض بها.

ثمَّ ماالذي ألزمنا وأوجب علينا أنْ نلعن أحداً مِنَ المسلمين أو نبرأ منه؟ وأيّ ثواب في اللعنة والبراءة؟

إنَّ اللّه تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلَّف: لِمَ لم تلعن؟ بل يقول له: لِمَ لعنت؟ ولو أنَّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن ابليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، ولو جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر اللّه كان خيراً له.

ثمَّ كيف يجوز للعامة أنْ تدخل نفسها في أُمور الخاصة، وأُولئك قوم كانوا أُمراء هذه الأُمَّة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جداً عنهم؟ فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم؟

أليس بقبيح مِنَ الرعيَّة أن تخوض في دقائق أُمور الملك وأحواله وشؤونه التي ترى بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريه؟ وقد كان رسول اللّه (ص) صهراً لمعاوية[٢]، وأُخته ـ **أُمّ حبيبة** ـ تحته، فالأدب أنْ تحفظ أُمّ حبيبة وهي ـ **أُمّ المؤمنين** ـ في أخيها.

---

(١) ـ خرج مع ابن الأشعث، وتخلَّف عن الحسين (ع)، وخرج في جند الحجاج إلى خراسان، وقال في عثمان: قتله الكفار، وخذله المنافقون، فنسب جميع المهاجرين والأنصار إلى النفاق.

(٢) ـ حدَّث ابن بكار في «**الموفقيات**» قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن مغيرة: وفدت مع أبي إلى ـ معاوية ـ، فكان أبي يأتيه يتحدَّث عنده، ثمَّ انصرف إليَّ فيذكر ـ **معاوية** ـ، إذْ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتمّاً فانتظرته ساعةً وظننت أنَّه لشيء حدث فينا أو في عملنا.

فقلت له: مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ قال: يابُنيَّ! جئتُ مِن عند أخبث النّاس، قلت له: وماذاك؟ قال: قلت له ـ **لمعاوية** ـ وقد خلوت به: إنَّك قد بلغت منّا ياأمير...!!! فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنَّك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوانك مِنْ ـ **بني هاشم** ـ فوصلت أرحامهم، فواللّه، ماعندهم اليوم شيء تخافه.=

وكيف يجوز أنْ يلعن مَنْ جعل بينه وبين رسول اللّه (ص) مودّةً؟ أليس المفسرون كلّهم قالوا: هذه الآية نزلت في أبي سفيان وآله، وهو قوله تعالى: ﴿**عسى اللّه أن يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة**﴾(١)؟

وكان ذلك مصاهرة رسول اللّه (ص) أبا سفيان، وتزوجه ابنته، على أنَّ جميع ماينقله الشيعة مِنَ الإختلافات بينهم، والمشاجرة لم يثبت، ولم يكن القوم إلاّ كبني أُمّ واحدة، ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع. **(انتهى كلامه)**.

= فقال لي: هيهات هيهات، مَلَكَ - **أخو تيم** - فعدل، وفعل ما فعل، فواللّه، ما غدا أنْ هلك، فهلك ذكره، الاّ أنْ يقول قائل: أبو بكر، ثمَّ مَلَكَ - **أخو عَدِيّ** - فاجتهد، وشمر عشر سنين، فواللّه، ماغدا أنْ هلك، فهلك ذكره، الاّ أن يقول قائل: عمر، ثم مَلَكَ - **أخونا عثمان** - فملك رجلٌ لم يكن أحدٌ مثل نسبه، فعمل ماعمل، وعُمل به، فواللّه، ما غدا أنْ هلك، فهلك ذكره، وذكر مافُعل به.

وإنَّ - **أخا هاشم** - يصرخ به في كلّ يوم - **خمس مرّات** -:أشهدُ أنَّ محمَّداً رسول اللّه، فأي عمل يبقى مع هذا؟! لا أُمَّ لك، واللّه، إلاّ دفناً دفناً.

الغدير ١٠/ ٢٨٣، نقلاً عن **«مروج الذهب»** للمسعودي ٢/ ٣٤١.

(١) - أيّ منكر هذا؟ فكأنّه ليس مِنْ أئمّة الكفر الّذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿**فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون**﴾ التوبة/ ١٢.

تفسير الطبري ١٠/ ٢٦٢، تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٩٣، تفسير ابن جزي ٢/ ٧١، تفسير السيوطي، تفسير الخازن ٢/ ٢١٨، تفسير الآلوسي ١٠/ ٥٩.

وكأنّه غير مَنْ أُريد بقوله عزّوجلّ: ﴿ **إنّ الّذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل اللّه**﴾ الأنفال/٣٦.

أخرج نزوله فيه: ابن مر دويه من طريق ابن عبّاس؛ وعبد بن حميد؛ وابن جرير؛ وأبو الشيخ من طريق مجاهد، وهؤلاء وغيرهم من طريق سعيد بن جبير - وابن جرير؛ وابن المنذر؛ وابن أبي حاتم؛ وأبو الشيخ من طريق الحكم بن عتيبة.

تفسير الطبري ٩/ ١٥٩، تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣٩٣، كشاف الزمخشري ٢/ ١٣، تفسير الرازي ٣٧٩/٤، تفسير ابن جزي ٢/ ٦٥، تفسير ابن كثير ٤/ ٣٧، تفسير الخازن٢/ ١٩٢، تفسير الشوكاني ٢/ ٢٩٣، تفسير الآلوسي ٩/ ٢٠٤.

وكأنّه غير المعنيّ - **هو وأصحابه** - بقوله تعالى: ﴿**قل للّذين كفروا إنْ ينتهوا يُغفر لهم ماقد سلف وإنْ يعودوا فقد مضت سنّة الأوّلين**﴾ الأنفال / ٣٨.

تفسير النسفي هامش تفسير الخازن ٢/ ١٩٣، تفسير الآلوسي ٩/ ٢٠٦.

أقول: لولا أنَّ اللّه تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاة أوليائه، وضيَّق على المسلمين تركها إذا دلَّ العقل عليها، وأوضح الخبر عنها، بقوله سبحانه: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادّون مَنْ حادّ اللّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾ المجادلة/ ٢٢.

وبقوله تعالى: ﴿**ولو كانوا يؤمنون باللّه والنبيِّ وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء**﴾.

وبقوله تعالى: ﴿**لا تتولّوا قوماً غضب اللّه عليهم**﴾

لإجماع المسلمين على أنَّ اللّه تعالى فرض عداوة أعدائه وولاية أوليائه، وعلى أنَّ البغضَ في اللّه واجب والحبُّ في اللّه واجب، لما تعرضنا لمعاداة مِنْ أحد النّاس في الدِّين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلّفاً.

ولو ظننا اللّه عزَّوجلَّ يعذرنا إذا قلنا: ياربّ !غاب أمرهم عنّا، فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنّا معنى، لاعتمدنا على هذا العذر وواليناهم.

ولكنّا نخاف أنْ يقول سبحانه لنا: إنْ كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم: الإقرار بالنبيِّ (ص)، وموالاة مَنْ صدَّقه، ومعاداة مَنْ عصاه وجحده، واُمرتم بتدبر القرآن، وما جاء به الرَّسول (ص).

فهلاّ حذرتم مِنْ أن تكونوا مِنْ أهل هذه الآية، القائلين غداً: ﴿**ربّنا إنّا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل**﴾ الأحزاب / ٦٧.

وأمَّا لفظة ـ **اللعن** ـ فقد أمر اللّه تعالى بها وأوجبها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**أُولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون**﴾ البقرة / ١٥٩.

فهو اخبار معناه: الأمر، كقوله تعالى: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾.

وقدلعن اللّه تعالى الغاصبين بقوله: ﴿**لعن الّذين كفروا مِنْ بني إسرائيل على**

لسان داود﴾.

وقوله سبحانه: ﴿**إنَّ الَّذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدُّنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً**﴾ الأحزاب/٣٣.

وقوله تعالى: ﴿**ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾.

وقال اللّه لابليس: ﴿**وانَّ عليك لعنتي إلى يوم الدِّين**﴾.

وقال عزَّ من قائل: ﴿**إنَّ اللّه لعن الكافرين وأعدَّ لهم سعيراً**﴾.

فأمَّا قول مَنْ يقول: أيّ ثواب في اللعن، وإنَّ اللّه تعالى لا يقول للمكلف: لِمَ لَمْ تلعن؟ بل قد يقول له: لِمَ لعنت؟ وإنَّه لو جعل مكان لعن اللّه فلاناً، اللّهمَّ! اغفر لي لكان خيراً له، ولو أنَّ انساناً عاش عمره كلّه، ولم يلعن ـ **إبليس** ـ لم يؤاخذ بذلك، فكلام جاهل لا يدري مايقول.

اللعن طاعة ويستحقّ عليها الثواب إذا فعلت على وجهها، وهو أنْ يلعن مستحقَّ اللعنة للّه وفي اللّه، لا في المعصية والهوى. لأنَّ الشرع قد ورد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أنْ يقول الزوج في الخامسة: ﴿**إنَّ لعنة اللّه عليه إنْ كان من الكاذبين**﴾.

فلو لم يكن اللّه تعالى يُريد أنْ يتلفظ عباده بهذه اللفظة، وأنَّه قد تعبدهم بها، لما جعلها مِنْ معالم الشرع، ولما كررها في كثير من كتابه العزيز.

ولما قال في حقِّ القائل: ﴿**وغضب اللّه عليه ولعنه**﴾.

وليس المراد من قوله: ﴿**ولعنه**﴾ إلاّ الأمر لنا أنْ نلعنه، ولو لم يكن المراد ذلك لكان لنا أنْ نلعنه، لأنَّ اللّه تعالى قد لعنه، فيلعن اللّه تعالى انساناً، ولا يكون لنا أنْ نلعنه، هذا مالا يسوغ، كما لايجوز أنْ يمدح انساناً إلاّ ولنا أنْ نمدحه، ولا يذمّه إلاَّ ولنا أنْ نذمّه.

وقال: ﴿**هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند اللّه من لعنه**﴾.

وقال: ﴿**ربَّنا آتهم ضعفين مِنَ العذاب والعنهم لعناً كبيرا**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا**﴾.

وكيف يقول القائل: إنَّ اللّه تعالى لا يقول للمكلَّف: لِمَ لَمْ تلعن؟

ألا يعلم هذا القائل إنَّ اللّه تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه؟! فكما يسأل عن التولّي يسأل عن التبريء.

ألا ترى أنَّ اليهودي إذا أسلم يطالب بأنْ يقال له: تلفظ بكلمة الشهادتين، ثمَّ قل: تبرأت مِنْ كلِّ دين يخالف دين الإسلام، فلابُدَّ مِنَ البراءة لأنَّ بها يتم اللعن؟

ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تـودُّ عـدوّي ثـمَّ تزعـم أنـني صديقك إنَّ الرأيَ عنك لعازب[1]

---

(١) - وقد نبَّه النبيُّ (ص) على وجوب الولاء والبراء، بقوله في عليٍّ (ع) - بغدير خم -: «**اللّهمَّ! والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**».

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع): «**ماجعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه: يحبُّ بهذا قوماً، وبالآخر عدوَّهم**».

وقال له رجل: إنّي أتولاّك وأتولّى فلاناً وفلاناً، فقال (ع): «**أنت اليوم أعور، فانظر تعمي أو تبصر**».

فقال السيّد الحميريُّ (رحمه اللّه) شعراً:

أتانا رجل جلف وقد وافى على المنبر
فقال الرَّجل الداخل: قولاً بعضه منكر
لقد حبّب لي الكلّ في سرّي وما أظهر
فقال الطهر: أنت اليوم فيما قد بدا أعور
فامّا أنْ ترى تعمى وإمّا أنْ ترى تبصر
وما للمرء من قلبين ذا صافي وذا أكدر

وقال أبو البركات في أخيه:

رأيت أبي في النوم بعد وفاته عفا خالقي عنه وعن كلِّ مسلم
فقلت له: ماذا لقيت؟ فقال لي: نجوت بحبِّ الطالبيّن فاعلم
فليس سوى الأطهار آل محمد فسلّم إليهم فرط حبّك تسلم
فقلت له: واللّه، مافيَّ شعرة تخلص مِنْ حبِّ الوصيِّ المكرَّم
بلى، قد توالى ياأبي! غيرهم أخي وقدَّم جهلاً منه غير المقدَّم
فقال أبي: أنت الحلال بعينه وغيرك مِنْ غيري وَمِنْ غير آدم

فمودّة العدو خروج عن ولاية الوليّ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلا البراءة، لأنّه لا يجوز أنْ يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء اللّه تعالى وعصاته، بأنْ لا يؤذيهم ولا يبرأ منهم باجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة.

وأمّا قوله: لو جعل عوض ـ **اللعنة** ـ أستغفر اللّه لكان خيراً له، فانّه لو استغفر مِنْ غير أنْ يلعن، أو يعتقد وجوب اللعن، لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنّه يكون عاصياً للّه تعالى، مخالفاً أمره في امساكه عمّن أوجب اللّه تعالى عليه البراءة منه واظهار البراءة، والمصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر.

وأمّا مَنْ يعيش عمره ولا يلعن ابليس، فإنْ كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإنْ كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطيء، وعلى أنّ الفرق بينه وبين ترك لعنة رؤوس الضلالة في هذه الأُمّة: كالحكم بن العاص؛ وابنه مروان؛ وعمروبن العاص؛ وأبو سفيان؛ ومعاوية؛ ويزيد؛ والمغيرة بن شعبة؛ وأمثالهم، أنّ أحداً مِنَ المسلمين لا يورث عنده الأمساك عن لعنة ابليس شبهة في أمر ابليس، والأمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير مِنَ المسلمين في أمرهم، وتجنب ما يورث الشبهة في الدّين واجب.

فلهذا لم يكن الأمساك عن لعن ابليس، نظيراً للأمساك عن أمر هؤلاء.

ثمّ يقال للمخالفين: أرأيتم لو قال قائل: قد غاب عنّا أمر يزيد بن معاوية؛ والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أنْ نخوض في قصتهما، ولا أنْ نلعنهما

= وقال العونيُ:

فـإنْ قلت: أهواهم وأهوى عـدوَّهم	فـأنتَ المقـرُّ الجـاحـد المتـوقِّف
تعـيش كـمـا قـال الإله مـذبـذباً	تسـخـر تسـخـيـر الحـمـار وتعلف
يجـودك النّقـاد طرّاً وتـارة	تبـهـرج فـيـمـا بينهم وتزيّف
صـديق عـدوّ القـوم بعض عـداهم	فـإنْ لم يقـاتل فهـو بالقـوم مـرجف

ونعاديهما ونبرأ منهما؟ هل كان هذا إلاَّ كقولكم: قد غاب عنّا أمر معاوية؛ والمغيرة بن شعبة؛ وعمرو بن العاص؛ ومروان بن الحكم؛ وأضرابهم، فليس لخوضنا في قصتهم معنى.

وبعد: فكيف أدخلتم أيُّها العامة والحشوية وأهل الحديث! أنفسكم في أمر - **عثمان** - وخضتم فيه، وقد غاب عنكم وبرئتم مِنْ قتله ولعنتموهم؟

وكيف لم تحفظوا أبا بكر في - **محمَّد** - ابنه، فإنَّكم لعنتموه وفسقتموه؟ ولاحفظتم - **عايشة** - في أخيها - **محمَّد** - المذكور؟!.

ومنعتمونا أنْ نخوض وندخل أنفسنا في أمر عليٍّ؛ والحسن؛ والحسين (عليهم السَّلام)؛ ومعاوية الظالم له ولهما المتغلّب على حقّه وحقوقهما؟!.

وكيف صار لعن ظالم - **عثمان** - من السنَّة عندكم، ولعن ظالم: عليٍّ؛ والحسن؛ والحسين (عليهم السَّلام) تكلّف؟!

* * *

(١) - الرياض المستطابة في الصحبة والصحابة: ٢٨٨ - لمؤلف هذا الكتاب.

الفصل العاشر
﴿فضل زيارة الحسين (ع)﴾

أسند الشيخ عليّ بن محمد بن عليّ إلى ابن عبّاس (رض)، قول النبيّ (ص)له والحسين (ع) على عاتقه يقبّله:

«مَن زاره عارفاً بحقّه كَتَبَ اللّه له ثواب ألف حجّة وألف عمرة، وَمَنْ زاره كمن زارني، وَمَنْ زارني كمن زار اللّه في عرشه، وحقّ الزائر على المزور وهو اللّه تعالى أنْ لا يعذّبه في النّار، ألا إنَّ الإجابة تَحْتَ قبّته، والشفاء في تربته، والأئمّة مِنْ ذرّيته».

قُلْتُ: سمّ لي الأئمّة بعدك؟

فقال (ص): **«اثنا عشر: أوّلهم - عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي: الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه عليّ، فإذا انقضى فابنه محمّد، فإذا انقضى فابنه جعفر، فإذا انقضى فابنه موسى، فإذا انقضى فابنه عليّ، فإذا انقضى فابنه محمّد، فإذا انقضى فأبنه عليّ، فإذا انقضى فابنه الحسن، فإذا انقضى فابنه الحجّة.**

ياابن عبّاس ! إنّهم أمناء معصومون، مَن أتاني يوم القيامة عارفاً بحقّهم أخذتُ بيده وأدخلته الجنّة، وَمَنْ أنكر واحداً منهم فكأنّما أنكرني، وَمَن أنكرني فكأنّما أنكر اللّه»[1].

---

(١) - الجوهر الفريد في مناقب السبط الشهيد: ٢٦ - ٢٧، لمؤلف هذا الكتاب.

ويروى: عن الصحابي الجليل الضرير ـ **جابر بن عبد الله الأنصاري ـ أنَّه** قال لقومه عندما زار قبر الحسين (ع) يوم (٢٠) صفر ـ سنة (٦١) هجرية، مع جماعة مِنَ المسلمين من أهل المدينة، واجتمع بنفس السنة بالإمام السجاد (ع): ألمسوني القبر [١].

ويروى: عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق (ع): **«إذا أتيت ـ الحائر ـ فاعبر القنطرة، واغتسل في الفرات، وضع رجلك في الغاضرية»**[٢].

ويستدلُّ مِنْ ذلك: أنَّ الصّادق (ع) كان يحثُّ شيعته على الإكثار مِنْ زيارة الحائر، ويأمرهم باتّخاذ المقام بـ **«نينوى»** أو **«الغاضرية»**.

ويروي ـ **ابو حمزة الثمالي** ـ، عن الصّادق (ع) أنَّه قال: **«إذا أردتَ الوداع بعد فراغكَ مِنَ الزيارات، فأكثر منها ما استطعت، وليكن مقامك بـ «نينوى» أو «الغاضرية»، ومتى أردت الزيارة فاغتسل وزر. زورة الوداع»**[٣].

وفي **«المزار»** بسنده، عن ـ **صفوان بن مهران الجمَّال** ـ، عن الإمام الصّادق (ع) أنَّه قال: **«إذا أردت ـ قبر الحسين ـ في كربلاء، قف خارج القبّة، وارمِ بطرفكَ نحو القبر، ثُمَّ ادخل الرّوضة، وقم بحذائها مِنْ حيث يلي الرأس، ثُمَّ اخرج مِنَ الباب الّذي عند رجلي عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، ثُمَّ توجَّه إلى الشهداء، ثُمَّ امش حتّى تأتي مشهد ـ أبي الفضل العبَّاس ـ، فقف على باب ـ السقيفة ـ وسلِّم»**[٤].

يُستبان مِنَ الرواية ـ **آنفة الذكر** ـ وجود مسجد الحسين، وسقيفة تظللّها شجرة السدرة ـ **أيّام العهد الأُموي وأواخره** ـ، وفي أيَّام أبي العبَّاس السفاح خليفة ـ **بني العبَّاس** ـ الأوَّل، فسح المجال لزيارة ـ **قبر الحسين** ـ، وابتدأ عمران ـ **القبر** ـ في ذلك الحين.

---

(١) ـ تاريخ قمقام/ لفرهاد ميرزا: ٤٩٥ ـ **(فارسي)**.

(٢) ـ كامل الزيارة/ لجعفر بن قولويه: ٢٢١، وانظر: مزار البحار/ للعلاّمة المجلسي ١٠/١٤٥ (ط/ الكمباني).

(٣) ـ كامل الزيارة: ٢٥٣ و ٢٥٤.

(٤) ـ مزار بحار الأنوار: ١٧٩.

يروي محمَّد بن أبي طالب في كتابه «**تسلية المجالس وزينة المجالس**» ـ عند ذكره لمشهد الحسين (ع): أنَّه اتُّخِذَ على الرمس الأقدس لعهد الدولة المروانية مسجداً[١].

يقول الأُستاذ عبَّاس محمود العقاد في ـ **فضل أرض كربلاء المقدَّسة** ـ: إنَّها حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزورها غيرهم للنظر والمشاهدة، ولو أعطيت حقّها مِنَ التنزيه والتخليد الحقّ، لهاأنْ تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً مِنَ القداسة وحظّاً مِنَ الفضيلة، لأننا لانذكر بقعة مِنْ هذه الأرض يقترن اسمها مجملة مِنَ الفضائل والمناقب، أسمى وألزم لنوع الإنسان مِنْ تلك التي اقترنت باسم ـ **كربلاء** ـ بعد مصرع ـ **أبي الشهداء** ـ[٢].

إنَّ أوَّل السَّاجدين على تربة الحسين (ع) مِن أئمَّة المسلمين، هو ابنه زين العابدين (ع)، فإنَّه بعد أنْ فرغ مِنْ دفن أبيه، وأهل بيته، أخذ قبضة مِنَ التربة التي وضع عليها الجسد الطّاهر، وشدَّها في صرَّة، وعمل منها سجدة ومسبحة، وصار يسجد عليها للّه تعالى في صلواته، ويعالج بعض مرضى عائلته بها، واتبعه في ذلك أهل بيته (ع)، وبنو هاشم.

وقد نوَّه الإمام الصادق (ع) لشيعته عن فضل السجود على التربة الحسينية، ولعلَّ البعض يظن: أنَّ الاحاديث الواردة في فضل التربة الحسينية وقداستها، منحصرة ـ **بالشيعة** ـ وأحاديثهم عن أئمَّتهم (ع)، بل لها في أُمهات كُتب الحديث لدى علماء ـ **أهل السنَّة** ـ شهرة وافرة، وأخبار متضافرة متواترة، وتشهد بمجموعها: أنَّ لها في عصر رسول اللّه (ص) نبأً شائعاً، وذكراً واسعاً، قبل مقتل الحسين (ع)، بل لعلَّ بعضها قَبْلَ أنْ يدرج على الأرض، والنبيُّ (ص) يخبر بما سيجري على تلك الأرض الشريفة الزكيَّة مِنَ الدماء الطّاهرة الزكيّة، ومقتل

---

(١) ـ نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين/ للسيِّد حسن الصدر: ٢٨ (ط/ الهند) نقلاً عن «**تسلية المجالس**».
(٢) ـ أبو الشهداء/ للعقاد: ١٥٤.

الحسين بن عليٍّ (ع) وأنصاره [1].

وإذا عرفنا ما - **للحسين بن عليٍّ** (ع) - مِنَ الأهمية العظمى عند اللّه ورسوله (ص)، فالطّاهر لا يختار له اللّه إلاّ المرقد الطّاهر، وحسب - **الشيعة** - فخراً وطمأنينة بالسجود على التربة الطّاهرة لنيل الفضل العظيم مِنَ الباريءُ الكريم.

ولمّا كان السجود أعظمَ أركان الصلاة، كما وَرَدَ في الحديث: **«أقرب مايكون العبد إلى ربّه حال سجوده»** [2].

فَمِنَ المناسب أنْ يتذكر المصلّي بوضع جبهته على تلك التربة الزاكيّة أُولئك الّذين غدوا ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع إلى اللّه ويخضع، ويحتقر زخارف الدُّنيا الزائلة، ولعلَّ هذا هو المقصود من أنَّ السجود على - **التربة الحسينيّة** - يخرق الحجُب السبع، فيكون حينئذٍ سرُّ الصعود والعروج مِنَ التراب إلى ربِّ الأرباب، إلى غير ذلك من لطائف الحكم، ودقائق الأسرار.

نرى كثيراً من مثقفي اليوم قد أصغى لأقوال بعض مُدَّعي الفضيلة والدِّين، يزعمون أنَّ - **زيارة القبور** - بدعة ابتدعها - **الشيعة** -، وياحبذا لو قدَّموا دليلاً واحداً ولو عقلياً للبرهنة على ماادَّعوه، وكأنَّ كلمات اللسان، والتعرض للمعتقدات والأديان من أسهل ما كان لديهم، فلن يحيق المكر السييء إلاَّ بأهله.

لقد تغافل هؤلاء ماهو مألوف منذ القدم، لدى جميع الأُمم، واعتراف كلِّ ذي مروءة للمصلحين بالجميل لما بذلوه من خدمات سامية، فالوجدان يكشف للقارئ الكريم حماقة رأي المدَّعين، ولقد زرنا كثيراً من قبور أبطالنا الكادحين المجاهدين في سبيل اللّه والإسلام.

فكيف ساغ التحريم من جهة والإباحة من جهة أُخرى؟ فما تلك إلاّ

---

(١) - الخصائص الكبرى/ للسيوطي: باب إخبار النبيِّ (ص) بقتل الحسين (ع) (ط/حيدر آباد - ١٣٢٠هـ).

(٢) - نفس المصدر.

المغالطة المكشوفة.

إنَّ ـ **الشيعة** ـ تعتبر زيارة قبور الأنبياء والأولياء من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة، كما تعتبر تلك المواضع من خير البقع المقدَّسة لاستجابة الدعاء، والإنقطاع إلى ربِّ السَّماء، وماذلك إلاّ مِنْ بعض أقسام الوفاء، وحسن الأداء لحقوق المخلصين الصلحاء، وذلك عن طريق: مَنْ أحبَّ عملَ قوم حُشِرَ معهم، فَمَنْ زار الأولياء رغبة في التقرب إلى اللّه بهم، وتصديقاً لما رغبوا فيه، كانوا شفعاءه يوم القيامة.

إنَّ الواجب الإنساني نحو عباقرة الأُمَّه وجهابذتها يحتم ردَّ الجميل بالجميل، أمَّا مَنِ ادَّعى بأنَّ ـ **الشيعة** ـ ترتفع بأئمتَّها عن وظيفة المخلوق، فهذا كذب وبهتان، والشيعة لم تفعل كما فعلت الأُمم الأُخرى بعظمائها مِنْ قبل، فلا مجال إذن للإصغاء إلى الأساطير.

فنقول: إنَّ الغاية كلَّها من زيارة ـ **الشيعة** ـ لقبور ـ **الأئمَّة المعصومين** ـ، ماهي إلاّ إحياء لشعائر الدِّين، وتعظيماً لسيِّد المرسلين (ص) الذي قد أَمَرَ بمودَّة القربى، ولم يرد على نصحه أجراً سوى مودَّتهم.

فالشيعة تُعظِّم النبيَّ (ص) وأهل بيته أحياءً، وتُقدِّسهم أمواتاً، لأنَّهم ساروا على نهج واحد متمسكين بكتاب اللّه عزَّوجلَّ، وحاربوا الباطل،وبعثروا الجهل، وخدموا الإنسانية خدمة تكفل لها النجاح لو قدر لها أنْ تسير على نهجهم القويم، وسبيلهم الواضح، الَّذي لو أُتُّبعَ لتوفرَ للإنسانية الكرامة التامة، والحرية المطلقة التي أكدها الإسلام فقد اهتموا بإسعاد كلِّ مَنْ على وجه البسيطة، والتاريخ يشهد لهم بذلك حيث قد دوَّن لهم مِنَ المزايا الطيبَّة، مالم يحظ به غيرهم، كما حفظ آثارهم الحميدة، بالرغم مِنَ الرَّقابة الشديدة التي سلكها أعداؤهم، والمرتزقة مِنَ الرواة، وحفّاظ السنن والأحاديث.

إنَّ تخليد ذكرى ـ **جهابذة الإسلام** ـ ليس مِنْ واجب ـ **الشيعة** ـ الإنساني فحسب، بل ذلك واجب كلِّ إنسان يشعر بالإنسانية، وكلِّ مسلم قد آمن بتعاليم

الإسلام.

أمَّا مَنْ يدَّعي بأنَّ ـ **الشيعة** ـ تقدِّس الأحجار، وتُقبِّل الذَّهب الوهّاج عند ـ **الزيارة** ـ فهو بعيد كلَّ البعد عن الواقع الذي تعتقده ـ **الشيعة** ـ، ويُعَدُّ متخلّفاً عن فهم واجبه الإنساني وأدائه نحو عظماء أُمَّته، وجاحداً فضل مَنْ بهم ارتفعت راية الإسلام، كيف وفي مقدَّمتهم مَنْ فدى النبيَّ (ص) بنفسه، ونام على فراشه، وصعد على كتفه ليكسر الأصنام، ثُمَّ أبناؤه الَّذين قد غدوا ضحايا ذوداً عن بيضة الإسلام؟ فلو عرف الحقّ لعرف أهله، وإلاّ فكيف تخلَّد ذكرى عبدة الأصنام، ويجهل فضل سادات الأنام؟ أم كيف يرضى غيور بفعال ـ **يزيد** ـ شارب الخمور، الهاتك لحرمة الدِّين، والعابث بالمسلمين، القاتل للمصلِّين والمتهجدين بالأسحار، ويتحدَّى ـ **الحسين بن عليٍّ** (ع) ـ، ويشنع على الزوار؟

ولات حين مناص، لولا ثورة ـ **الحسين بن عليّ** (ع) ـ، وتضحياته لما بقي للدِّين الإسلامي الحنيف ذكر، ولأكلَ الدهر عليه وشرب.

ولو علم الناقد أنَّ زائر ـ **الحسين** (ع) ـ، عندما يحيي الحسين وأنصار الحسين بقلبه وروحه، أنَّه في الوقت نفسه يحيي كلَّ ثائر غيور يهوى القضاء على الظلم والطغيان، وعلى المستغلِّين للبلاد الإسلامية التي لاتعتبر ـ **فلسطين** ـ الحبيبة سوى جزءاً مِنَ الأجزاء المغصوبة، لعلَّ الناقد أنَّه في غفلته ساه، فينبغي له أنْ لا يضيّع مثله العليا، واحترام أبطال أُمَّته وجهابذتها، ولكن الأمر قد بلغ غايته، وغلبت الشقوة على هؤلاء الناقدين المشنعين.

إنَّ مثل ـ **أبي عبد الله الحسين** ـ وأنصاره البررة، الَّذين قد ضربوا للحقِّ أروع المثل، ورفعوا راية الإسلام إلى الأبد، يجب أنْ لا يُستهان بحقِّهم، لو أعطى الناقد مِنْ نفسه الإنصاف، والإعتراف بالجميل، ولكن الوجدان يشهد أنَّ معظم المسلمين عن تراثهم القيم في غفلة، بل في ملذاتهم هائمون، وبشتم بعضهم البعض مشغولون، ولست أستبعد أنَّ ـ **الحسين** (ع) ـ لو كان من أُمَّة غربية لقدَّسته أيَّما تقديس، ولانصاع المتحدِّي إلى تلبية رغبة الأجنبي، ولكان موضع افتخار

العالم اليوم، كما هوالحال في استمرارنا بقبول كلّ شيءٍ غريب.

إنَّ في ـ **زيارة القبور المقدّسة** ـ فوائد اجتماعية ودينية لاتُحصى، يقرُّها كلُّ مَن زار ـ **العتبات المقدّسة** ـ وانكشف إليه واقع ـ **الشيعة الإمامية** ـ من أبناء الفرق الإسلامية الأُخرى المتكاثر عددهم يوماً بعد يوم، ولا تقل نسبتهم عن عشرة في المائة، لإنكشاف عين الحقيقة، وما ذاك إلاّ من فضل الثقافة يومئذٍ، ووجود الوعي المبشر لجميع المسلمين بالخير.

إنَّ ـ **أوّل فائدة** ـ يحصلها الزائر الكريم هي ـ **العبرة** ـ بأنَّ كلَّ شيءٍ هالك إلاّ وجه اللّه الكريم، وأنَّ مرد الجميع إليه سبحانه وتعالى، وأنَّ مَنْ حذا حذو الصلحاء أمِنَ عقوبة الآخرة، وَمَنْ غفل وتمادى فاته الثواب الأوفى، فبمثل ذلك ترسخ فيه العقيدة الإسلامية الخالصة، لأنَّه بزيارة الأئمَّة المعصومين (ع) يستزيد معرفة لهم، وتقوى رابطة المحبَّة بينه وبينهم، ويعضد هذا القول ما جاء في القرآن الكريم: ﴿**ولا تحسبنَّ الّذين قُتِلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزَقُون**﴾آل عمران / ١٦٩.

فهذااعتقاد الكثير مِنَ العلماء المسلمين في النبيِّ (ص)، بل يعتقد معظم المسلمين: أنَّ مَنْ زار النبيَّ (ص) وسلَّمَ عليه من قريب، يردُّ (ص)السَّلام[1]، ولكن المحيّا لايسمع الرَّد الكريم، إذن زيارة النبيِّ (ص) وأولاده البررة المعصومين تجدّد في النفوس ذكر مآثر المعصوم وأخلاقه وجهاده في سبيل اللّه تعالى.

وثاني فائدة: ينالها الزائر، هي ـ **الفائدة الإجتماعية** ـ، فبإجتماع الزائرين عند ـ **قبّه المعصوم** ـ، في ـ **المواسم المشهورة** ـ يتم تعارف بعض أبناء الأمصار والأقطار البعيدة فتنطبع فيهم ـ **روح الولاء الدِّيني** ـ، والإيمان باللّه عزَّوجلَّ، وما أحلى

---

(١) ـ إنَّ الأحاديث الشريفة تُصرِّح: بأنَّ الملائكة تُبلِّغ خاتم الأنبياء (ص) سلامَ مَن يُسلِّم عليه، فقد جاء في «**الصحاح**»: إنَّ رَسُولَ اللّه قالَ: «**مامِنْ أحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلاَّ رَدَّ اللّهُ عَلَيَّ روُحي حتّى أردَّ عَلَيْهِ السَّلام**».

سنن أبي داود: ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١، كتاب «**الحج**» ـ باب زيارة القبور، وقال (ص): «**صَلّوُا عَلَيَّ فَإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغني حَيْثُ كُنْتُم**». التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول ٢/ ١٨٩، بقلم الشيخ منصور علي ناصف.

التآلف والتحاب في اللّه، وما ذلك التعارف إلاّ ببركة أُولئك الصلحاء مِنَ المعصومين والمؤمنين، وأيّ صداقة أقوى مِنَ التقارب العقائدي والتآخي في اللّه؟ وقد ورد في الحديث: **«أنَّ المتحـاب في اللّه يظلّه اللّه في ظلّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه»**، ولاريب أنَّ مثل هذا التعارف والتآلف يكون في غاية المتانة والأُلفة القوية.

وبزيارة تلك ـ **القبور المقدسة** ـ تزيد معارف الزائر في دينه، لما يُلَّقن من نصوص بليغه ـ **من كلمات أهل البيت (ع)** ـ : في التوحيد، والإعتراف بقدسية الإسلام والرّسالة المحمَّدية، وهذا ممَّا لا شكَّ فيه ذو تأثير ديني كبير، لاينالُه: رواد الملاهي، ودور السينما، والمشتتون في الشوارع والمقاهي، كما أنَّ هذه النصوص من أرقى الأدب الدّيني بعد **«القرآن الكريم»** و **«نهج البلاغة»**، ولها أثرها البالغ في النفوس المؤمنة.

إنَّ أدب ـ **الزيارة** ـ يرفع من معنوية ـ **الزائر** ـ، وينمي فيه روح العطف على الفقير، ويحمله على حُسن العشرة والسلوك الطيِّب، ويحبِّب له مخالطة النّاس، لما يحقّق في نفسه مِنْ تلك المعاني الدّينية السَّامية.

إن ـ **الزائر** ـ كلَّما دخل تحت ـ **قبّة المعصوم** ـ متطهّراً، مبتعداً عن الرذائل والأدناس، لابساً أحسن ماعنده من الملابس، متعطراً بماء الورد أو العطر الفاخر، زادت عزَّته في نفوس الآخرين، وشعر بأهمية المزور.

كما أنَّ من ـ **آداب الزيارة** ـ أنْ يمشي على سكينة ووقار، غاضاً بصره عن المحارم، معظّماً المكان المقدَّس، متوجّهاً إلى اللّه تعالى، منقطعاً إليه، معظّماً شعائر اللّه، مشعراً نفسه بعظمة اللّه تعالى، وأنَّه لاشيءَ أكبر مِنَ اللّه، وهو يقول مبتدءاً في زيارته: بالتكبير والحمد والثناء على اللطيف الخبير وبعد الإنتهاء من تلاوة تلك النصوص الدّينية، يكبرّ اللّه ـ **مئة مرّة** ـ ويسبّحه ويقدّسه، ثُمَّ يصلّي ـ **ركعتي الزيارة** ـ شكراً للّه، ويهدي ثواب الصَّلاة إلى ـ **المزور** ـ.

وفي ـ **الدعاء المأثور** ـ يفهم ـ **الزائر** ـ أنَّ صلاته ونسكه وجميع أعماله إنَّما هي للّه وحده لاشريكَ له، وأنَّه لا معبود سواه، وما ـ **ركعتا الزيارة** ـ إلاّ ترحماً

وهدية تُهدى إلى - **مقام المعصوم** - الّذي لا يليق بمقامه سوى ذلك، وليست العبادات والطّاعات إلاّ مِنْ أحبِّ الأشياء عند اللّه جلَّ وعلا.

وبهذا النوع مِنَ الأدب يتضح لِمَنْ يُريد فهم حقيقة - **زيارة** - تلك - **القبورالمقدّسة** -، وإذا اتضح ذلك فليست زيارة القبور إلاّ نبراساً لكلِّ مؤمن، وعبرة لكلِّ معتبر، أمَّا ادِّعاء المنتقد: بأنَّ - **زيارة القبور** - شرك باللّه، فادعاؤه يحتاج إلى الدليل، ولاريب أنَّ مثل هذا التشنيع ليس إلاّ وليد الشحناء والبغضاء التي لولاها ما وجد أيّ خلاف بين هذا وذاك.

تمتاز تربة هذه الأرض المقدّسة عن سائر بقاع العالم بقدسيتها الدينية السامية، فكم أثنى عليها الشعراء والكتاب، وأشادوا بها، ورفعوهاإلى المكانة اللائقة والدرجات الرفيعة التي تستحقها. فهي الأرض التي قَدِمَ إليها الحسين (عليه السلام) وقتل بها، فاختلطت التربة الطاهرة بدماء - **الحسين** - وأهل بيته من العلويين الأبرار، وقد نعتت الأرض: بأنّها قِبْلَةُ الإباء، ومكة: قِبْلَةُ الصَّلاة، ولذا فضّلها اللّه سبحانه وتعالى على كافة البقاع المعمورة. فأرض - **كربلاء** - هي بحق وحقيق جديرة بالثناء والإجلال.

والتربة الحسينية: هي خير شفاء للنَّاس، فيها: الفوائد الكثيرة، والمنافع العامة لكلِّ إنسان، قال الإمام الصادق (عليه السلام): **«في طين قبر - الحسين - شفاء مِنْ كُلِّ داء إذا أخذته فقل: باسم اللّه، اللّهُمَّ ! بحقِّ هذه التربة الطّاهرة، وبحقِّ البقعة الطيِّبة، وبحق الوصيِّ الّذي تواريه، وبحقِّ جدِّه وأبيه وأخيه، والملائكة الّذين يحفُّون به، والملائكة العكوف على قبره ليلاً ينتظرون نصره - صلّى اللّه عليهم أجمعين - اجعل لي فيه شفاء مِنْ كلِّ داء، وأماناً مِنْ كُلِّ خوف، وعزّاً مِنْ كُلِّ ذلّ، ووسع عليَّ في رزقي، أوصح به جسمي»**[1].

وقال الإمام الصّادق (ع) أيضاً: **«وإذا أكلته، فقل: اللّهُمَّ ! ربَّ التربة المباركة،**

---

(١) - مَنْ لا يحضره الفقيه / للشيخ الصدوق: ٣٠٤ (ط/ طهران)، وانظر: كافي الكليني.

وربّ الوصيّ الَّذي واريته ـ صلّ على محمَّد وآل محمَّد ـ واجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً مِنْ كُلّ داء».

وقال: **«حريم قبر الحسين ـ عليه السلام ـ خمسة فراسخ، من أربع جوانب القبر».**

وروى إسحاق بن عمَّار،عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: **«موضع ـ قبر الحسين ـ منذ يوم دفن، فيه روضة مِنْ رياض الجنَّة»**[1].

كثيرة هي المزايا الَّتي تتّصفُ بها هذه الأرض المقدسة والتربة الحسينية المشرَّفة، وكثيرة هي الفوائد الَّتي يجنى منها ولعلَّ رأي العلاَّمة الكبير ـ **الشيخ محمَّد حسين آل كاشف الغطاء** ـ خير مصدر لتفهم حقيقة هذه التربة، قال: وهذه التربة هي الَّتي يسميها ـ **أبو ريحان البيروني** ـ في كتابه الجليل **«الآثار الباقية»**: التربة المسعودة في كربلاء، نعم، وإنَّما يعرف طيب الشيء: بطيب آثاره، وكثرة منافعه، وغزارة فوائده، وتدلُّ على طيب الأرض وامتيازها على غيرها، طيب ثمارها، ورواءِ أشجارها، وقوَّه نيعها وريعها، وقد امتازت ـ **تربة كربلاء** ـ مِنْ حيث المادة والمنفعة، بكثرة الفواكه، وتنوعها، وجودتها، وغزارتها، حتّى أنَّها في الغالب هي الَّتي تموِّن أكثر حواضر ـ **العراق** ـ وبواديه، بكثير مِن الثمار اليانعه الَّتي تخصُّها، ولا تُوجَدْ في غيرها.

إذاً، فليس هو صميم الحقّ والحقّ الصميم أنْ تكون أطيب بقعة في الأرض مرقداً وضريحاً لأكرم شخصية في الدَّهر، نعم، لَمْ تزَل الدُّنيا تمخض لبلد أكرم فرد في الإنسانية، وأجمع ذات لأحسن مايمكن مِنْ مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية، وأسمى روح ملكوتية في أصقاع الملكوت، وجوامع الجبروت، فولدت نوراً واحداً شطرته نصفين: سيّد الأنبياء محمَّداً؛ وسيَّد الأوصياء عليّاً، ثُمَّ جمعتهما ثانياً، فكان ـ **الحسين** ـ مجمع النورين، وخلاصة الجوهرين، كما قال

---

(١) ـ مَنْ لا يحضره الفقيه: ٣٠٤.

(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): **«حسين منّي وأنا مِنْ حسين»**، ثُمَّ عصمت أنْ تلد لهم الأنداء أبد الآباد [١].

وقوله أيضاً: فإذا وقفت على بعض ما للأُرض والتربة الحسينية مِنَ المزايا والخواص، لَمْ يَبْقَ لَكَ عجب واستغراب، إذا قِيْلَ: أنَّ الشفاء قد يحصل مِن التراب، وأنَّ تربة الحسين (عليه السلام) هي تربة الشفاء، كما وَرَدَ في كثير مِنَ الأخبار والآثار الَّتي تكاد تكون متواترة، كتواتر الحوادث والوقائع الَّتي حصل الشفاء فيها لمن استشفى بها من الأمراض الّتي عجز الأطباء عن شفائها، أفلا يجوز أنْ يكون في تِلْكَ الطينة عناصر كيماوية تكون بلسماً شافياً من جملة من الاسقام قاتلة للميكروبات.

وقد اتَّفق ـ **علماء الإمامية** ـ،وتضافرت الأخبار: بحرمة أكل الطين إلاّ مِنْ تربة قبر الحسين (عليه السلام) بآداب خاصة، وبمقدار معين، وهو أنْ يكون أقل مِنْ حمصة، وأنْ يكون أخذها مِنَ القبر بكيفية خاصة وأدعية معينة [٢].

هذا أهم ماورد عن فوائد تربة الحسين (عليه السلام) في شفاء المرضى وهي أقوال أثبتتها الدلائل العديدة.

﴿زيارة الملوك والخلفاء والأمراء لكربلاء﴾

لمدينة ـ **كربلاء** ـ منزلة خاصة في قلوب المسلمين وغير المسلمين، فلا جرم وهي مدينة ـ **السبط الشهيد** ـ المضرَّجة بدمائه الزكيَّة، العبقة بأرواح شيعته القدسيَّة، الزاخرة بالمعالم الإسلامية، وهي لهذا منتجع الملوك، ومرتاد الخلفاء والأُمراء، يؤمونها زرافات ووحداناً، تيمناً بتربتها المقدَّسة وزلفى للّه تعالى في زيارة أضرحة الأئمة الأطهار، وكان لهم شرف الخدمة في تقدير موقف الحسين

---

(١) ـ الأرض والتربة الحسينية/ للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: ٢١.

(٢) ـ المصدر السابق: ٢٤.

(عليه السلام) وصحبه للدفاع عن العقيدة والإباء والإنسانية.

١ـ عزّ الدولة البويهي: إنَّ أوَّل مَنْ زارَ ـ **الحائر الشريف** ـ من السلاطين **«الديالمة»** هو عزّ الدولة البويهي، وذلك في سنة (٢٦٦ هـ) ثُمَّ زار الحائر ـ **عضد الدولة البويهي** ـ في سنة (٢٧١ هـ)، وأقام فيه مدّة، وَقِيْلَ عِنْدَ زيارته مانصهُ: كانت زيارة عضد الدولة ـ **للمشهدين الشريفين الطاهرين: الغروي والحائري** ـ في شهر جمادي الأُولى سنة (٢٧١ هـ)، وَوَرَدَ مشهد الحائر مولانا الحسين (صلوات اللّه عليه) لبضع بقين من جمادي الأُولى، فزاره (صلوات اللّه عليه) وتصدَّق وأعطى النَّاس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق درهماً، وكان عددهم ألفين ومائتين اسم، وَوَهَبَ العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم، وفرَّق على ـ **أهل المشهد** ـ من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، وَمِنَ الثياب خمسمائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم[1].

٢ـ الدَّاعي الكبير والدَّاعي الصغير: وزار الحائر الشريف كل من الأخوين الملقبين **«بجالبي الحجارة»** الدَّاعي الكبير حسن بن زيد العلوي ـ **ملك طبرستان وديلم** ـ فباشر هذا بتشييد الحضرة الحسينية، واتَّخذ حولها مسجد، وَلَمْ يكن الزَّمن كفيلاً بانجازه حيث توفي سنة (٢٧١ هـ)، وتولَّى بعد أخوه الملقب بالدَّاعي الصغير محمَّد بن زيد العلوي، الَّذي مَلَكَ ـ **طبرستان وديلم وخراسان** ـ فزار الحائر، وأَمَرَ بتشييد قبَّة قبر الحسين (ع) وبنى حوله مسجداً وسوَّر الحائر، واستغرق إنجاز هذا البناء عشر سنوات حيث تَمَّ عام (٢٨٣ هـ)[2].

٣ـ الزعيم القرمطي: ويذكر لنا المؤرخون: أنَّ الزعيم القرمطي ـ **أبا طاهر سلمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي** ـ كان كثيرَ التردد ـ **على كربلاء** ـ عند غزواته للكوفة سنة (٣١٣ هـ)، حيث توجَّه إلى الحائر الحسيني فزار ـ **قبر الحسين**

---

(١) ـ فرحة الغري/ للسيد ابن طاووس: ٥٩، وانظر تحفة العالم/ للسيد جعفرآل بحر العلوم١/٢٧٣.

(٢) ـ المنتظم/ لابن الجوزي ٢/ ٦٠.

(ع) ـ، وطاف حوله مع أتباعه، وأمِنَ أهلَ الحائر، ولَمْ يمسَّهم بأيِّ مكروه، بالرَّغم مِن أنَّ ـ أبا طاهر ـ كانَ كثيرَ العبثِ بالحجيج (١).

٤ـ السلطان أبو طاهر البويهي: وزار الحائر السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي سنة (٤٣١ هـ) ترافقه حاشية كبيرة مِن أهله، وأتباعه، ومواليه مِنَ الأتراك، وبضمنهم الوزير ـ **كمال الملك أبو المعالي عبد الرَّحيم** ـ، وكان في أكثر الطريق يمشي على قدميه طلباً لمزيد الأجر والثواب، وَمكَثَ في ـ **كربلاء** ـ مدَّةً مِنَ الزَّمن، أجْزلَ خلالها العطايا والنعم على سكان الحائر، ثُمَّ قَصَدَ زيارة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) في النجف (٢).

٥ـ السلطان أبو الفتح السلجوقي: وزار مِنَ **«السلاجقة»** السلطان أبو الفتح جلال الدولة ملك شاه بن أبي شجاع محمَّد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، حيث توجَّه قاصداً زيارة الحسين بن علي (عليهما السَّلام) في كربلاء سنة (٤٧٩هـ)، ومعه حاشية كبيرة كان من ضمنهم الوزير ـ **خواجة نظام الملك** ـ، وقد أجزل السلطان لدى زيارته أكثر من ثلاثمائة دينار على سكان الحائر، وأمر بعمارة سوره، ثُمَّ توجَّه إلى النجف، حيث زار مشهد الإمام علي (عليه السلام)(٣).

٦ـ الأمير دبيس بن صدقة: وفي سنة (٥١٣ هـ) زار ـ **كربلاء** ـ الأمير دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن عليّ بن مزيد أبو الأعز الأسدي، وكان شجاعاً أديباً شاعراً، ملك **«الحلة»** بعد والده، وحكمها زهاء (١٧) عاماً، وقتل سنة (٥٢٩هـ) بتحريض السلطان ـ **مسعود السلجوقي** ـ، ولمَّا قَصَدَ كربلاء دخل ـ **الحائر الحسيني** ـ باكياً حافياً متضرِّعاً إلى اللّه أنْ يَمُنَّ عليه بالتوفيق، وينصره على أعدائه، ولمَّا فرغ مِنْ مراسيم الزيارة، أمر بكسر المنبر الَّذي كان يخطب عليه

---

(١) ، (٢) ـ المصدر السابق ٨/١٠٥.

(٣) ـ المنتظم ٨/ ٧٤.

باسم ـ **الخليفة العباسي** ـ عند صلاة الجمعة، قائلاً: لا تقام في الحائر الحسيني صلاة الجمعة، ولا يخطب هنا لأحد، ثُمَّ قَصَدَ مرقد الامام عليّ (عليه السلام) في النجف، وعمل ماعمل في كربلاء[١].

٧ـ السلطان محمود غازان خان: وفي سنة (٦٩٦ هـ) قدم العراق من ـ **بلاد الجبل** ـ السلطان محمود غازان خان، ماراً بالحلة فالنجف، فتوجّه إلى ـ **كربلاء** ـ حيث قصد زيارة الحسين بن عليّ (عليه السلام)، وفي هذه المرحلة أمر بتوزيع آلاف مِنَ الخبز في اليوم للأشخاص المقيمين بجوار قبر الحسين (عليه السلام)، وكذلك قصد ـ **السلطان غازان خان** ـ العراق سنة (٦٩٨ هـ) وقدم إلى زيارة ـ **كربلاء والنجف** ـ وفي رحلته هذه كان قد عبر الفرات في (١٠/ جمادي الأُولى) متوجّها إلى الحلّة، ومكث بها ستّة أيام، وهناك أمر ـ **الخواجة** ـ شمس الدّين صواب الخادم السكورجي أنَّ يحفر نهراً مِن أعالي الحلَّة، يأخذ الماءَ مِنَ الفرات، ويدفعه إلى مرقد الحسين (عليه السلام)، ويروي سهل ـ **كربلاء** ـ اليابس القفر، وَوَهَبَ غلاة هذا النهر إلى العلويين والفقراء الَّذين يأتون إلى ـ **المرقد الحسيني** ـ وعددهم كان عديداً[٢].

ويؤكد براون Broun المستشرق الإنكليزي بقوله: وفي سنة (٧٠١ هـ) أو سنة (٧٠٣ هـ) توجّه السلطان ـ **غازان** ـ إلى الحلة وانحدر منها إلى كربلاء لزيارة ـ **المشهد الحسيني** ـ، وأهدى إلى المشهد هدايا سلطانية، وزيَّن الرَّوضة بالتحف النفيسة، وأمرَ للعلويين المقيمين فيها بأموال وفيرة[٣]، وقد ولد السلطان محمود فجر يوم الجمعة سنة (٦٧٠ هـ) وتوفي سنة (٧٠٣ هـ)[٤] .

٨ ـ السلطان أحمد بهادر خان: وفي دور الدولة ـ **الإيلخانية الجلائرية** ـ الَّتي

---

(١) ـ المنتظم ٨/ ٧٤.

(٢) ـ الحوادث الجامعة/ لابن الفوطي: ٤٩٧، وانظر: مجالس المؤمنين/ للقاضي نور اللّه التستري: ٣٨٠و ٣٩٠.

(٣) ـ تاريخ أدبي ايران/ للمستشرق براون٣/ ٥٣، وانظر: كلشن خلفا: ١٥٧.

(٤) ـ انظر: مجلة الأقلام/ الجزء ٩/ السنة ٤ (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) مقال ﴿كربلاء في العهد المغولي الإيلخاني﴾ للسيِّد عادل عبد الصالح الكليدار.

تأسست أمارتها في ـ **العراق** ـ على عهد ـ **الشيخ حسن الجلائري** ـ المتوفى سنة (٧٥٧هـ) وأعقبه في الحكم نجله ـ **السلطان أويس** ـ قام بتشييد بناية الرّوضة الحسينيةالمقدسة.

وقد زار الحائر نجله السلطان أحمد بهادر خان بن أويس الذي تم على يده بناء الروضة الحسينية الماثلة للعيان اليوم.

يروي لنا بعض المؤرّخين: أمّا ـ **السلطان أحمد** ـ **فإنّه** عندما أيقن بعدم مقدرته على صد هذا الفاتح العظيم، اضطر إلى ترك ـ **بغداد** ـ والانسحاب منها بجيشه الَّذي كان نحو ألفي مقاتل، فخرج من بغداد بعساكره ليلاً وحَمَلَ ماقَدِرَ عليه مِنَ الأموال والذّخائر، ونَزَلَ في ـ **سهل كربلاء** ـ فاستولى ـ **تيمور** ـ على بغداد في السنة نفسها (سنة ٧٩٥ هـ) وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً، ثُمَّ ارْسَلَ جيوشه في أثر السلطان أحمد، فدارت بين الفريقين معركه شديدة في ـ **سهل كربلاء** ـ انهزم في آخرها السلطان أحمد إلى «**مصر**» مستجيراً بسلطانها الملك الظاهر برقوق [١].

٩ـ السلطان اسماعيل الصفوي: وأوّل مَنْ زارالحائر من ـ **الصفويين** ـ السلطان إسماعيل الصفوي، وذلك بتاريخ (٢٥/ جمادي الآخرة/ سنة ٩١٤هـ)، ويروي ـ **المستر لونكريك** ـ في كتابه «**أربعة قرون من تاريخ العراق**» ـ بهذا الخصوص ما هذا نصّه: **فأسرع** ـ **الشّاه** ـ في القضاء على الحكومة ـ **الاق قويونليه** ـ التركمانية في العراق، **فخضعت** ـ **بغداد** ـ لحكمه في أواخر سنة (١٥٠٨م/٩١٤هـ) على يد القائد ـ **حسين بك لاله** ـ، وأنَّ دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد، جاء بالشّاه مسرعاً لزيارة العتبات المقدّسة، إذْ لَمْ تكد تستقر جنوده في بغداد حتّى قدم لزيارة الأضرحة المقدّسة في كربلاء والنجف [٢].

---

(١) ـ مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث/ علي ظريف الأعظمي: ١٥٦ و ١٥٧.

(٢) ـ أربعة قرون من تاريخ العراق/ للمستر لونكريك: ٢٠ ـ ترجمة الأستاذ جعفر خياط، وانظر: تاريخ العراق بين أحتلالين٣/ ٣١٦، والتاريخ الحديث/ لوزارة المعارف: ١٠ (ط/ بغداد ـ ١٩٤٦م).

١٠ـ السلطان سليمان القانوني: وفي سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م) تَمَّ فتح العراق على يد السلطان سليمان القانوني الَّذي احتل بغداد في (١٨/ جمادي الأُولى / سنة ٩٤١هـ) وزار مرقد الإمامين الهمامين الجوادين (ع) في ظاهر بغداد، ثُمَّ قصد زيارة المشهدين المعظَّمين أمير المؤمنين وأبي عبد اللّه الحسين (عليهما السَّلام) واستمد من أرواحهما[1]، وكانت زيارته لكربلاء في (٢٨/ جمادي الأُولى/ من السنة المذكورة)، وأَمَرَ بشقِّ نهرٍ كبيرٍ مِنَ الفرات، وأوصله إلى ـ **كربلاء** ـ، وجعلها كالفردوس الأمر الَّذي زادَ في محصولاتها وأثمار أشجارها، وأَنْعَمَ على الخدمة والسكان، كما وأَنْعَمَ على ساكني دار السلام..[2].

١١ـ الشّاه عبَّاس الصفوي: كما زار الحائر ـ **الشَّاه عباس الكبير** ـ حفيد الشَّاه إسماعيل الصفوي، وذلك في سنة (١٠٣٢هـ/١٦٢٣م)، ويؤيد ذلك صاحب كتاب **«عالم آراي عباسي»** كما في قوله: بعدما قضى الشَّاه عبَّاس زيارة الحسين (عليه السلام) توجَّه عن طريق الحلَّة إلى النجف للثم عتبة الحرم الحيدري[3].

١٢ـ الوالي قبلان مصطفى باشا: وفي بداية سنة(١٠٨٨هـ) توجَّه ـ **الوالي قبلان مصطفى باشا** ـ إلى زيارة العتبات المقدَّسة في ـ **كربلاء والنجف الأشرف** ـ وذلك في شهر شعبان، وأَنْعَمَ على الخدم، ثُمَّ عاد إلى بغداد، وعند عودته وَرَدَ أَمْرُ عَزْلِهِ[4].

١٣ـ السلطان حسن باشا: ثُمَّ زار الحائر ـ **السلطان حسن باشا** ـ سنة (١١١٧هـ/١٧٠٥م)، يروي لنا ابن السويدي في كتابه **«تاريخ بغداد»** عن وصف

(١) ـ تحفة العالم/ للسيد جعفر بحر العلوم ١/ ٢٦٥.

(٢) ـ كلشن خلفا: ٢٠٠ و ٢٠١، وانظر: تاريخ العراق بين احتلالين ٤/ ٢٩، وموسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ١/ ١١١.

(٣) ـ عالم آراي عباسي/ لاسكندر منشي ٣/ ٧٠٧، وانظر: أربعة قرون من تاريخ العراق/ لونكريك: ٦٢.

(٤) ـ كلشن خلفا: ٢٨٢، وانظر:تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ١١٣، وموسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ١/ ١١٩.

زيارة السلطان المذكور بقوله: وفي شوال من هذه السنّة، رفع اللواء بالمسير إلى ـ **كربلاء** ـ لزيارة سيّد الشهداء، وإمام الصلحاء، قرّة عين أهل السنّة، وسيّد شباب أهل الجنّة أبي عبد اللّه (رضي اللّه عنه)، وإلى زيارة الليث الجسور، والشجاع الغيور، قاطع الأنفاس من ضال كالخناس أبي الفضل العبّاس، فدخل كربلاء، وزار أصحاب الكساء، وأطلعت المباخر، وظهرت المفاخر، فأجزلَ على خدامها، وأجمل في فقرائها، ودعا بحصول المراد، وزوال الأنكاد، ودعا له بمايروم، وأنجح في سعيه بالقدوم، وبقي يوماً واحداً لضيق القصبة بأحزابه وأعوانه وأصحابه، ثُمَّ ارتحلَ قاصداً أرض الغري[1].

١٤ـ السلطان نادر شاه الأفشاري: وممَّن زار ـ **كربلاء** ـ أيضاً ـ **السلطان نادر شاه الأفشاري** ـ، فإنَّه توجَّه نحو العراق عن طريق خانقين إلى بغداد سنة (١١٥٦هـ) ومنها إلى الحلَّة ثُمَّ منها إلى النجف، دَخَلَها يوم الأحد في الحادي والعشرين من شوال، وارتحلَ عنها يوم الجمعة، ودخلَ كربلاء يوم السبت، وأقام فيها خمسة أيام، هو ووزراؤه وعساكره وأرباب دولته ومعه نديمه ميرزا زكي[2].

١٥ـ السلطان ناصر الدّين شاه القاجاري: وزار الحائر ـ **السلطان ناصر الدين شاه القاجاري** ـ حفيد ـ **فتح علي شاه** ـ، وذلك في سنة (١٢٨٧هـ) فَقيْلَ عن لسانه في تاريخ زيارته: تشرفنا بالزيارة، وقد دَوَّنَ ماأسعفته الذاكرة في رحلته المطبوعة بالفارسية باسم **«سفرنامه ناصري»**، ويقال: إنَّ ـ **معتمد الملك** ـ هو الَّذي كَتَبَ وَصَنَّفَ هذه الرحلة عن لسان السلطان المذكور.

جاء في **«المنتظم الناصري»** ـ وصف زيارته للحائر، قوله: في سنة (١٢٨٧هـ) في شهر رمضان في الثالث عشر منه، وَرَدَ ـ **السلطان ناصر الدّين شاه** ـ زائراً النجف، وخَرَجَ يوم العشرين منه عائداً إلى كربلاء، وأنْعَمَ على

---

(١) ـ تاريخ بغداد/ لابن السويدي: ٢٥.

(٢) ـ ماضي النجف وحاضرها/ للشيخ جعفر محبوبة ١/ ٢٢٢ و ٢٢٣.

المجاورين للرَّوضة المطهرَّة، وقدَّم لأعتاب تلك الحضرة المقدسة فص الماس مكتوباً عليه **«سورة الملك»** على يد متولِّي الحضرة الشريفة (انتهى)[1].

ومن جملة الإصلاحات التي أُنجزت في عهده توسيع صحن الحسين من جهة الغرب، وتشييد **الجامع الناصري** العظيم فوق الرأس، إضافةً إلى تذهيب القبَّة السامية، كما يُستَدَلُّ مِنْ كتيبة القسم الأسفل مِنَ القبَّة، وقد نُقِشَت بماء الذَّهب، ويؤيد ماذهبنا إليه صاحب كتاب **«تحفة العالم»** بقوله: في سنة (١٢٧٦هـ) جاء ـ **الشيخ عبد الحسين الطهراني** ـ إلى ـ **كربلاء** ـ بأمر السلطان ناصر الدِّين شاه القاجاري، وجدَّدَ تذهيب القبَّة الحسينيَّة، وبناء الصحن الشَّريف، وبناء الأيوانات بالكاشي الملوَّن، وتوسعة الصحن من جانب فوق الرأس المطهَّر، ولمَّا فرغ من ذلك مَرِضَ في ـ **الكاظمين** ـ، وتوفي سنة (١٢٨٦هـ)، ونقل إلى كربلاء[2].

ويروى: أنَّه لدى وصول السلطان ناصر الدِّين شاه لكربلاء، كان في استقباله داخل الحضرة الحسينية المرحوم السيِّد محمَّد عليّ بن السيِّد عبد الوهاب آل طعمة ـ **رئيس بلدية كربلاء آنذاك** ـ فاحتفى به، وأنشده هذين البيتين بالفارسية:

قبه سبط نبي در ارض نى[3] ... برتوش برقبها افكنده فى

كفته شهزاده اقليم رى ... چون بنات النعش بردور جدى

وعند ذاك منحه السلطان المذكور وساماً فضيَّاً مزيَّناً بشعار الحكومة الإيرانية[4].

١٦ـ حسن باشا والي بغداد: وممَّن زار الحائر ـ **الحاج حسن باشا والي بغداد** ـ، وكانت ولايته من عام (١٣٠٨هـ ـ ١٣١٤هـ)، إذْ جاء إلى ـ **كربلاء** ـ ثُمَّ تشرف بزيارة ـ **النجف** ـ وكان قد زارها مراراً عديدة.

---

(١) ـ المنتظم الناصري/ ناصر الدِّين شاه ٣/ ٣١٥.

(٢) ـ تحفة العالم / مير عبد اللطيف الشوشتري: ٣٠٨ طبع الهند.

(٣) ـ مختصر كلمة (نينوى) وهي من أسماء كربلاء.

(٤) ـ مذكرات السيِّد مجيد السيِّد سلمان الوهاب آل طعمة.

١٧- السيِّد محمَّد خان اللكناهوري: كما زار الحائر أيضاً - **السيِّد محمَّد خان اللكناهوري** - أحد سلاطين الهند وذلك في سنة (١٣١٠هـ).

١٨- مير فيض محمَّد خان تالبر: وزار الحائر في سنة (١٣٢٦هـ) مير فيض محمد خان تالبر - **أمير مقاطعة خير بور السند** - وهو شيخ كبير ومعه عدد من وزرائه وعساكره.

١٩- السلطان احمد شاه القاجاري: وفي (١٩/شهررمضان/سنة ١٣٣٨هـ) زار - **الحائر** - السلطان أحمد شاه بن السلطان محمد علي شاه القاجاري - **ملك إيران** - وزينت المدينة تزييناً رائعاً، وخَرَجَ الأشراف والأعيان لإستقباله.

٢٠- الملك فيصل الأوَّل: وزار - **كربلاء** - الملك فيصل الأول بن الشريف حسين - **ملك العراق** - وذلك في شوال / سنة (١٣٣٩هـ - ١٩٢١م) عند تولِّيه عرش العراق لأوَّل مرَّة، واستقبل بحفاوة بالغة من قبل أعيان البلد ووجهائه، وزينت الشوارع والطرق بالسجاجيد الثمينة.

٢١- رضا شاه بهلوي: وزار كربلاء سنة (١٣٤٢هـ) رضا شاه بهلوي - **رئيس وزراء إيران، وقائد الجيش الإيراني** - فاستقبل استقبالاً رائعاً، ولدى عودته إلى إيران تولَّى العرش.

٢٢- الأمير عبد اللّه بن الحسين: وزار الحائر الشريف الأمير عبد اللّه بن الحسين - **ملك المملكة الأردنية الهاشمية** - وذلك في يوم الأربعاء (١٩/ جمادي الأُولى/ سنة - ١٣٤٨ هـ).

٢٣- عباس حلمي ملك مصر: وزار الحائر أيضاً عباس حلمي - **ملك مصر السابق** - في (شهر رمضان / سنة - ١٣٥١هـ).

٢٤- ملك العراق غازي الأوَّل: وزارالحائر ملك العراق غازي الأوَّل، وذلك في يوم الاثنين (٢٤/ذي الحجَّة/ سنة - ١٣٥٢هـ) واستقبل بحفاوة وتكريم عظيمين.

٢٥ـ السيِّد علي رضا خان الرامبوري: وزار الحائر ـ **السيِّد عليّ رضا خان الرامبوري** ـ وذلك في يوم الأحد في الخامس والعشرين من رجب سنة (١٣٥٣هـ) عائداً من النجف.

٢٦ـ السيِّد طاهر سيف الدِّين: كما زار الحائر السيِّد طاهر سيف الدِّين ـ **زعيم الطائفة الإسماعيلية** ـ في الهند وأفريقيا، وذلك في سنة (١٣٥٨هـ).

٢٧ـ السلطان محمَّد ظاهر شاه: وزار الحائر أيضاً السلطان محمَّد ظاهر شاه ـ **ملك الأفغان** ـ في اليوم الخامس من جمادي الآخرة سنة (١٣٦٩هـ) حيث توجَّه إلى النجف.

٢٨ـ فيصل الثاني ملك العراق: وزار الحائر ـ **ملك العراق فيصل الثاني** ـ مع خاله ـ **عبد الإله** ـ في اليوم السَّابع عشر من شهر جمادي الآخرة سنة (١٣٦٩هـ)، كما زار ـ **الحائر** ـ زيارات متتالية أُخرى.

وبعد إعلان ثورة الرابع عشر من تموز سنة (١٩٥٨م/ ١٣٧٨هـ) زار ـ **كربلاء** ـ عدد كبير مِنْ رؤوساء وملوك الدول الإسلامية وما زالوا يزورون، وذلك لقدسيتها ومكانتها العلمية.

﴿كربلاء في التاريخ﴾

في الواقع أنَّ ـ **كربلاء** ـ اسم قديم في التاريخ، يرجع إلى عهد البابليين، وقد استطاع المؤرِّخون والباحثون التوصل إلى معرفة لفظة (كربلاء) من نحت الكلمة وتحليلها اللغوي، فقيل: إنَّها منحوتة مِنْ كلمة (كور بابل) العربية، وهي عبارة عن مجموعة قرى بابلية قديمة.

منها: (نينوى) ـ الَّتي كانت قرية عامرة في العصور الغابرة، تقع شمال شرقي كربلاء، وهي الآن سلسلة تلول أثرية ممتدَّة مِنْ جنوب ـ **سدَّة الهندية** ـ حتّى مصب ـ **نهر العلقمي** ـ في الأهوار، وتعرف: بتلول نينوى.

ومنها: (الغاضرية) ـ وهي الأراضي المنبسطة الَّتي كانت مزرعة ـ **لبني أسد**

ـ، وتقع اليوم في الشمال الشرقي من مقام أو شريعه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على العلقمي بأمتار، وتعرف: بأراضي الحسينية.

ثُمَّ (كربله) ـ **بتفخيم اللام** ـ، وتقع إلى شرقي كربلاء وجنوبها.

ثُمَّ (كربلاء أو عقر بابل) ـ وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية، وبأطلالها أثريات مهمة.

ثُمَّ (النواويس) ـ وكانت مقبرة عامة للنصارى قبل الفتح الإسلامي، وتقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى. أما الأطلال الكائنة في شمال غربي كربلاء تعرف بـ (كربلاء القديمة) يستخرج منها أحياناً بعض الحباب الخزفية، وكان ـ **البابليون** ـ يدفنون موتاهم فيها، وقد عبر عنهاالإمام الحسين (عليه السلام) في خطبة مشهورة له وذلك عندما عزم السير نحو الكوفة: **«وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا»**[١]. ثم (الحير) ومعناه اللغوي: الحمى.

ثُمَّ (الحائر)[٢] وهي الأراضي المنخفضة الَّتي تضم موضع قبر الحسين (عليه السلام)إلى رواق بقعته الشريفة، وقد حار الماء حولها على عهد ـ **المتوكل العباسي** ـ عام (٢٣٦هـ)، وكانت للحائر وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة، وربوات متصلة في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية منه، تشكل للناظرين نصف دائرة مدخلها الجهة الشرقية، حيث يتوجّه منها الزائر إلى مثوى سيّدنا العبَّاس بن عليٍّ (عليهما السَّلام)[٣].

وسميت كذلك بـ (الطف) لوقوعها على جانب نهر العلقمي، وفيها عدَّة عيون ماء جارية، منها: الصيد والقطقطانية والرهيمة وعين الجمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء الخندق الَّذي حفره ـ **شاه بور** ـ

---

(١) ـ اللهوف في قتلى الطفوف / للسيد ابن طاووس: ٢٦.

(٢) ـ دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية ـ انظر مادة (حائر Hair).

(٣) ـ نهضة الحسين / للسيّد محمّد عليّ هبة الدّين الحسيني: ٨٠.

كحاجز بينه وبين العرب [١].

ومنها: (شفية) ـ وهي بئر حفرتها ـ **بنو أسد** ـ بالقرب من كربلاء ، وأنشأت بجانبها قرية، وكان الحسين (عليه السلام) عندما حبسه ـ **الحر بن يزيد الرياحي** ـ، عن الطريق، وأُمَّ كربلاء، أراد أنْ ينزله في مكان لا ماء فيه، قال أصحابه: دعنا ننزل في هذه القرية يعنون (نينوى) أو هذه القرية يعنون (الغاضرية) أو هذه الأُخرى يعنون (شفية).

وأنَّ ـ **الضحاك بن عبد اللّه المشرفي** ـ عندما اشتدَّ الامر على الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، وبقي وحيداً استاذن الحسين(عليه السلام) بالإنصراف لوعدٍ كانَ بينهما (انه ينصره متى كان كثير الأنصار) فاستوى على ظهر فرسه فوجهها نحو العسكر، فأخرجوا له واخترق صفوفهم، ثُمَّ تبعه منهم خمسة عشر فارساً، حتى جاء (شفية) فالتجأ بها وَسَلِمَ مِنَ القتل [٢].

وتسمَّى بـ (العقر) ـ وكانت به منازل ـ **بخت نصر** ـ ويوم العقر، قتل به ـ **يزيد بن المهلّب** ـ سنة (١٠٢هـ) وكلّها قرى متقاربة، وقد روي أنَّ الحسين (عليه السلام) لَمَّا انتهى إلى كربلاء، وأحاطت به خيل عبيداللّه بن زياد قال: **«ماسم تلك القرية»**؟ وأشار إلى العقر، فقيل له: اسمها (العقر)، فقال: **«نعوذ باللّه من العقر، فما اسم هذه الأرض الّتي نحن فيها»**، قالوا: (كربلا)، فقال **«أرض كرب وبلاء»**، وأراد الخروج منها فمنع، حتّى كان ماكان [٣].

وقد سبق أنْ نزلها أبوه الإمام عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام) في سفره إلى حرب **«صفّين»** وشوهد فيها متأمِّلاً في ما بها من أطلال وآثار، فسئل عن السبب؟ فقال: **«إنَّ لهذه الارض شأناً عظيماً، فها هنا محط ركابهم، وها هنا مهراق**

---

(١) ـ معجم البلدان / لياقوت الحموي ـ مادة (الطف).

(٢) ـ كربلاء في التاريخ/ للسيِّد عبد الرزَّاق عبد الوهاب آل طعمة (مخطوط) ـ فصل أسماء كربلاء ـ: ٥ و ٦.

(٣) ـ معجم البلدان/ لياقوت الحموي ٦/ ١٩٥.

دمائهم»، فسئل في ذلك، فقال: «ثقل لآل محمّد ينزلون ههنا»[١]،إلى غير ذلك من الأسماء الّتي وردت في التاريخ، وليس باستطاعتنا استيفاء البحث عن قدمها[٢].

وذكر ياقوت في كتابه **«معجم البلدان»** بخصوص لفظة (كربلاء) وأوعزها إلى ثلاثة أوجه، فقال مانصه: كربلا ـ بالمد ـ وهو الموضع الّذي قُتِلَ فيها الحسين بن علي (عليه السّلام) في طرف البرية عند الكوفة[٣]. فأمّا اشتقاقه، فالكربلة: رخاوة في القدمين، يقال: جاء نمشي مكربلاً، فيجوز على هذا أنْ تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك، ويقال: كربلت الحنطة ـ إذا هززتها ونقيتها، وينشد في صفة الحنطة:

يحملن حمراء رسوباً للثقل قد غربلت وكربلت من القصل

فيجوز على هذا أنْ تكون هذه الأرض منقاة مِنَ الحصى والدغل، فسمّيت بذلك، والكربل: اسم نبت الحماض، وقال ـ **أبو وجزة السعدي** ـ يصف عهود الهودج:

وثامر كربلٍ وعميم دفلى عليها والندى سبط يمور

فيجوز أنْ يكون هذا الصنف مِنَ النبت يكثر نباته هناك فسمّي به، ونزل ـ **خالد** ـ كربلاء عند فتحه الحيرة سنة (١٢هـ) فشكى إليه ـ **عبد الله بن وثيمة البصري** ـ الذبان، فقال رجل من أشجع في ذلك:

لقد حُبست في كربلاء مطيتي وفي العين حتّى عاد غثّاً سمينها
إذا رحلت من منزل رجعت له لعمري، وايهاً انّي لأهينها
ويمنعها من ماء كلّ شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها[٤]

---

(١) ـ الأخبار الطوال / للدينوري: ٢٥٠.

(٢) ـ الطبري/ لابن جرير ١٠/ ١١٨، مروج الذهب/ للمسعودي ج٣، مزار البحار/ للمجلسي: ١٤٢، مجالي اللطف بأرض الطف/ للشيخ محمّد السماوي: ٣ و ٤.

(٣) ـ انظر: مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع/ لابن عبد الحق البغدادي ٣/ ١١٥٤.

(٤) ـ معجم البلدان/ لياقوت الحموي ٧/ ٢٢٩.

وقد وردت لفظة (كربلاء) في رسالة السيِّد حسن الصدر فقال: إنَّها مشتقة: من الكربة، بمعنى: الرخاوة، ولمَّا كانت أرضُ هذا الموضع رخوة، سمِّيت (كربلاء)، أوْ مِنَ النقاوة: من كربلت الحنطة - إذا هززتها ونقيتها، ولمَّا كانت هذه الأرض منقاة من الحصى والدَّغل سمِّيت (كربلاء)، أو أنَّ الكربل نبت الحماض كان كثير نبته في هذه الأرض، فسمِّيت به، والأظهر من هذه الوجوه الثاني والأوسط[1].

ويرى فريق آخر من المؤرِّخين: أنَّ لفظة (كربلاء) مركبة من كلمتين - **آشوريتين** - هما: (كرب) و (ايلا) ومعناهما: (حرم اللّه)، وذهب آخرون إلى أنَّ الكلمة - **فارسية** - المصدر، فهم يرون أنَّها مركبة من كلمتين - هما: (كار) و (بالا) ومعناهما العمل الأعلى، أي - العمل السَّماوي، أوْ بعبارةأُخرى محل العبادة والصَّلاة[2].

وَمِنَ الأسماء الَّتي أُطلقت على كربلاء اسم (النوائح) وربَّما اشتق من كلمة (النياح) لكثرة البكاء والعويل منذ نزول الحسين (عليه السلام) فيها، وذكر ياقوت الحموي في **«معجمه»** أبياتاً أنشدها الشاعر - **معن بن أوس المزني** - مِنْ قصيدة طويلة:

إذاهي حلّت كـــربلاء فلعلعـــا ... فجوز العذيب دونها والنوائحا
فـبـاتت نـواها من نواك فـطاوعت ... مع الشـانئين الشانئات الكواشحا
توهمـت ربعاً بـالمعـبر واضـحـاً ... أبت قـرّتاه اليـوم ألا تراوحـا[3]

ولا بُدَّ لنا ونحن في معرض حديثنا عن تاريخ - **كربلاء** - القديم، أنْ ننقل رأي الدكتور عبد الجواد الكليدار في هذا الصدد بشأن التعريف بأسماء كربلاء فقال: وقد نعتت كربلاء منذ الصدر الأول في كل من التاريخ والحديث باسم:

(١) - نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين/ للسيِّد حسن الصدر: ١٧ (ط/ الهند).

(٢) - موجز تاريخ البلدان العراقية/ للسيد عبد الرزّاق الحسني: ٦١ و ٦٢، وانظر كتابه «العراق قديما وحديثاً»: ١٢٤.

(٣) - معجم البلدان/ لياقوت الحموي - مادة (كربلاء)، وانظر: الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني ١٢/ ٦٣.

كربلاء؛ والغاضرية؛ ونينوى؛ وعمورا؛ وشاطئ الفرات؛ ورد منها في الرواية والتاريخ باسم: مارية؛ والنواويس؛ والطّف؛ وطف الفرات؛ ومشهد الحسين؛ والحائر؛ والحير إلى غير ذلك مِنَ الأسماء المختلفة الكثيرة، إلاّ أنّ أهم هذه الأسماء في الدِّين هو (الحائر) لماأحيط بهذا الإسم مِنَ الحرمة والتقديس أو أُنيط بهِ مِن أعمال وأحكام في الرواية والفقه إلى يومنا هذا[١].

وذكر صاحب **«دبستان المذاهب»**: إنّ كربلاء كانت في الزمن السالف تحوي بيوت نيران ومعابد للمجوس ويطلق عليها بلغتهم: (مه بارسور علم) ـ أي المكان المقدّس[٢].

وتحدّثنا المصادر: أنّ هناك أسماء قرى أُخرى كانت تحيط بكربلاء القديمة عند ورود الحسين (عليه السلام) لها سنة (٦١ هـ) منها: عمورا؛ ومارية؛ وصفورا؛ وشفية، وقد أُطلقت عليها بعد مقتل الحسين (ع) تسميات أُخرى منها: مشهد الحسين؛ أوْ مدينة الحسين؛ والبقعة المباركة؛ وموضع الإبتلاء؛ ومحل الوفاء[٣].

وقد سبق أنْ أوضحنا: أنّ كربلاء هي أُم لقرى عديدة تقع بين بادية الشّام وشاطئ الفرات، ويحدّثنا التاريخ: أنّها كانت مِن أُمهات مدن بين النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس ـ **الفرات القديم** ـ وعلى أرضها معبد للعبادة والصّلاة، كما يُستدلّ مِنَ الأسماء الّتي عُرِفَت بها قديماً، وقد كثرت حولها المقابر كما عثر على جثث الموتى داخل أواني خزفية، يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي.

أمّا الأقوام الّتي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة، لخصوبة تربتها وغزارة مائها، والسبب في ذلك: هو كثرة العيون الّتي كانت منتشرة في ربوعها، وقد أخذت ـ **كربلاء** ـ تزدهر شيئاً فشيئاً سيما على عهد ـ **الكلدانيين؛ والتنوخيين؛**

---

(١) ـ تاريخ كربلاء/ للدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة: ٢٣ (ط/ ٢).

(٢) ـ دبستان المذاهب/ مجهول المؤلف (ط/ بمبي ـ ١٢٦٢هـ)

(٣) ـ مدينة الحسين/ محمّد حسن الكليدار آل طعمة ١/ ١٤ (ط/ ١).

واللخميين؛ والمناذرة ـ يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم، وعين التمر[١] البلدة العامرة ومن حولها قراها العديدة الَّتي مِنْ ضمنها (شفاثا).

من كل ماتقدم تتجسد لناالمكانة الرفيعة التي منيت بها هذه البقعة المقدّسة والمنزلة السامية التي حظيت بها بين بلدان العالم.

﴿حادثة الطّف الثانية﴾

وهي حادثة **«الوّهابيّن»**، لأنَّها مِن أهم الحوادث الَّتي أثارت الإستنكار البغيض في نفس كلٍّ إنسان، وتركت في العالم الإسلامي الألم الممض، وكانت موضع دراسة الكثير من المؤرّخين.

جاء في كتاب **«الدر المنثور»** ـ المخطوط ـ، ماهذا نصُّه: إنَّ في سنة (١٢١٦هـ) كان فيها مجيء ـ **سعود الوّهابي** ـ إلى ـ **العراق** ـ وأخذ بلد الحسين (عليه السلام) وكان دخوله إلى ـ **كربلاء** ـ ليلة (١٨) ذي الحجة ـ ليلة الغدير، وأباد أهلها قتلاً وسبياً، وكانَ عددمَنْ قُتِلَ مِن أهل كربلاء (٤٥٠٠) رجل، وانتهبت جميع مافيها، وكسر شباك قبر الحسين (عليه السلام) وكذا قبور

---

(١) ـ تقع غربي كربلاء وتبعد عنها (٧٤) كيلو متراً في طريق ترابي وعر، ذكرها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٣/ ٧٥٩ فقال: عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع، يقال له: شفاثا، منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية وهي قديمة، كما ورد ذكرها في «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» ٢/ ٩٧٧، وهذا نصه: عين التمر بلدة في طرف البادية على غربي الفرات وحولها قريات، منها: (شفاثا) وتعرف ببلدةالعين أكثر نخلها القسب، ويحمل منها إلى سائر الأماكن

و«شفاثا» مجموعة قرى نمت على حساب بلدة «عين التمر» الَّتي هجرها سكانها بعد جفاف ينابيعها، وهي ناحية من نواحي كربلاء واقعة في الجهة الغربية تسقيها الأنهار المنسابة من ينابيعها المعدنية المتفجرة، وقد بلغ عدد سكانها حوالي (١٠) آلاف نسمة، هاجروا إليها من المناطق البعيدة والمجاورة، وعدد القرى (القصور) سبعة عشر قصراً، سميت أغلبها بأسماء العشائر والرؤوساء مِنَ الَّذين سكنوها.

أما اليوم فقد أصبحت «عين التمر» قضاءاً تابعاً لمحافظة كربلاء وتبعد عنها مسافة (٧٠) كيلو متراً، وطريقها معبد بالأسفلت، وفيها دار للاستراحة، ولأهالي عين التمر ارتباطات وثيقة بأهالي كربلاء، لاسيما وأنَّ عدداً كبيراً من مالكي البساتين هم من أهالي كربلاء.

الشهداء، ولَمْ يكن استيلاؤه على جميع مافيها بل كان استيلاؤه على ماكانَ دور قبر الحسين (عليه السلام) والنهب والقتل كان في تلك الأمكنة، ولَمْ يبلغ جيشه إلى ناحية قبر العباس (عليه السلام) وارتحل منها، وكان أكثر أهلها في النجف.

ونقل عن السيد جواد العاملي في كتابه **«مفتاح الكرامة»: في سنة** (١٢٢٣هـ) جاء ـ **الخارجي سعود** ـ **في** جمادي الآخرة ـ، **فأتانا** ليلاً فرآنا على حذر قد أحطنا بالسور، ثُمَّ قضى إلى مشهد الحسين (عليه السلام) على حين غفلة نهاراً، فحاصرهم حصاراً شديداً فثبتوا له خلف السور وقتل منهم وقتلوا منه ورجع خائباً[1].

وقد نظر ـ **المستر لونكريك** ـ إلى هذه الحادثة الخطيرة، فاستفزت عاطفته بتجربة حادة فقال:

إذ انتشر خبر اقتراب **«الوّهابيّين»** من **«كربلاء»** في عشية اليوم الثاني من نيسان، عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بالزيارة، فسارع من بقي في المدينة لإغلاق الأبواب، غير أنَّ **«الوّهابيّين»** وقد قدروا بستمائة هجان وأربعمائة فارس، نزلوا فنصبوا خيامهم، وقسموا قوتهم إلى ثلاثة أقسام، ومن ظل أحد الخانات هاجموا أقرب باب من أبواب البلد، فتمكنوا من فتحه عسفاً، ودخلوا البلدة فدهش السكان وأصبحوا يفرُّون على غير هدى، بل كيفما شاء خوفهم. **أما «الوّهابيون»** الخشن فقد شقُّوا طريقهم إلى الأضرحة المقدَّسة، وأخذوا يخربونها فاقتلعت القضب المعدنية والسياج، ثُمَّ المرايا الجسيمة، ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات وأُمراء وملوك الفرس، وكذلك سلبت زخارف الجدران، وقلع ذهب السقوف، وأخذت الشمعدانات، والسجاد الفاخر، والمعلَّقات الثمينة، والأبواب المرصعة، وقتل زيادة على هذه الأفاعيل

---

(١) ـ الدر المنثور/ للسيِّد حسون البراقي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ (مخطوط) نسخته في مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف.

قرابة خمسين شخصاً بالقرب من الضريح، وخمسمائة أيضاً خارج الضريح من الصحن.

أمَّا البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً وقتلوا من دون رحمة جميع مَنْ صادفوه، كما سرقوا كلَّ دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم الكلّ مِنْ وحشيتهم ولا من أسرهم، ولقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة، وقد الآخرون خمسة أضعاف ذلك(١).

وذكر ـ **ابن بشر الحنبلي** ـ تفاصيل هذا الحادث المؤلم فقال: إنَّ ـ **سعود** ـ قصد أرض ـ **كربلاء** ـ، ونازل اهل بلد ـ **الحسين** ـ في ذي القعدة (١٢١٦هـ) فحشد عليها قومه: تسوَّروا جدرانها، ودخلوها عنوةً، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدَّموا القبَّة الموضوعة، بزعم من اعتقد فيها على ـ **قبر الحسين** ـ، وأخذوا مافي القبَّة وما حولها، وأخذوا النصيبة الَّتي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت، وأخذوا جميع ماوجدوا في البلد: من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذَّهب والفضة والمصاحف الثمينة، وغير ذلك ممَّا يعجز عنه الحصر.

ولَمْ يلبثوا فيها إلاّ ضحوة، وخرجوامنها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقتل من أهلها نحو ألفي رجل،ثُمَّ إنَّ ـ **سعود** ـ ارتحل منها على الماء المعروف **«بالأبيض»** فجمع الغنائم، وَعَزَلَ أخماسها، وقسم باقيها بين جيشه غنيمة، للراجل سهم وللفارس سهمان، ثُمَّ ارتحلَ قافلاً إلى وطنه...الخ(٢).

وذكر في **«كتابه»** آنف الذكر مانصه: في سنة (١٢١٨هـ) قتل ـ **عبد العزيز بن محمد السعود** ـ في مسجد الطريق (المعروف في الدرعية) وهو ساجد في أثناء

---

(١) ـ أربعة قرون من تاريخ العراق / المسترلونكريك ـ ترجمة جعفر الخياط: ٢٦٠.

(٢) ـ عنوان المجد في أحوال نجد/ لعثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي ١/ ١٢٢.

صلاة العصر، مضى عليه رجل، قيل: إنَّه كردي من أهل العمادية (قرب الموصل) اسمه (عثمان) على هيئة درويش، وقيل: إنَّه رافضي خبيث من أهل بلد الحسين (كربلاء) خرج من وطنه لهذا القصد والله العالم(١).

غير أنَّ تلك الحادثة ألمت بحياة - **الشيخ سليمان باشا الكبير** - والي بغداد - **آنذاك** - ورجع وحوش نجد إلى مواطنهم مثقلين بالأموال النفيسة التي لاتُثَمَّن، ويجمل بنا ونحن نستعرض في الحديث عن هذه الغارة الشنعاء، أنْ ننقل رأياً آخرا يعكس أعمال **«الوّهابيّين»** البربرية، فيقول الحلواني: وفيها غزا - **سعود بن عبد العزيز الوّهابي** - العراق وحاصر - **كربلاء** - وأخذها بالسيف عنوة، وغنم جميع ماكان في - **مشهد الحسين** - من الذهب والجواهر الَّتي أهدتها - **الملوك والشيعة** - إلى ذلك المقام المقدَّس، وَقَتَلَ أهلها قتلاً ذريعاً، واستباحها ونهبَ مِنَ المال والذَّهب والفضَّة مالا يتصوره العقل، وبه تقوَّى واستعد لملك - **الحرمين** - ثُمَّ رجع إلى عارضه متبجحاً بما صدر من عسكره ويقول:لَوْ لَمْ نكن على الحقّ لما انتصرنا، وما علم أنَّ ذلك استدراج، وأنَّه على الباغي تدور الدوائر، وانه من قال: (لا إله إلاَّ الله) فقد حقن دمه وماله، ولكن الهوى إذا استولى أعمى البصائر، وبأموال - **كربلاء** - استفحل أمر - **ابن سعود** - وطمع في ملك - **الحرمين** - وشرع في محاصرة - **المدينة المنورة** - فصار في أمره ما سيأتيك بيانه (٢).

وَعَقَّبَ على ذلك أيضاً بقوله: فأمر الوزير ماصنع في كربلاءأمر - **الكتخدا عليّ بك** - أن يخرج بعسكره ويتبعه إلى مقر ملكه العارضي، فما وصل الهندية حتّى نجا - **سعود** - على المهرية القود، والتحق بالقفار والصحاري، فجبن - **الكتخدا** - ولَمْ يمكنه أنْ يلحقه (٣).

وكانت هذه الفاجعة العظيمة موضع اهتمام كثير من الباحثين والمؤرّخين،

---

(١) - المصدر السابق ١/ ٧٦.

(٢) - خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق / للحلواني: ٧٤.

(٣) - المصدر نفسه: ٧٦.

قال السيِّد عبد الحسين الكليدار: ولَمْ تزل ـ **كربلاء** ـ بين صعود وهبوط ورقي وانحطاط، تارة تنحط فتخضع لدول الطوائف، وطوراً تعمر متقدِّمه بعض التقدُّم، إلى أنْ دخلت في حوزة الدولة العثمانيةسنة (٩١٤هـ) وأخذت تتنفس الصعداء ممَّا أصابهامن نكبات الزمان، وحوادث الدهر الَّتي كادت تقضي عليها، وبقيت وهي مطمئنة البال مدَّة طويلة تزيد على ثلاثة قرون، ولَمْ تَر في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتّى إذا جاءت سنة (١٢١٦هـ)، جهز الأمير ـ **سعود الوهّابي** ـ جيشاً عرمرماً مؤلَّفاً من عشرين ألف مقاتل، وهجم بهم على مدينة ـ **كربلاء** ـ، وكانت على غاية مِنَ الشهرة والفخامة، ينتابها زوار ـ **الفرس والترك والعرب** ـ، فدخل سعود المدينةبعد أنْ ضيَّق عليها، وقاتل حاميتها وسكانها قتالاً شديداً، وكان سور المدينة مركباً من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط مِنْ طين، وقد ارتكبت الجيوش فيها من الفضائع مالا يوصف، حتّى قيل: أنَّه قُتِلَ في ليلة واحدة (٢٠) ألف نسمة، وبعد أنْ أتَمَّ الأمير سعود مهمته الحربية، التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس، فأخذَ كلَّ ما وجَدَ فيها، وقيل: أنَّه فَتَحَ كنزاً كان فيه جمة جمعت من الزوار، وكان من جملة ماأخذه: لؤلؤة كبيرة، وعشرين سيفاً محلاَّة جميعها بالذَّهب مرصعة بالأحجار الكريمة، وأوان ذهبيَّة وفضيَّة وفيروز وألماس، وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر، وقيل: مِنْ جملة مانهبه ـ **سعود** ـ أثاث الرَّوضة وفرشها منها (٤٠٠٠) شال كشميري و (٢٠٠٠) سيف من الفضَّة، وكثير من البنادق.

وقد صارت ـ **كربلاء** ـ بعد هذه الوقعة في حال يرثى لها، وقد عاد إليها بعد هذه الحادثة مَنْ نجى بنفسه فأصلح بعض خرابها وأعاد إليها العمران رويداً رويداً، وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ـ **ملوك الهند** ـ فأشفق على حالتها، وبنى فيها أسواقاً حسنة وبيوتاً قوراء، أسكنها بعض من نكبوا، وبنى للبلدة سوراً حصيناً لصد هجمات الأعداء، واقامَ حولها الأبراج والمعاقل، ونصب له آلات الدفاع على الطرز القديم، وصارت على مَنْ يهاجمها أمنع من عقاب الجو، فأمنت

على نفسها، وعاد إليها بعض الرقي والتقدم[١].

ومن طريف القول: أنَّ ـ **أبا طالب خــان** ـ يذكر في رحلته إلى العراق، ومروره بكربلاء، أنّه لقي عمّته المسمّاة **«كربلاي بيكم»** وعدّة نساء مِنْ توابعها، وقد جئن يقظين أيامهنّ الباقية مِن اعتزالهن العالم في الأرض المقدّسة، ويقول: إنَّ ـ **الوّهابيِّين** ـ كانوا قد سلبوا منهنّ مايملكن، وقد أعنتهن بجميع ما أستطيعه إذْذاكَ مِنَ العون المالي.. الخ[٢].

وقد سجل الشعراء هذه الحادثة تعبيراً عن سخطهم وحقدهم على **«الوّهابيِّين»** في هذه الحادثة الَّتي عرفت ـ **بحادثة الطّف الثانية** ـ، فكان أشهر هؤلاء الشعراء الذين ألهبهم الحماس، وأفرغوا جام غضبهم هو الشاعر ـ **الشيخ هاشم الكعبي الحائري** ـ المتوفّى سنة (١٢٣١هـ)، فله في تلك الحادثة قصائد مطوّلة نشرت في ديوانه، نزفها إلى مسامعكَ:

أنت الملوم فــمـن يكون الألومــا	**فلك الظما هيهات معسول اللمى**
مــاطال لَيْلُكَ بعــد ليلي حيــرة	**إلاّ وكُنْتَ بهـا كـمـثلي مـغـرمـا**
لكَ في الظعــائن سلوة لو أمــهلوا	**أنّى وقــد ســاق الركــاب وهوّمـا**
أنّي وقد ساق الركـاب وأعجل الحا	**دي والمجــد بـالفــريق وأتهـمـا**
أفــأنت طالـب سلوة من بعــدهم	**وتكون أنْتَ كـمـا زَعمتَ متـيّما؟**
ياسـعد! قف بي في المنازل ساعـةً	**نبكي فـربّة عـبـرة تشـفي ظمـا**
نبكي نفـوس تقى تراق على الظبى	**ظلمـاً وأجسـاداً تغـسلهـا الدمـا**

(١) ـ تاريخ كربلاء المعلى/ للسيِّد عبد الحسين الكليدار آل طعمة: ٢٠.

(٢) ـ رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا: ٣٨٢/ ترجمها عن «الفرنسية» إلى «العربية» الدكتور مصطفى جواد (ط/ بغداد).

نبكي لصرعى في التراب تخالها ... في اللّيل مِنْ فوق البسيطة أنجما
نبكي حرائر هتكت أستارها ... بعد الحجاب فأصبحت مثل الأما
نبكي على النفر الّذين تتابعوا ... نحو المنون معظماً فمعظما
نبكي البدورالكاسفات بنورها ... ليل الضلال إذا ضلال أبهما
نفست بهم أرض الطفوف فَلَمْ تزل ... تجنى العظيم وتستفيد الأعظما
ولعت بكسف النيرات فأكسبت ... شرفاً عليه الدّهر تحسدها السّما
قد كُنْتُ أحْسِبُ أنّ غاية كربها ... يوم قضى «ابن محمّد» فيه ظما
فإذا الرزايا لاتزال بربعها ... فذاً تطرّقَ بالخطوب وتوأما
بأبي غريب «محمّد» وحبيبه ... بأبي وقل: أبى وجملة من وما
لَمْ تفت قارعة تحلُّ بربعه ... حيّاً وتزعجه رميماً أعظما
كتب البلاء على علاه كأنّما ... فرض البلاء على علاه وحتمّا
حيًا وميتاً لايزال مجرعاً ... بأكف أهل البغي صابا علقما
يوماً كذبح الشاة يذبح بالعرى ... بل ربّ شاة منه كانت أكرما
ذبحاً على ظمأ الفؤاد مِنَ القفا ... أرأيت شاة ويك تذبح بالظما؟
ويروح يوماً صدره متحطماً ... فيهم ويوماً قبره متهدّما
خلقاً توارثه البغاة وسيرة ... يقفو بها المتأخِّرُ المتقدّما
أو ماسمعتَ مصابها الثاني فقد ... جاءت بواحدة المصائب صيلما
تركت رجال اللّه قتلى حيثما ... وحريم آل اللّه ثكلى أينما
لعبت بهم أيدي الخطوب فأصبحوا ... نهباً بأيدي الظالمين مقسّما
فتراهم فيها كما شآء العدى ... للسمر ريًا والصوارم مطعما
يالرجال ولا رجال لهذه ... الطخيا الّتي أقوت مِنَ الدّين الحمى
لمغسّلين بما تفيض نحورهم ... لمكفّنينَ مدارعاً لَنْ تلحما
لمطرَّحينَ بغير دفن بالعرا ... تغذو السيوف لحومهم والأعظما
لموَحدينَ إلههم لَمَ يجعلوا ... معه سواه ولا أوا ما حيًا ما
للصّائمينَ نهارهم لَمْ يبرحوا ... للقائِمينَ بليلهم إنْ أعتما

للواصلينَ هناك رحم نبيِّهم   تركوا تنعمهم وعافوا الأنعما
لمهاجرينَ إلى المهيمن حسبة   جعلوا الشهادة للسعادة سلَّما
صرعى تنوش جسومهم وحش الفلا   والطير تغدو من عليها حوَّما
ترد السباع لحومها وجسومها   فينازع السرحان فيها القشعما
للرَّاكعينَ الساجدين العابدينَ   الحامدينَ لربِّهم ربَّ السَّما
ياليتَ شعري مَنْ أنوح له ومَن   أبكي ومَن أغدو له متألما
لدعائم الإسلام ساعةَ ضعضعت   أركانه للدِّين ساعة هدَّما
لشعار أهل الحقِّ يمحق نورها   بغضاً لقبر ابن النبيِّ مهدَّما
لرجال دين اللّه والقوم الأُولى   بضياء نور بيانهم يجلى العمى
«لمحمَّد» علم العلوم بأسرها   لأخي التقى الفياض غيثاً إنْ همى
للحبر «عين علي» مصباح الدُّجى   في ليله يتلو المبين المحكما
لأخي النهى والفضل غير مدافع   علم الكمال العارف المتوسِّما
أم للفتى العلوي «صادق»قوله   بالسيف جسده النجيع وعندما
أم للفتى السامي«علي» إذ غدا   ينحو الردى بادي الشجاعة معلما
مازال يخطر بالحسام مجاهداً   حتّى غدى بالمشرفيّ معمّماً
بأبي وأُمّي عافرون على الثرى   يقضي وتحسبهم هنالك نوَّما
ظفروا بقصدهم وبتُ معللاً   مابين رُبّتما وبين لعلَّما
سبقوا إلى الجنات في غاياتهم   سبق الوفود لمنعم لنْ يَسأما
غنموا الجِنان وظلت بعد فراقهم   حلف المذلة مرغماً أو مغرما
ربحوا ببيعهم الَّذي قد بايعوا   فاعرف مقامك أينَ أنتَ مِنَ النما؟
أفردتَ نفسكَ عن سلوك طريقهم   ورجوتَ تعذلهم فتأتي توأما
هيهات! منتكَ الأماني ضلة   وأراكَ فيما خلته متوهِّما
فارجع فلستُ أراكَ إلاَّ خابطاً   فيما تركب تالياً ومقدَّما
شأنَ الغواني صارَ شأنكَ لَمْ تكن   الا تقيم عزاءً وتنصب مأتما
إنْ كانَ همُّكَ ليس إلاَّ بالبكا   فتكون نائحة وتسمع مغرما

فَلِمَ ادَّخرت مِنَ السيوفِ مصمماً ... لكريهة وَمِنَ الرماح مقوّما
ضعفاً لرأيكَ حيث رأيكَ في البكا ... لامقدماً تلفي ولا مستقدّما
ضلّت أدلة معشر سودتهم ... إنْ كُنتَ متخذاً حياتكَ مغنما
ياللرجال! ألا تقي عاطف ... يحنو على دين الإله ويرحما
ياللرجال! ألا إبن منجية يرى ... أمْ كلكُمْ ياقوم! ابناءَ الأما
ياللرجال ! ألا إبن منجية يرى ... ديناً فيغضب للإله فيقدما
ياللرجال ! ألا معود شيمة ... إنْ صحّ قولُ (سعود): أنْ لامسلما
إنْ صحّ مامنكم لربّ مسلم ... أفَلَمْ يكن فيكم فتى يحمي الحمى
أفَلَمْ يكُنْ فيكم مراع حرمة ... إنْ كُنتُمُ مَنْ ليس يخشى محرما
إنْ صحّ أنَّ ولاء آلِ محمّد ... وهواهم قد كان شركاً أعظما
إنْ صحّ أنَّ الواصلين نبيَّهم ... في آله يستوجبون جهنما
إن صحّ أنَّ المسلمين بأسرهم ... مافيهم لله مَنْ يحمي حمى
إنْ صحّ لا خلفاء بعد نبيِّهم ... أولا أئمة حرّموا ما حرّما
بل كلُّهم باغ مضل مبدع ... إلا (سعود) فنوره يجلو العمى
وزمان ألفي عام لمْ يكُ فيهم ... أحدٌ لوجه إلهه قد أسلما
ويقول طه لَمْ يزل في أُمّتي ... بالحقِّ طائفة تقولُ المحكما
فَمِنَ المحقّ «أحمد» في قوله ... أمْ جاهل؟ وَمَنِ المصدّقُ منهما؟
ياناصر الإسلام ! يابن محمّد! ... أكرم به نسباً وأعظمَ منتمى
يابن الكرام ! أما تمنّ بلفتة ... عظمَ البلا وتجاوزَ الماء الفما
وترى حسام البغي كيف قد اغتدى ... برقابنا متمكّناً متحكّما
لا أشيباً تركوا ولا مستضعفاً ... كلاّ، ولا متضرّعاً متسلّما
كَمْ حرّةٍ مسحوبة مضروبة ... سلب اللئيم قناعها سلب الأما
مسلوبة الأطمار لَم ترَ ساتراً ... في النّاس إلا كفّها والمعصَما
تخشى النهار مِنَ العيون إذا بدت ... إذْ كانَ يسترها الدُّجى إنْ أظلما
كم ذات خدر أخرجوها عنوةً ... مِنْ خدرها فغدا حريقاً مضرما

قتل الرجال لشركهم في زعمه ... فالطفل أية جرمة قد أجرما
فبمسمع منكَ الَّذي قد عاينوا ... وكفاهم ياسيِّدي! أنْ تعلما
قرَّت عيون الكاشحين شماتة ... وافترَّ ثغر الشامتين تبسُّما
وانصاع دين الله لعبة لاعب ... فيما يشآء تهجُّما وتحكُّما
فإلى متى يابن النبيِّ؟ إلى متى؟ ... صلّى الإله على النبيِّ وسلَّما

* * *

وللحاج محمَّد رضا(١) بن محمَّد بن مهدي بن مرادالأُزري البغدادي يؤرِّخ الواقعة بكل شطر منها أخذناها مِنْ «ديوانه» المخطوط.

أريحا فقدلاحت طلايع كربلا ... لنقبر أشلاء ونسعد مرملا
لنبكي دوراً راعها قارع الردى ... فأوجف منها مااستقرَّ وماعلا
لعمري، لقد عبت عليها مصائب ... وجلى عليها الرعب للحتف قسطلا
مبان محا آياتها الويل فانمحت ... وكلل ساريها الردى فتكلَّلا
فكيف وحرف البين عاب بناؤه ... وفلَّ برسميه ونوَّخ كلكلا
وهبَّ بجوِّ الدِّين يخفقُ برقه ... مصاب بجون الحزن أضحى مجلجلا
يقلّ بشجاج يزمجر برقه ... بوحف فيشى الدو بالدم أشكلا
وكيف وقد مدت صواعق رعده ... على طول ربع المصطفى فتزلزلا
فتلكم ربوع الدِّين قلَّ بها الصدى ... وتلكم بيوت الوحي قد جاشها البلا
نوائب قد فاءت فهاجت نوائباً ... أمدن قنا العلياء في زمن خلا
ليبك التقى يوماً به اهب التقى ... ويالكَ بيناً زاد جسمي صنى على
فوالهف قلبي لو شفى لهف ماعرا ... إذ (ابن سعود) جاز أمجد كربلا
وقتل أطفالا وروع حسرا ... وجدل أشياخا وبعد منزلا

(١) ـ شاعر مفلق وأديب مبدع، ولد سنة ألف ومائة ونيف وثلاثين، وتوفي سنة (١٢٤٠ هـ) ودفن في الكاظمية مع شقيقه الشيخ الكاظم الشهير صاحب«القصيدة الهائية» المتوفى سنة (١٢١١ هـ)، والشيخ يوسف المتوفى سنة (١٢١٢هـ) ومقبرتهم معروفة عن مرقد الإمام الشريف المرتضى.

وباكر من رأس ابن بنت محمّد ... يبارز منه ما استتار وما علا
فما للورى في حيرة من يابها ... وأعظم ببؤس ما اجل وأطولا
وهل عادَ رزء الطف في الطف ثانياً ... أجل جل ثان تابع اليوم أولا
وبالقديم الملك للفادح الّذي ... على تلعات الدّين طال وجللا
لأمٍّ شهيد دونها متشحط ... وسلوتها بعد العزيز تولولا
لأصبية قد قلد السيف نحرها ... ومسترجع قدحن يدعو محوقلا
لهائمة ماإن تجد بركبها ... يرى الركب منها كل زيزاء مقتلا
لحائمة قد زعزع البين شملها ... وأوردها حرُّ الخطوب وأنهلا
لبارحة لَمْ يبرح النسك حلفها ... دهاها القضا فيما دهاها وأجفلا
لبانية صاح النفير بعيرها ... ومعولة أودت هنالك معولا
لحايرة بالقفر جدَّ بها الجوى ... تأنّ على حزن وتندبُ منزلا
لوالدة عادت لفقد وليدها ... تحنّ حنين الملويات إلى الطلا
لعارية قد قمص الدم فودها ... ومجلية أمسى حشاها مقلقلا
لسائلة من دورها في وعودها ... وانْ هدأت عجَّ البلاء ممثلا
لأبنية تبكي لها نعم الندى ... إذ العام أمسى صاحب الدو ممحلا
لذبح رجال بالمساجد ساجلوا ... بمحكمة التنزيل من امها الى
لخسف بدور في منازل اوجهاً ... هوت بعد أنْ سادت محلاً ومنزلا
وحاموا ببذل النفس جوداً لدى العلى ... ألا هكذا فليعل بالجود مَنْ علا
لكلِّ عزيز قمص الذلّ واجماً ... ويسمح أنْ يمسى العزيز مذللا
وإنْ هي الا لو تعطف عزمة ... بنهلتها أحييت فؤادي المعللا
فما للورى في دهشة جدَّ جدها ... أفي كربلا عادت مصائب كربلا
فيا قائد الجيش العرمرم سحبه ... تزاهر عن ليل مِنَ النقع اليلا
بحيث لواء النصر أسدل فوقها ... ونص خطيب السيف بالوحي فيصلا
كتائب دلّت بالجبال سوائراً ... إذا انماط عنها جحفل مدجحفلا
طحون متى ماالروع جلجل رعده ... تطلبها الفتح الإلهي مقبلا

تحجّ به الأملاك مشى وموحداً ... ويسعى لها ريح الفتوح مهرولا
الام وها ضاق الزمان بوافد ... يضج ولا ساح يجير ولا ولا
فمن لي وهل من لي يعود بشأوهم ... ويرجع صرحى بالتداني مكللا
وأسمو بها في حلبة المجد نزلة ... تكاد بها تهوى الزواهر افلا
هناك يعاد الجرح بعد انتفاره ... ويضحى عليه عايد الزهو مسبلا
واسحبها في روقي الملك بردة ... تكاد بمعناها تمد السجنجلا
وفي طرف القرآن في قصص الأولى ... لنا دارس ماإنْ لها قارئٌ تلا
ويامر قلاً من فوق تلعاء حائل ... تجد هوادي الدوّ مرقى ومرقلا
متى يلمع البرق اليماني ساطعاً ... تحوم على أُمِّ المتالع أجدلا
من البد نات الفتل لوزج عمها ... على متلف حاكى الدمقس المفتلا
تدين لها الأعواد من عهد شدقم ... فاحبب به خيما عريفا وموئلا
لك الله لو شافهت حومآء (حيدر) ... وشاهدت أنواراً هناك ومحفلا
فقف بازاء القبر من منكب الحمى ... وناد بناديه الكمي المفضلا
ألا يا (علي) القدر دعوة مرهج ... يرود بصدر بالهموم قد امتلا
وأدله مني التحيات زايراً ... ومن بعد ماتبدي أساك تململا
وتعلو بهاتيك المعاهد نائحاً ... حناناً فأنفاساً تجيش إلى الطلى
وكيف وقد زال الهدى بمضلل ... لمنزل حكم الدّين أضحى مبدّلا
ملاذاً فقد طال المدى وجلى الندى ... وقام العدى مستسنمى سبق العلا
وكيف ترى مستعصماً دون طودكم ... وملجا سواكم إنْ بدت أزمة فلا
وساح بنا بين وحالت مسافة ... ألم يأن أن يسقى الحيا ذاوي الكلا
وجار وهاء الطف شرّ عصابة ... أذلاء زموا بالمدانس معقلا
فثم (ابن سعد) سنّ أفعال حقده ... ونجل (سعود) قد توطاه لا تلا
فيا صاحبي رحلي أريحا سويعة ... لنبكي بها ظليّ حبيب ومنزلا
أنيخا بها عقد النياق لتسألا ... مرابع عفو قد عفتها يد البلا
فيالك منْ يوم تحدى بشرّه ... وآب على الأيام أنكب معضلا

وكيف وعامت في الليالي صروفه وزاد عناه في البلاء مضللا
ونادى به ناعي الصلاح مورخا (لقد عاودتنا اليوم ارزاء كربلا)

١٢١٦ ***

﴿وله أيضاً يخاطب ـ ابن سعود ـ في هذه الواقعة ويجادله﴾

ألم يأن أنْ يصغى الى الحَقّ غافل ويسلك نهج الإستقامة مائل
ويصحو ذو سكر ويبصر ذوعمى ويبرأ ذو سقم ويعلم جاهل
فهاتيك سبل المسلمين تفرّقت وشطت برأي المبدعين المحامل
وجاؤا بها نكراء مجهولة السرى موام بها سيد الغواية عاسل
فقل للأولى حادوا عن الدِّين ضلة وبدر الهدى في هالة الدِّين كامل
تعالوا إلى قول سوآء فبيننا وبينكم مافيه خلف وباطل
نراجع بما فيه اختلفنا من الهدى مذاهبنا اللاتي بها الحقّ شامل
فإنْ تجنحوا للسلم نجنح لها وإنْ أبيتم فحدُّ السيف بالحقّ فاصل
ترى هل عسيتم أنْ توليتم بأنْ تسنوا سبيلا تقتفيه الأراذل
ولَمْ أدر ذا وحي عن الله جاءكم حديثاً فَلَمْ تدرك مداه الأوائل
أم الأمر ممَّن قد حكمتم بشركهم أتاكم وكلّ في الشريعة باطل
وياليت شعري حيث قام زعيمكم إذا لم يكُ الإسلام والدِّين زايل
فإنْ قال (إبراهيم) قد كان امة فذاك له الوحي السَّماوي نازل
وإنْ يدع بالبعض والبعض فليقل لنامن اولاك البعض إن هو قائل
وإلا فكلّ مثل دعواه يدَّعي اذا لم يصحّ نقل ماهو ناقل
وإن يزعموا أنَّ الكتاب دليله فكلٌ فريق بالكتاب يجادل
على أنَّه مانال في العلم شأوهم ولا كانَ مِنْ أقرانهم لو تنازلوا
ولا نال مانالوه مِنْ قُربِ عهدهم وشتان مامنه غريب وآهل
ومن ير أهل الأعتزال وعلمهم فنسبتهم منه أياس وباقل
على أنَّه لا نمتري بضلالة فماذا عسى بالذكر يغني المجادل
وإنْ تسألوا عن بعض ماأقترف الورى منَ الإثم فالرَّحمن للتوب قابل

هبوا أنَّهم جاؤا بكلّ كبيرة ... فما ذاك كفر بل فسوق وباطل
بل الكفر تحليل الدماء الَّتي أتى ... بتحريمها الإجماع والذكر نازل
ولا خلف فيما ذلكم لو علمتم ... وّإنْ كنتم لا تعلمون فسائلوا
وتلكم زيارات القبور تواترت ... نصوص بها مشهورة ودلائل
وجاءت إلينا عن يد بيد إلى ... صحابة (طاها)منهج متواصل
وقد دفن الهادي النبيّ بحجرة ... محجبة تزجى إليها الرواحل
ومن بعد حلا صاحباه ازآءه ... وبضعته والدّين إذْ ذاك كامل
وحلف بغير اللّه لم يجز عندنا ... بحدّ ولافيه لدى الشرع قائل
وإنْ جاء أحياناً ففيه كراهة ... به نصّ أهل الإجتهاد الأفاضل
ونحن أُمرنا باتّباع سبيلهم ... ومنْ حادَ عن تلك السبيل فجاهل
ومن حرَّم التتن الَّذي لَمْ يرد لنا ... بتحريمه نصّ من الشرع فاصل
ومالَم يحرّمه الإله فعندنا ... مباح وفيما ذلكم لا مجادل
وإنْ يستدلّ الشيخ في كلّ مسكر ... حرام فقول الشيخ بالسكر باطل
فتعساً لشيخ خاض في الجهل لجة ... غطامط لايلفي لها لدهر ساحل
وصيَّر أمر الدّين أُحبولة الدنا ... وما تلك لشيطان إلاّ حبائل
وإنْ غرَّكم إنْ أجَّل اللّه نصرنا ... فما ذاك إلاّ للفتوح دلائل
وهيهات يوم الغار مِنْ فتح مكة ... ألا إنَّ نصر المسلمين لآجل
وإنْ قَتلَ العبدُ المزنم سيِّداً ... فليس ببدع ذاك حيث الأفاضل
فقد قتل الرجس ابنُ مُلْجَم(حيدرا) ... واردى (حسيناً) أخبث النَّاس جاهل
ومن فوقت أيدي القضا سهم حتفه ... فكلّ الَّذي يلقاه في الدهر قاتل
وغير عجيب إن نبابكَ صارم ... وليس ببدع أنْ كبا بِكَ صاهل
فما لأُولآء القوم لَمْ يسمعوا ندا ... إذا مادعوا للحقّ والحقُّ فاصل
وإنْ أبصروا رشداً تناهوا بغيهم ... وعند التناهي يقصر المتطاول
ولَمْ أدرِ في الأبصار عَن غيهم عمى ... فَلَمْ يبصروا أم أبصروا وتغافلوا
أفي أيِّ شرعٍ أنْ تباع هجينة ... بها لولّي الأمر في الحقّ طائل؟

وسيَّان أنْ تسرق مهاً وجمالة ... إذا ما أقام الحدُّ قاض وعامل

وهل جايز ذبح الرضيع بسرعة ... فهاتيكم الأديان طرّاً فسائلوا؟

وكان (رسول اللّه) في كلِّ حربه ... للإسلام أهل الشرك في الحرب قابل

فإنْ قلتم في ردَّة بعد فطرة ... ففي الشرك مِنْ آبائنا لا نجادل

وفي الأمس أنتم حاكمون بشركهم ... بنآء لعمر اللّه بالنقض هائل

وإنْ قسم لمّا رأوا بأسنا بها ... فذاك قياسٌ فارق ومزائل

ولو جاز هذا جاز بالبين حلفنا ... كما حلف الباري قياس مماثل

وقد أورد اللّه الردى أولياءه ... فهل أحد مايفعل اللّه فاعل؟

فياقوم ! هبوا عن مضاجع جهلكم ... ولبوا لداعي اللّه فالأمر هائل

ولاتعبثوا في الأرض فاللّه غالب ... على أمره سبحانه لا يناضل

وكلمته العليا تعالى بشأنه ... مدمّر عاد إذْ عتوا وتطاولوا

ومن قبلكم فيها «مسيلمة» عتا ... فدارت عليه الدائرات القواتل

ومن قبل أهل (الرس) باؤا بغيِّهم ... وغالت بهاتيك القرون الغوائل

فتلك ديار القوم ينعي بها الصدى ... خلاء بها تعوى الذباب العواسل

كأنَّهم لَمْ يلبثوا غير ساعة ... بلاغ فهل يغي بها ليوم عاقل؟

وسرعان نزجيها إليكم سحائباً ... صواعقها بيض الظبى والعوامل

عليها مِنَ الفتيان كل موَّحد ... أشمّ طويل الساعدين حلا حل

يذبُّ بها عن بيضة الدِّين قائلا ... ألا في سبيل اللّه ماأنا فاعل

مِنَ القوم لَمْ يرضوا سوى الصعب مركباً ... وليس لهم إلاّالسيوف وسائل

غطاريف طلاّعون كلَّ ثنيَّة ... تناذر في الأقطار منها القبائل

وآساد غيل غيلها حومة الوغى ... ولا مخلب إلاّ القنا والمناصل

إذا ما الملوك الصيد طالوا بمفخر ... فما منهم إلاّ سنام وكاهل

ولو خفقت تحت العجاج بنودهم ... لكانت لها الشمُّ الرعان تهايل

صواد إلى شرب الدماء كأنَّهم ... من البزل هيم عارضتها المناهل

يقرُّون أنَّ الأمْرَ للّه وحده ... وكل له داع وإيّاه سائل

وَلَمْ ينكروا للأنبياء مزية ... ولا لرجال الله والله فاعل
أولئكَ هم حزب الإله وجنده ... إذا مادهى الإسلام أفضع نازل
ومن قبل دعوى الصيد كادت تغيظها ... فَلَمْ تكترث هولاً بهم أو تطاولوا
بلى، منذ وافتنا رسائل مِنْ لدى ... صعاليك نجد أضحكتنا الرّسائل
وأغلب مَنْ جادلت مَنْ ليس يرعوى ... واقتل مَنْ حاولت مَنْ لا يماثل
وأعلمنا في الدّين مَنْ هو عالم ... وأجهلنا بالدّين مَنْ هو جاهل
يميناً بربّ البدن تنحر في منى ... صباح منى والحج هاد وغافل
وأوّل بيت قام في النّاس للّذي ... ببكةَ فيه للعصاة معاقل
ومختلف الأملاك في ملكوتها ... لهم عارج بالأمر منه ونازل
لذاكَ اعتقادي قد أمطت حجابه ... ولا منه بدّلي ولا عنه حائل
ورثناه عن آباءِ صدق أفاضل ... حبتهم به آباء صدق أفاضل
بهذا تواصت قبلنا قدمآؤنا ... ونحن على آثارهم نتناسل
إلى مثل ذا فليسع مَنْ كان ساعياً ... منازله منه عليه دلائل
فإنْ كانَ قدحي لمْ يطش وهو لَمْ يطش ... ستكثر في تِلْكَ العراص الثواكل
ويصبح في أيدي القبايل فيأهم ... تقاسمه أيمانهم والشمائل
وهل آمنوا أهل القرى أنْ نزورهم ... بغاشية قد ظللّتها القساطل؟
وهل آمنوا أهل القرى أنْ نحلّهم ... بياتاً وكلٌ راقد الطرف غافل؟
وهل آمنوا أهل القرى أنْ نشلّهم ... صباحاً وكلٌ في الضلال يجادل؟
بجلجلة مبراقة الجوّ حشوها ... شفار المواضى والعتاق الصواهل
إذا طالعت نجداً أقلت بشمه ... جحافل حين أردفتها جحافل
تدور بمرداة طحون عليهم ... لها لهوات للجيوش أواكل
وتعرك روقى كلّ أرعنِ شاهق ... تكاد تحك السحب منه الأياطل
إذا الحرب عن أنيابها العضلَ كشرت ... وحطت على الآفاق منهاالكلاكل
أقلت بها سودآء ضرّ يحوقها ... لفيف مِنَ الجندِ السمّاوي نازل
تعوم بشجاج مِنَ الدم واطف ... إذا غبّ منه هاطل عبّ هاطل

إذا برقت تحتَ القتام حسبتها ... بروقاً تدلّى أورجوماً تهايل
تنوء باعبآء الردى أحمدية ... لها صاعد تحت السماء ونازل
لها شرر لو طار عن قبساتها ... لكات لها تحكي الجمال البوازل
وياقوم سمعاً ماأقول فإنّها ... لتذكرة فيها هدى ودلائل
حذار فقد أنذرتكم بزواجر ... تناشد غطفاناً فتسمع وائل
فإن تنتهوا يغفر لكم مامضى وإنْ ... تعودوا فما غير البنود رسائل
وسآء صباح المنذرين إذا هوت ... صواعقها في أرضكم والزلازل

* * *

وله في ذكر ـ الواقعة ـ أيضاً، ورثاء قتلاها وتاريخها، والقصيدة طويلة تشتمل على (١٠٣) بيتاً، نذكر بعضها:

خطب على الطف قد غشى بطوفان ... فجلّ عن جانبيه كلّ بنيان
فما انجلت عن ضواحيه غياهبها ... حتّى التقى الدم غدراناً بغدران
الله أكبر أي القارعات رمت ... جرثومة الدّين فانثلت بأركان
قتلى ترى الدم يجري حولهم دفعاً ... كأنّهم كثب مِنْ حَوْلِ نهران
وارحمتا لمروعات ضمائرها ... على مصارع أشياخ وولدان
لَمْ ندر أي الرزايا نشتكي ولما ... نعجّ هتك حمى أم جر أذقان
مِنْ كلّ عاثرة بالذيل مِنْ دهش ... حسرى تحوقل عن سرّ واعلان
ياليتَ شعري ومااليت بنافعتي ... لو يحضر (المصطفى) في ذلك الآن
وينظر الحائر القدسي مسلخ جزْ ... ار وأولاده جاثين كالضان
كأنّ أجسامهم قد ضرّجت بدم ... درّ يناط عليه سمط مرجان
رزء تحار له الرهبان لو سمعت ... من دير سمعان لابل دير سمعان
أوطاق كسرى بن ساسان يعيه إذن ... لصدع الطاق من كسرى بن ساسان
يا(غيرة الله) للارحام جانحة ... لرّضع ما أتوا يوماً بعصيان
لنبش قبر ابن بنت المصطفى لدم ... يجري عليه بتشريق وتهتان

لشيبة خضبت بدم وهي على محرابها بين مصباح وقرآن
لفتية دفنوا من غير ماغسلوا ولا تزوّد كافور وأكفان
للمرضعات اللواتي كلّما هدأت ترى مصارع أشياخ وولدان
للعاريات اللواتي بعد ماسلبت ظلت تواري بأحقاف وجدران
لكلّ عشر سليبات تستر في عباءة بين إخفاء وإعلان
لمعشر محضوا الإيمان واعتصموا بالصبر والصبر مرسى كلّ إيمان
لقتل خمسة آلاف بآونة مِنَ النهار سوى المستشرف الفاني
لثار خامس أصحاب الكسآء وَمَنْ به المباهل طاها ركب نجران
لثار ريحانة الهادي وسيّد شبا ن الجنان مِنَ الإنسان والجان
مِن العزيز على سبط النبيّ به أنْ يُستجار ولا يُرعى لجيران
تالله، لابخت نصر إذْ عتا وبغى بمثلها جاء في كفر وطغيان
كلاً، ولا فعلت أجناد أبرهة معشار مافعلوا من هدم أركان
لَمْ أدرِ أيّ رزاياهم أعجّ لها؟ لذبح أصبية أمْ هتك نسوان
مصائب لو أراد الفكر يردفها زيادة لانثنى عنها بنقصان
فلا وربكَ لَمْ تنظر لها مثلا مِنْ كلّ ماجهة في كلّ أزمان
ومَنْ رأى يوم تشريق بغير منى وهدية الغرّ مِنْ أبناء عدنان
سنّ ابن سعد سبيلاً واقتدى ابن سعود الشقي به ضل الشقيان
يقول في رزئها الادهى مؤرخه (في كربلاء دهانا رزؤها الثاني)

١٢١٦

***

ومن شعراء كربلاء الَّذين أرخوا هذا الحادث أيضاً العالم الشاعر - **السيِّد أحمد الرشتي** - المقتول سنة (١٢٩٥هـ) فقال:

ومذ فتحت نجد دعاالسعد أرخوا (لقد جاء نصر الله يزهر بالفتح)[1]

---

(١) - الشعر السياسي العراقي/ للأُستاذ إبراهيم الوائلي: ١٣٨.

ومنهم الشاعر - **الشيخ فليح بن حسون رحيم الكربلائي** - المتوفى سنة (١٢٩٦هـ) فقال:

ولما تعالى سعد (مدحت) رفعة … بأوج المعالي واستنار به المجد

سعود (سعود) الشر غابت فأرخوا … (بحزم عزيز الجند قد فتحت نجد)[١]

وهناك مراجع كثيرة وصفت فضاعة «الوهّابيّين» المنكرة بأدقّ وَصفٍ، وأسهَبت فيها، وأوضَحَت غزوهم لهذه المدينة الآمنة، وهدْمهم للضريح المقدّس، ونهب الأموال، وقتل الأنفس[٢].

انتهي القسم الأوّل من هذا الكتاب أعاننا اللّه على القسم الثاني، والحمد للّه ماتعاقب اللّيل والنهار، والصّلاة والسلام على سيّدنا ونبينا وعظيمنا محمّد النبيّ المختار، وآله السادة الأطهار.

قال الخرسان (عفا اللّه عنه): فهذا ما تهيّأ لي كتابته، مع اشتغال البال واشتعال البلبال، والخطوب ثائرة والساعات طائرة، والفرص خطفات بروق تأتلق، والنفوس على فواتها تذوب وتحترق، قد انتهت بغية ما أوردته ونهاية ما أردته، في سحر العشرين من صفر سنة (١٣٩٣هـ) على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام والتحية، وكان ذلك في المدينة المقدّسة الكاظمية.

ولقد اتعبت الفكر في تجميعه وترتيبه، وبذلت الجهد في تحقيقه وتهذيبه، وصرفت النظر نحو تحريره، وأنفقت مدة طويلة في تحبيره، تسهيلاً للأخذ والتناول، وتقريباً للتحصيل والتداول.

وأسأل اللّه الكريم أنْ يستمرّ بي على اعتقاد صحته، وأطلب من فضله

---

(١) - المصدر السابق: ١٣٨

(٢) - أعيان الشيعة ٤/ ٢٠٧، تحفة العالم ١٠/ ٢٨٩، روضات الجنّات ١/ ٢٦٥و ٢٥٣، شهداء الفضيلة: ٢٨٨، دائرة المعارف الإسلامية١/ ١٩٢و ١٩٣، تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٢٢٣، الإسلام السعودي الممسوخ/ لمؤلف هذا الكتاب (ط ١ - ١٤٠٩هـ)، وغيرها

العميم أن يجازيني على تأليفه النعيم بجنته، عالماً بأنَّه يجيب مَنْ دعاه من عباده، ولا يخيبُ مَنْ رجاه لمعاشه ومعاده، إنَّه الوليُّ الكفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

من آثار المؤلف
ـ المطبوعة والمخطوطة ـ

١ـ الشهاب المنير في تواتر حديث الغدير
٢ـ رحيق الكوثر في ولاية حيدر (ع)
٣ـ اللؤلؤة البيضاء في فضائل فاطمة الزهراء (ع)
٤ـ المقلة العبراء في تظلّم فاطمة الزهراء (ع)
٥ـ فريدة الزمن في مناقب الإمام الحسن (ع)
٦ـ الجوهر الفريد في مناقب السبط الشهيد (ع)
٧ـ تاج الأشعار في رثاء أبي الأحرار (ع)
٨ـ تحفة الأمجاد في مسند الإمام السجاد (ع)
٩ ـ شرح ديوان الإمام زين العابدين (ع)
١٠ـ الهادي إلى إمامة علي الهادي (ع)
١١ـ الياقوتة الحمراء في إيمان أبي طالب سيِّد البطحاء (ع)
١٢ـ التحفة الطالبية في مناظرات علماء الشافعية
١٣ـ مغيث الخلق في اختيار الحق
١٤ـ فيض الباري في الطعن بأحاديث مسلم والبخاري
١٥ـ الروض الأريض في الجبر والتفويض
١٦ـ ريحان المجالس وتحفة المؤانس (كشكول طالب)
١٧ـ الأثر الحميد في ذريّة زيد الشهيد (رض)
١٨ـ التعريف والإعلام بما في الإمامية من الأعلام
١٩ـ البراهين الباهرة في ذم الدنيا ومدح الآخرة
٢٠ـ التذكرة في الفوائد النحوية النادرة
٢١ـ بغية النبلاء في من استبصر من العلماء
٢٢ـ العقد الباهر في وصيتي لقرة العين ولدي ياسر
٢٣ـ العقد الثمين في أحوال العلاّمة الفيلسوف أحمد أمين (صاحب التكامل في الإسلام) في حياة وآثار أُستاذ المؤلّف

٢٤ـ النور الشعشعاني في أحوال آية الله الكاشاني
٢٥ـ صدق الخبر في خوارج القرن الخامس عشر
٢٦ـ الإسلام وتأثيره على الأخلاق
٢٧ـ وصايا إلى الشباب المسلم في الخارج
٢٨ـ تحقيق مقتل الحسين (ع) للخوارزمي الحنفي
٢٩ـ الصلة بين التصوف والتسنن
٣٠ـ ديوان طالب الخرسان
٣١ـ تفسير سورة الإسراء
٣٢ـ القصة في القرآن
٣٣ـ مشاهداتي في إيران
٣٤ـ وجاء دور الحجّاج
٣٥ـ الفكر الشيوعي والنزعات الصهيونية
٣٦ـ حكم الإسلام في القومية
٣٧ـ المرأة بين المادية والإسلام
٣٨ـ الإسلام السعودي الممسوخ
٣٩ـ زيف التوحيد الوهابي
٤٠ـ ثورة الطّف
٤١ـ نشأة التشيع
٤٢ـ محن العلماء
٤٣ـ شخصيات عايشتها
٤٤ـ أخلاقيات المجتمع الإسلامي
٤٥ـ الرياض المستطابة في الصحبة والصحابة
٤٦ـ مجلة الصحوة الإسلامية

إضافة الى مئات الدراسات والبحوث التي نشرتها له الصحف والمجلات العربية والإسلامية سواء أكانت تحمل اسمه الصريح أو بأسم مستعار.

«المحتوى»